

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة ذي قار / كلية الآداب

قسم التاريخ

صورة الحيوان في القرآن الكريم ومقارنتها بالمصادر التاريخية

رسالة ماجستير

مقدمة إلى مجلس كلية الآداب / جامعة ذي قار ، وهي جزء من متطلبات
نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي

تقدمت بها الطالبة

نورة عواد طفطاف الحجاج

تحت إشراف

أ.د رنا طعيمة حسين الصافي

٢٠٢١ م

١٤٤٣ هـ

الشكر والتقدير

قال تعالى : { وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ } (لقمان : ١٢)

وقال رسول الله (ص) : (من لم يشكر الناس ، لم يشكر الله عز وجل)

أحمد الله تعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً ملئ السموات والأرض على ما أكرمني به من إتمام هذه الدراسة التي أرجو أن تنال رضاه .

فإني أتقدم بوافر الشكر الجزيل والثناء الجميل إلى المشرف على رسالتي الأستاذ الدكتور (رنا طعيمة حسين الصافي) لما بذلته من جهود مضيئة معي في متابعة الرسالة و قراءتها وعدم التواني في إبداء الملاحظات العلمية القيمة التي زادت من قيمة الرسالة ومن رونقها و سلاسة لغتها ووضوح فكرتها ، فلها مني أفضل الشكر وأوفره وأعلاه .

كما أتقدم بالشكر و العرفان للأستاذ الدكتور (صلاح رشيد الصالحي) أستاذ التاريخ القديم لما قدمه لي من معونة ومساعدة كبيرة في توفير المصادر القيمة والكتب القديمة التي وفرت لي معلومات مهمة عن موضوع البحث .

و أتقدم بالشكر و التقدير إلى عمادة كلية الآداب و رئاسة قسم التاريخ الذين كانوا نعم العون لجميع الطلبة بما فيهم المتحدث لما أبدوه من توجيه ورعاية أبوية لي كلما قصدتهم ، فلهم مني وافر الشكر والتقدير .

و أقدم شكري وتقديري إلى كافة المكتبات العلمية التي قدمت لي يد المساعدة من خلال توفير المصادر و إبداء الآراء المفيدة في الحصول على المصادر التاريخية و كتب التفسير والتي شكلت المرتكز الأساس لمحاوَر هذه الرسالة .

ولا أنسى عائلتي التي قدمت لي يد المساعدة والدعم المادي و المعنوي في الاستمرار بكتابة هذه الرسالة التي بين أيديكم ، فلهم مني وافر الشكر و التقدير والامتنان .

الإهداء

إلى منار العلم والمعرفة

والشعلة التي لا تنطفئ

وإلى مركب الحضارة والتقدم

محمد وآله الكرام (صلوات الله عليهم)

أهدي هذا الجهد المتواضع

ونسأل الله تعالى القبول

محتويات الرسالة

تسلسل	الموضوع	الصفحة
١.	المقدمة	١٠ - ١
٢.	الفصل الأول (نبذة عن الحيوان وأهميته في حضارات الشرق الأدنى القديم)	١١ - ٥٤
٣.	المبحث الأول (الحيوان لغة واصطلاحاً)	١١ - ١٣
٤.	المبحث الثاني (مكانة القرآن كمصدر لدراسة تاريخ العرب قبل الإسلام)	١٣ - ٢٥
٥.	المبحث الثالث (الحيوان في حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)	٢٥ - ٢٩
٦.	المبحث الرابع (الحيوان في حضارات الشرق الأدنى القديم)	٢٩ - ٥٤
٧.	الفصل الثاني (أهمية الحيوان عند العرب قبل الإسلام)	٥٥ - ١٠٠
٨.	توطئة	٥٥ - ٥٦
٩.	أنموذج من أهم الحيوانات في شبه الجزيرة العربية	٥٧ - ١٠٠
١٠.	أولاً (الإبل عند العرب قبل الإسلام)	٥٧ - ٦٦
١١.	ثانياً : (البقرة و الثور)	٦٦ - ٦٩
١٢.	ثالثاً : (الغراب)	٧٠ - ٧٣
١٣.	رابعاً : (الخيل)	٧٣ - ٨٠
١٤.	خامساً : (الحمير والبغال)	٨٠ - ٨٥
١٥.	سادساً : (الغزال)	٨٥ - ٨٨
١٦.	سابعاً : (الأرانب)	٨٨ - ٨٩
١٧.	ثامناً : (النعام)	٩٠ - ٩١
١٨.	تاسعاً : (الخنزير)	٩١ - ٩٢
١٩.	عاشراً : (الأغنام والماعز)	٩٣ - ٩٥
٢٠.	إحدى عشر : (الكلب)	٩٥ - ٩٧
٢١.	إثني عشرة : أنواع أخرى من الحيوانات المختلفة	٩٧ - ١٠٠
٢٢.	الفصل الثالث (أنموذج من قصص الحيوان في النص القرآني ودلالاتها التاريخية)	١٠١ - ١٦٤
٢٣.	أولاً : (مكانة الحيوان في السور القرآنية)	١٠١ - ١٠٨
٢٤.	ثانياً - (الحيوانات التي ذكرت في قصة النبي آدم) {عليه السلام }	١٠٨ - ١١٢
٢٥.	ثالثاً - (الحيوانات التي ذكرت في قصة نوح) {عليه السلام }	١١٢ - ١١٨

٢٦.	رابعاً - (الحيوان في قصة النبي صالح) {عليه السلام}	١١٩ - ١٢٤
٢٧.	خامساً - (الحيوان في قصة النبي إبراهيم الخليل) {عليه السلام}	١٢٥ - ١٢٨
٢٨.	سادساً - (الحيوان في قصة النبي إبراهيم والنبي اسماعيل) {عليه السلام}	١٢٨ - ١٣٠
٢٩.	سابعاً - (الحيوانات في قصة النبي يوسف) (عليه السلام)	١٣٠ - ١٣٨
٣٠.	ثامناً - (الحيوانات في قصة النبي موسى) {عليه السلام}	١٣٩ - ١٤٧
٣١.	تاسعاً - (الحيوانات في قصة النبي داود) {عليه السلام}	١٤٧ - ١٤٩
٣٢.	عاشراً - (الحيوانات في قصة نبي الله سليمان) {عليه السلام}	١٤٩ - ١٥٥
٣٣.	الحادي عشر - (الحيوان في قصة النبي عزير والنبي يونس) {عليه السلام}	١٥٥ - ١٥٩
٣٤.	إثنا عشر - (الحيوان في قصة نبي الله عيسى) {عليه السلام}	١٥٩ - ١٦٠
٣٥.	ثلاثة عشر - (الحيوان في قصة أصحاب الكهف و غزو مكة المكرمة)	١٦٠ - ١٦٢
٣٦.	أربعة عشر - (الحيوان في قصة أصحاب السبت)	١٦٣ - ١٦٤
٣٧.	الخاتمة	١٦٥ - ١٦٨
٣٨.	المصادر و المراجع	١٦٩ - ١٩١
٣٩.	ملخص باللغة الإنكليزية	A
٤٠.		
٤١.		

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا عَمَلَت أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ

(٧٢) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿ (٧٣) ﴾^(١)

صدق الله العلي العظيم

الحمد لله على ما أنعم ، وله الشكر على ما ألهم ، والثناء بما قدّم ، من عموم نعم ابتدأها ، وسبوغ آلاء أسداها ، وتمام منن أولها ، جمّ عن الإحصاء عددها ، ونأى عن الجزاء أمدّها ، وتفاوت عن الإدراك أبدّها ، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها ، واستحمد إلى الخلاق بإجزالها ، وثنى بالندب إلى أمثالها ، فله الحمد دائماً أبداً .

يُعدّ القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة و دستوره العالمي ومنهج الإنسان المؤمن في حياته حتى يلقي ربه ، هذا الكتاب الذي حوى من عجائب العلم والمعرفة ما لا يحصى عدده ولا يدرك أمدّه ، فمنذ ألف و أربعمئة عام و العلماء يستزيدون منه و ينهلون من بحر معرفته في مختلف الاختصاصات الإسلامية (الفقه ، الأصول ، اللغة ، التاريخ) و غير الإسلامية (الفلك ، الاشارات الفيزيائية ، الكيمائية ، الأحيائية وغيرها) ، والعمل الأقوى في الاعتماد على القرآن الكريم هو الموثوقية التي يتمتع بها إذ أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بل هو محفوظ بحفظ الله تعالى ذكره قال تعالى (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) ، فلا يدخل عليه التحريف مهما حاول أعداء الإسلام ذلك ، فهو قرآن واحد نزل من عند الواحد بكل سورة و آياته و حروفه ، قال تعالى (إِنَّا نَحْنُ نُزِّلُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)^(٢) ، وقال أيضاً (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ) ، إلى آخره من الآيات التي تثبت عصمته و موثوقيته ، بالإضافة إلى الأحاديث النبوية الشريفة الكثيرة ولعل أسماها و أعلاها تواتراً وصحةً و قطعيةً هو حديث الثقلين المروي عن النبي (ﷺ) بطرق عديدة وهو قوله (ﷺ) : (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، كتاب الله حبل ممدود بين السماء و الأرض ، وعترتي أهل بيتي) .

لذا ومن هذا المنطلق عمّدتُ إلى دراسة جزئية بسيطة من جزئيات هذا الكتاب المبارك ، ألا وهي موضوعة الحيوانات التي ذكرت في القرآن الكريم والتي ورد ذكرها في سور متعددة من القرآن الكريم بلغ (٢٠٠ آية) تقريباً و أكثر من ٢٧ صنف من أصناف الحيوانات ، منها الثدييات التي أورد القرآن منها ثلاثة عشر نوعاً ، وذكر أربع من الأنعام المجترة ، وذكر ثلاثة

(١) سورة ياسين (٧١-٧٣)

(٢) القرآن الكريم : سورة الحجر (٩) .

من الجوارح وهي الذئب والأسد والكلب ، فضلاً عن ذكر اثنين من المسخ هما الخنزير والقرد ، وذكر أربعة من الحيوانات التي تستخدم للركوب مثل الخيل والبغال والفيل والحمير ، ثم ذكر الحشرات ، التي ذكر منها ثمانية ، وذكر نوع واحد فقط لكل من الزواحف والأسماك ، وباختلاف الغاية بين آية و أخرى ، فمرة يرد ذكرها لبيان عظمة الخالق في خلقه ، ومرة يذكرها لبيان أهميتها في الحياة الدنيا ، و مرة يذكرها لبيان الحلال منها و الحرام ، وغير ذلك من الغايات التي وردت في الكتاب الكريم ، فضلاً عن ذكر بعض الحيوانات التي ورد ذكرها في طيات الرسالة مع أن القرآن لم يذكرها بصراحة ، إلا أنني أورتها لأهميتها عند العرب قبل الإسلام وكثرة استخدامها مثل (النعامة و الغزال) ، لذا جاء عنوان هذه الدراسة (الحيوان في القرآن الكريم ومقارنته مع المصادر التاريخية) .

إنَّ الاستناد على القرآن الكريم في دراسة الحيوانات جاء من بعد أساس ألا وهو عدم وجود معلومات دقيقة و صحيحة عن الحيوان في التاريخ القديم و تاريخ العرب قبل الإسلام ، فالمعلومات الموجودة أغلبها قد تعرض للوضع ، التحريف ، الخيال الاسطوري ، فغالباً ما نجد الخرافة واضحة في الروايات التي تتحدث عن التاريخ القديم و العصر الجاهلي سواء في النقوش الأثرية أو المرويات التاريخية ، لذا ولكون القرآن مصدراً موثقاً فسيكون الارتكاز الأساس للمعلومة التاريخية ، وأما التفصيل فيدعم بالروايات التاريخية بما ينسجم مع العقل والمنطق .

تقسيمات الرسالة :

نتيجة لما تقدم قسمت هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول ، وكل فصل تضمن مجموعة مباحث رئيسة أو عنوانات فرعية الغاية منها تبسيط المعلومات للقراء ، فمثلاً كان عنوان الفصل الأول (نبذة عن الحيوان وأهميته في حضارات الشرق الأدنى القديم) وقد قسمت هذا الفصل إلى أربعة مباحث رئيسة ، تناول الأول منها الحيوان في اللغة و الاصطلاح وذلك لبيان معنى مفردة الحيوان في اللغة و الاصطلاح وهل ينسجم مع ما ورد في القرآن الكريم أو لا ، ومن ثم يكون بناء الموضوع على مدى التطابق بين المفهوم والمعنى ، بالإضافة إلى موضوع مهم آخر وهو المبحث الثاني المتمثل بأهمية القرآن الكريم كمصدر تاريخي ، وذلك لبيان موثوقيته كما بينا آنفاً وهل يصح الاستناد عليه كمصدر من مصادر المعلومة التاريخية أم لا ، وما هو موقف المؤرخين من القرآن وكيف تعاملوا مع قصصه التاريخي ، أما المبحث الثالث فتناول الحيوان في حديث النبي (ﷺ) وبيان اهتمام السنة النبوية بهذا العنصر الأساسي في حياة الإنسان وكيفية التعامل معه وذلك أن الحيوان يعد عصب الحياة عند العرب قبل الإسلام ، فضلاً عن دخوله في مجالات مختلفة من حياتهم حتى عبده البعض منهم كما سيتضح في طيات البحث ، أما المبحث الرابع فتضمن نماذج مختارة من الحيوانات في العصور القديمة وبالأخص في بلاد الرافدين و مصر ومنها (الغنم و الثور و الحمار وغيرها) .

أما في الفصل الثاني فقد تناولت نماذج مختارة من الحيوانات في عصر العرب قبل الإسلام و بالتحديد في اليمن و الحجاز و الأنباط و أجملتها تحت عنوان فصل رئيس وهو (أهمية الحيوان عند العرب قبل الإسلام) ومن ثم مجموعة عنوانات فرعية بحسب أنواع

الحيوانات التي أوردنا ذكرها تباعاً ، وذلك من خلال استعراض أهمية كل أنموذج في حياة العرب قبل الإسلام و كان التركيز على الحيوانات المتداولة بكثرة في حياتهم مع عدم إغفال ذكر بعض الحيوانات البرية ، وبيان ذكرها في القرآن الكريم من عدمه وذلك أن العرب كانوا يستوطنون أراضٍ صحراوية يقل فيها الكلاً و الماء فكانت حيواناتهم محدودة الأنواع بما ينسجم مع نمط حياتهم .

أما الفصل الثالث الذي وسمناه بعنوان (أنموذج من قصص الحيوان في النص القرآني ودلالاتها التاريخية) فهو دراسة لنماذج الحيوانات التي ذكرت في سور القرآن الكريم وآياته و سورہ المبارکات بشكل خاص وإيراد القصص التاريخية المتعلقة بها وذلك من خلال عنوانات فرعية متسلسلة حسب تسلسل الأنبياء كما أورده القرآن الكريم ، ولذلك كان التركيز على قصص الأنبياء بشكل واضح ، مع مراعاة التسلسل الزمني للأنبياء من نبي الله آدم ﷺ إلى النبي عيسى ﷺ ، مع الإشارة إلى بعض الحيوانات التي ليس لها قصة تاريخية لكنها ذكرت على نحو الإجمال وليس التفصيل اختصاراً للقارئ و تجنباً للتكرار .

تحليل المصادر :

وقد اعتمدت في هذه الرسالة الموسومة (الحيوان في القرآن الكريم ومقارنته مع المصادر التاريخية) على مجموعة من المصادر التاريخية المتنوعة سواء القديمة منها أو الحديثة ، فضلاً عن البحوث الأكاديمية المنشورة و غير المنشورة ، والمجلات العلمية المحكمة ، والرسائل و الأطاريح الجامعية المتخصصة في موضوعات الحيوان وما يقرب منها ، وذلك لضرورة التنوع بالمصادر التاريخية في مثل هذه الرسالة لكونها تشمل مباحث متعددة لأزمنة مختلفة ، فالبحت يبدأ بالتاريخ القديم منذ بدء الخليقة و وجود جدنا آدم على سطح الأرض وحتى فترة حياة العرب قبل الإسلام والتي عرفت غالباً بعصر (الجاهلية) كما سماها القرآن ، ومن ثم دراسة الحيوان في القرآن الكريم والذي يعتمد على الأحاديث المنقولة عن النبي ﷺ و الأئمة المعصومين ﷺ والروايات التاريخية و التفسير العلمي المنهجي للنصوص القرآني وكما رسمه وخطه المفسرون القدماء و المحدثين على حدٍ سواء .

أولاً - المصادر اللغوية :

بناءً على ما تقدم فقد عمدت في الفصل الأول إلى الاعتماد على المصادر اللغوية والاصطلاحية أمثال كتاب العين للفراهيدي (ت ١٧٠هـ - ٧٨٦م) وهو من أقدم مصادر اللغة العربية وأشهرها عند العرب المسلمين بصورة عامة ، و كتاب لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـ - ١٣١١م) وهو من أهم مصادر اللغة العربية في القرن الثامن الهجري والذي يمتاز بالسهولة في الوصول إلى معاني المفردات لما يتمتع به من منهجية عالية في تبويب الموضوعات و تسلسل المعلومات ، وكتاب تاج العروس للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ - ١٧٩٠م) الذي لا يقل أهمية عن غيره من الناحية العلمية و المنهجية ، وذلك لكونها من المصادر اللغوية المهمة في التعريف اللغوي وتحديد ماهية المصطلح الذي سنعتمد عليه في الدراسة ، و هل هناك معانٍ متقاربة بين المفردات اللغوية أم لا وما هو المعنى اللغوي الذي يتطابق مع موضوع

الرسالة ، أما في الاصطلاح فقد اعتمدت على مصادر التعريفات الاصطلاحية وأهمها وكتاب أساس البلاغة للزمخشري (٥٣٨هـ - ١١٤٣م) بجزئيه ، وذلك لما يحمله هذا الكتاب من قيمة علمية كبيرة و ايراد معانٍ متقاربة بين اللفظ اللغوي و المعنى الاصطلاحي ، وكتاب التعريفات للعلامة الجرجاني (٨١٦هـ - ١٤١٣م) وذلك لما يتميز به هذا الكتاب من سهولة و يسر ومنهجية مبسطة جداً لإفادة الباحثين ، وكتاب المعجم الفقهي لمؤلفه سعدي أبو حبيب وغيرها من المصادر وذلك لبيان المعاني الاصطلاحية كما أشرنا مسبقاً ، وما ذلك إلا لإيصال الفكرة و توضيحها للقارئ الكريم .

ثانياً - الكتب التاريخية :

أما في مجال البحث في التاريخ القديم فقد اعتمدت في عموم فصول الرسالة ومباحثها على كتب متنوعة منها :

١- كتب التاريخ العام (المصادر القديمة) : ومن أمثال ذلك كتاب تاريخ الطبري لمحمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ - ٩٢٣م) الموسوم (تاريخ الأمم والملوك أو تاريخ الرسل والملوك) المعروف بـ تاريخ الطبري ، والكتاب يؤرخ من بدء الخلق إلى نهاية سنة ٣٠٢ هـ ، وقيل سنة ٣٠٩ هـ ، بدأ الطبري من أخبار آدم إلى أن انتهى بأخبار زمانه والكتاب على طريق الأخبار وبالتسلسل ، وغالبه بالأسانيد ، ولم يشترط الطبري ثبوت جميع ما فيه بل أخذ بمبدأ " من أسند فقد أحال " ، حيث يقول الطبري في مقدمة الكتاب : " فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه ، أو يستشعنه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ، ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا ، وإنما أتى من قبل بعض ناقله إلينا ، وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا " وهو من أبرز و أهم الكتب التاريخية التي دونت في العصر العباسي لما يحمله من قيمة علمية لرواياته المختلفة وأسانيده المهمة .

و كتاب البداية والنهاية لابن كثير دمشقي (٧٧٤هـ - ١٣٧٣م) وهو عمل موسوعي تاريخي ضخم ، وعرض للتاريخ من بدء الخلق إلى نهايته يبدأ ببداية خلق السماوات والأرض والملائكة إلى خلق آدم ، ثم يتطرق إلى قصص الأنبياء مختصراً ثم التفصيل في الأحداث التاريخية منذ مبعث النبي محمد حتى سنة ٧٦٨ هـ بطريقة التبويب على السنوات وتبدأ السنة بقوله "ثم دخلت سنة.." ثم يسرد الأحداث التاريخية فيها ثم يذكر أبرز من توفوا في هذه السنة أما جزء النهاية ففيه علامات الساعة لغاية يوم الحساب بالتفصيل.

قال ابن كثير عن كتابه : " فهذا الكتاب أذكر فيه بعون الله وحسن توفيقه ما يسره الله تعالى بحوله وقوته من ذكر مبدأ المخلوقات : من خلق العرش والكرسي والسماوات ، والأرضين ، وقصص النبيين ، حتى تنتهي النبوة إلى أيام نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه ، ثم نذكر ما بعد ذلك إلى زماننا ، ونذكر الفتن والملامح وأشرار الساعة ، ثم البعث والنشور وأهوال القيامة ، وما ورد في ذلك من الكتاب والسنة والآثار والأخبار المنقولة المعقولة عند العلماء وورثة الأنبياء " .

وكتاب تاريخ اليعقوبي لابن واضح (ت ٢٨٤هـ - ٨٧٣م) المشهور بـ (تاريخ اليعقوبي) نسبة إلى مؤلفه المؤرخ اليعقوبي وهو أول كتاب اتصف بالعمل الموسوعي من كتب التاريخ في الإسلام طبع لأول مرة في ليدن سنة ١٨٦٠م ، ثم في النجف (مطبعة الغري) في ثلاثة أجزاء في (٧١٧) صفحة .

وقد بناه اليعقوبي على قسمين ، تناول في الأول تاريخ العالم منذ بدء الخليقة ، وجعل الثاني خاصاً بالتاريخ الإسلامي حتى أيام المعتمد على الله العباسي ، حوادث سنة ٢٥٩هـ (٨٧٢م) قبل وفاته بـ (٣٣) سنة .

٢- وكذلك الاعتماد على كتب العلماء المختصين (المراجع الحديثة) في مجال البحث في التاريخ القديم أمثال الدكتور فرح نعيم فرح وكتابه تاريخ الشرق الأدنى القديم ، وكتاب الحياة الاقتصادية لدولة أور الثالثة و كتاب ملحمة كلكامش للدكتور طه باقر ، وكتاب الفن العراقي القديم للدكتور ثروت عكاشة ، فضلاً عن كتب المستشرقين أمثال وول ديورانت وكتابه قصة الحضارة ، وكتاب ديانة مصر الفرعونية لمؤلفه إيريك هورنوج ، ودانيال بوتس في كتابه حضارة وادي الرافدين وغيرها من المصادر المهمة بمعلوماتها التاريخية القيمة .

٣- وإضافة للمصادر التي ذكرناها فقد اعتمد الباحث على مجموعة من الكتب القديمة التي اهتمت بدراسة الحيوان بصورة خاصة وبيان أنواعه و أصنافه و تفصيل حياته ومنافعه وكل ما يتعلق به أمثال كتاب الحيوان للجاحظ (ت ٢٥٥هـ - ٨٦٩م) وهو أول كتاب جامع وضع في العربية في علم الحيوان ، وتحدث فيه الجاحظ عن العرب وأحوالهم وعاداتهم ومزاعمهم وعلومهم ، وبعض مسائل الفقه والدين وصفوة مختارة من الشعر العربي والأمثال والبيان ونقد الكلام ، إذ أن جميع من كتبوا قبل الجاحظ في هذا المجال أمثال الأصمعي وأبي عبيدة وابن الكلبي وابن الأعرابي و السجستاني كانوا يتناولون حيواناً واحداً ، وكان اهتمامهم لغوياً وليس علمياً ، ولكن الجاحظ أهتم إلى جانب اللغة والشعر بالبحث في طبائع الحيوان و غرائزه وأحواله وعاداته ، ويعد كتاب الحيوان للجاحظ من أضخم كتبه إطلافاً ودائرة معارف واسعة الأفق ، ويعد الكتاب صورة بارزة لثقافة العصر العباسي المتشعبة الأطراف ، حيث احتوى المعارف الطبيعية والمسائل الفقهية ، وتحدث في سياسة الأقوام ، كما تكلم عن سائر الطوائف الدينية والمسائل الجغرافية وخصائص البلدان ، وتأثير البيئة في الحيوان والإنسان والشجر ، وتناول الطب وأمراض الحيوان والإنسان ، إضافة إلى عدد من المفردات الطبية النباتية والحيوانية والمعدنية ، وأبيات مختارة من الشعر العربي النادر ، والأمثال السائرة والنوادر الطريفة .

وقد عرّف الجاحظ كتابه بقوله : " هذا كتاب تستوي فيه رغبة الأمم ، وتتشابه فيه العرب والعجم ، لأنه وإن كان عربياً أعرابياً ، وإسلامياً جماعياً ، فقد أخذ من طرف الفلسفة ، وجمع معرفة السماع وعلم التجربة ، وأشرك بين علمي الكتاب والسنة وجدان الحاسة وإحساس الغريزة ، يشتهي الفاتك كما يشتهي الناسك " .

و كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري (ت ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ م) هو أشهر مؤلفات كمال الدين الدميري ويمتاز الكتاب بإضافة المواد التاريخية وتفسير المنامات التي تقع فيها تلك الحيوانات ، ويضم (١٠٦٩) مادة مرتبة على حروف المعجم ، فهو يترجم لكثير من الحيوانات في موطن شتى ، حسب تعدد أسمائها ، أو اختصاص أولادها وإنثائها بأسماء أخرى ، وتحتل الطيور والثدييات منزلة ممتازة في الكتاب ، ونظراً لأهمية هذا الكتاب فقد ترجم إلى لغات عدة منها التركية و الانكليزية و الفرنسية ، قال عنه السخاوي في (الضوء اللامع) : (وهو كتاب نفيس ، أجاده وأكثر فوائده ، مع كثرة استطراده فيه من شيء إلى شيء ، وله فيه زيادات ، لا توجد في جميع النسخ ، وتوهم أن فيها ما هو مدخول لغيره ، إن لم تكن جميعها ، لما فيها من المناكير ، وقد جردها بعضهم ، بل اختصر الأصل التقي الفاسي سنة ٨٢٢ هـ ونبه على أشياء مهمة ، يحتاج الأصل إليها) و ذكره حاجي خليفة قائلاً : (وهو كتاب مشهور في هذا الفن ، جامع بين الغث والسمين ، لأن مصنفه فقيه فاضل ، محقق في العلوم الدينية ، لكنه ليس من أهل هذا الفن كالجاحظ ، وإنما مقصده تصحيح الألفاظ وتفسير الأسماء المبهمة) .

و بهذا المنحى من القيمة العلمية للكتب التي تحدثت عن الحيوان في العصور الإسلامية الأولى نحا كتاب أنساب الخيل للكلبي (ت ٢٠٤ هـ - ٨١٩ م) و كتاب الخيل لأبي عبيدة (ت ٢٠٩ هـ - ٨٢٤ م) ، وغيرها من المصادر القديمة التي تزخر بالمعلومات المتنوعة عن الحيوانات مع اقتصارها على أنواع محددة .

ثالثاً - كتب التفسير :

فضلاً عما تقدم استعنت بكتب التفسير و بالأخص في الفصل الثالث لكون العمل فيه تركز على القصص القرآني وخاصة قصص الحيوان ، ومثال ذلك تفسير الطبري ، ولعله يعد في طليعة كتب المفسرين المهمة وذات القيمة العلمية الكبيرة وهو كتاب (جامع البيان في تفسير القرآن) أو (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) المعروف بـ "تفسير الطبري" للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري (٢٢٤ هـ - ٣١٠ هـ / ٨٣٩ - ٩٢٣ م)، فهو من أشهر الكتب الإسلامية المختصة بعلم التفسير عند أهل السنة والجماعة ، ويُعدُّه البعض المرجع الأول للتفسير بالمأثور ، حيث يذكر الآية من القرآن ثم يورد آراء الصحابة والتابعين في تفسيرها بأسانيدھا ، ويهتم بالقراءات المختلفة في كل آية ويرجح إحداها ، ويسرد الأحاديث النبوية بأسانيدھا ، والأحكام الفقهية ، وإن لم يخلُ من كثرة الوضع والدس الإسرائيلي أو ما عرف بالإسرائيليات ، وقد يعول عليه الباحثون كثيراً .

وتفسير الرازي (ت ٦٠٦ هـ - ١٢٠٩ م) ويعد هذا التفسير موسوعة ضخمة في تفسير القرآن وعلومه ، حيث يقع في اثنين وثلاثين جزءاً في ستة عشر مجلداً ، مطبوعة و متداولة بين أهل العلم حيث يحظى بالشهرة الواسعة نظراً لما يشتمل عليه من أبحاث تضم أنواعاً متعددة من مسائل العلوم المختلفة ، وهو من كتب التفسير بالرأي ، وهو أشبه ما يكون بموسوعة كبيرة في علوم الكون والطبيعة والعلوم التي تتصل اتصالاً من قريب أو بعيد بعلم التفسير والعلوم الخادمة له والمترتبة عليه استنباطاً وفهماً ، ومن أهم أهداف هذا التفسير تتمثل في الدفاع عن القرآن

والاستشهاد له بالعلوم والمعارف ، والدفاع عن العقيدة الإسلامية برد شبهات المشككين والطاعنين وبانتزاع الريادة في التفاسير العقلية ، وبيان التناسق والترابط بين السور والآيات القرآنية لإثبات الوحدة الموضوعية للقرآن .

ومن التفاسير أيضاً كتاب تفسير السيوطي (ت ٩١١ هـ - ١٥٠٥ م) المعروف بـ(الدر المنثور في التفسير بالمأثور) وهو كتاب من كتب التفسير الضخمة بل يعد موسوعة تفسيرية ضخمة ، ألفه الحافظ جلال الدين السيوطي ، وقد حشد فيه المؤلف ما أثر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة والتابعين من تفاسير لآيات وسور القرآن ، مقتصرًا في الرواية على متون الأحاديث حاذفاً منها أسانيداً ، ويدون كل ما ينقله بعد الرجوع إلى كل المصادر التي رجع إليها ، وجمع ما ورد عن الصحابة والتابعين في تفسير الآيات ، وضم لها ما ورد فيها من الأحاديث المخرجة من كتب الصحاح والسنن وبقيّة كتب الحديث ، وحذف الأسانيد للاختصار ، مقتصرًا على متن الحديث ، وقد اختصر السيوطي هذا التفسير من كتابه (ترجمان القرآن) الذي توسع فيه في ذكر الأحاديث ما بين مرفوع وموقوف ومسدّد حتى بلغت بضعة عشر ألف حديث ، لكنه سرد الروايات عن السلف في التفسير ولم يعقب عليها ، ولم يرجح من بين الأقوال القول الأصح ، ولم يتحرى الصحة فيما جمع في هذا التفسير ، ولم يبين الصحيح من الضعيف ، مما يجعل الكتاب محتاجاً إلى تنقيح وتحقيق وتمييز الصحيح من الضعيف ، وقد قام على تحقيق الكتاب عبد الله التركي في ١٧ مجلداً .

وأما تفسير الطوسي (التيبان في تفسير القرآن) وهو من التفاسير الشيعية ومن تأليف محمد بن حسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ) ، يعد هذا الكتاب هو أكمل تفسير شيعي بمعنى أنّه مفسّر وجامع لكل آيات القرآن والمؤلف وظّف فيه جميع طرق التفسير لشرح الآيات القرآنية المباركة كما أنه يعتبر من أقدم مصادر التفسير ، وقد انتهج العديد من مفسري الشيعة للقرآن نهج الطوسي في التفسير إذ أنه لم يكتف بالمأثور عن أهل البيت عليهم السلام ، بل ركّز على عنصر العقل وأخذ بنظر الاعتبار العلوم المختلفة في تفسيره مدققاً آراء المفسرين الماضين والمعاصرين له ، ومن هذا المنطلق اعتبر البعض أن هذا التفسير يشمل علوماً مختلفة كالصرف والنحو والاشتقاق والمعاني والبيان والحديث والفقه والكلام والتأريخ .

و تفسير الطبرسي المسمى (مجمع البيان في تفسير القرآن) ، ويعد من أهم التفاسير الشيعية للقرآن الكريم ، وهو من تأليف الفقيه والمفسر الشيعي الفضل بن الحسن الطبرسي (٤٦٩ - ٥٤٨ هـ) ، وأعتبره بعض الباحثين من التفاسير القيمة الذي وقع موقع القبول عند الشيعة وأهل السنة والجماعة ، وهو من أقدم المصادر التفسيرية ، كما تبرز أهميته من حيث الدقة والترتيب والإتقان والوضوح ، ومن مميّزات هذا التفسير أن المؤلف تطرق فيه لتفسير القرآن الكريم معتمداً في ذلك على اللغة ، ثم الإعراب ، ثم الحجة ، ثم القراءة ، ثم المعنى ، ولم يقتصر المؤلف على آراء مذهب دون آخر ، بل ذكر آراء جميع المذاهب الإسلامية ، فجاء هذا التفسير مميّزاً عن سائر التفاسير ومعتزلاً به من قبل الأمة الإسلامية قاطبة .

وعلى هذا النحو من القيمة المعرفية كانت مصادر التفسير الأخرى عند المحدثين أمثال تفسير الأمتل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي و تفسير الميزان للسيد محمد حسين الطباطبائي وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور .

رابعاً - المصادر الأدبية :

ولم يغب عن الرسالة استخدام بعض المصادر الأدبية و الشعرية ، فقد استخدم الباحث مجموعة من الدواوين الشعرية لتعزيز المعلومات التاريخية بما يثبتها من قرائن شعرية ، ومن ذلك ديوان أوس بن حجر بن مالك الأسدي التميمي ، شاعر مضر أبو شريح ، و هو من أسيد بن عمرو بن تميم رهط أكثم بن صيفي حكيم العرب (٩٥-٢ ق.هـ/٥٣٠-٦٢٠ م)، من كبار شعراء تميم في الجاهلية ، وديوان طفيل بن عوف بن كعب الغنوي ، ويكنى أبا قران ، من بني غني ، من قيس عيلان (١٣ ق.هـ / ٦٠٩ م) شاعر جاهلي فحل ، من الشجعان وهو أوصف العرب للخيول وربما سمي (طفيل الخيل) لكثرة وصفه لها ، ويسمى أيضاً "المحبر" لتحسينه شعره ، عاصر النابغة الجعدي وزهير بن أبي سلمى ، ومات بعد مقتل هرم بن سنان ، وغير ذلك من الدواوين ، وكتب الأدب المهمة أمثال كتاب الكنز اللغوي لأبن السكيت (ت٢٤٤ هـ - ٨٥٨م) الموسوم (كتاب الكنز اللغوي في اللسان العربي) تحقيق هفتر ، وهو كتاب يدخل في دائرة اهتمام الباحثين في مجال اللغة العربية بشكل خاص والباحثين في التخصصات قريبة الصلة بوجه عام ، حيث يقع كتاب الكنز اللغوي في نطاق تخصص علوم اللغة العربية ووثيق الصلة بالتخصصات الأخرى مثل البلاغة اللغوية والأدب العربي والشعر والنثر وغيرها من الموضوعات اللغوية التي تهتم الدارس في هذا المجال .

وكتاب نهاية الإرب للنويري (ت٧٣٣ هـ - ١٣٣٣م) الموسوم (نهاية الأرب في فنون الأدب) وهو موسوعة أدبية أنجزها المؤرخ المصري شهاب الدين النويري قبل عام ٧٢١ هـ ، و جمع فيها خلاصة التراث العربي في شقيه ، الأدب والتاريخ ، ويقع الكتاب في ثلاث وثلاثين مجلدة تضم نيفاً وأربعة آلاف وأربعمائة صفحة ، وتأتي قيمة الكتاب في أنه نموذج فذ لترتيب التراث الأدبي ، وخاصة في أجزائه الاثني عشرة الأولى ، وما بعد ذلك يبدأ قسم التاريخ فيستوعب بقية أجزاء الكتاب الثلاثين ، ومنها الأجزاء (١٦ و ١٧ و ١٨) في السيرة النبوية ، وقد لخص النويري في كتابه حوالي ثلاثين كتاباً من كتب الأدب كالأغاني وفقه اللغة ومجمع الأمثال ومباهج الفكر وذم الهوى ، إضافة إلى تلك الملخصات نقل النويري من أكثر من ٧٦ كتاباً ما بين مخطوط ومطبوع لكبار الأدباء والمنشئين والمؤرخين .

ويقول النويري : " فامتطيت جواد المطالعة وركضت في ميدان المراجعة ، وحيث ذلّ لي مركبها ، وصفا لي مشربها ، آثرت أن أجرد كتاباً أستأنس به وأرجع إليه وأعول فيما يعرض لي من المهمات عليه ، فاستخرت الله - سبحانه وتعالى - وأثبتت منها خمسة فنون حسنة الترتيب ، بيّنة التقسيم والتبويب ، كل فن منها يحتوي على خمسة أقسام " .

خامساً - كتب الجغرافية :

فضلاً عن استخدام بعض الكتب الجغرافية مثل كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت ٦٢٢ هـ - ١٢٢٥ م) وهو موسوعة شهيرة للأديب والشاعر الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي المشهور ب (ياقوت الحموي) ، ولقد كتبها بين الأعوام ١٢٢٠ و ١٢٢٤ ميلادية ، ويعد معجم البلدان مصدراً تاريخياً هاماً لوصف تلك الحقبة ، وتمت طباعته عدة مرات وترجم إلى مختلف اللغات كما أن الكتاب يحتوي على وصف لبلدات ومدن ودول عديدة خلال تلك الفترة بأسلوب عربي بليغ ويذكر في كتابه مواضيع كثيرة منها أخبار البلدان و تعريف وحدات القياس المتداولة في زمانه كالفرسخ والبريد والكورة والميل ، وتعريف بالأراضي والأقاليم التي ينتشر فيها الدين الإسلامي في زمانه ، و ذكر البوادي والقفار ومنازل العرب اعتماداً على الشعر العربي والنثر المغني والأمثال من هؤلاء العلماء الأصمعي وهشام الكلبي وأبو سعيد السيرافي .

و كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني (ت ٣٣٦ هـ - ٩٤٧ م) وهو كتاب وضعه الرحالة والجغرافي (ابن الحائك) أبو محمد الهمداني في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، يصف فيه جغرافية الجزيرة العربية وحياتها النباتية ويعدّ ما فيها من القرى والقبائل ، كما يقيم فيها "فصاحة" المناطق المختلفة ، وفيها ذكر مشهور لقبيلة في اليمن كانت لا تزال تتحدث بلغة عربية جنوبية ، سماها المؤلف "حميرية" .

سادساً - الرسائل و الأطاريح الجامعية :

كما استخدمت بعض الرسائل و الأطاريح الجامعية مثل اطروحة الدكتوراه (الرمزية في الفكر الديني) للباحثة د. خمائل شاكر والتي تستعرض في بعض موضوعاتها عبادة الإنسان للحيوانات في العصور القديمة ، و رسالة ماجستير للباحثة سجي مؤيد عبد اللطيف والموسومة (الحيوان في أدب العراق القديم) والتي توضح أهمية الحيوان للإنسان في العصور القديمة حتى فترة العرب قبل الإسلام الأمر الذي جعل العرب ينشدونها في أشعارهم وغيرها .

سابعاً - البحوث الأكاديمية :

وبالإضافة لما تقدم فقد استعان الباحث بمجموعة من البحوث الأكاديمية المنشورة والمتخصصة في دراسة الحيوانات ، ومثال ذلك بحث منشور للأستاذ فوزي رشيد بعنوان (وسائل النقل البرية) و بحثان بعنوان (العائلة الخيلية ، القرابين الحيوانية) للدكتور صلاح رشيد الصالحي ، وكذلك بحثان بعنوان (الثور المقدس في حضارة وادي الرافدين ، أثر الميثولوجية الدينية في السياسة التوسعية) للدكتور سعد عبود سمّار و غيرها من البحوث القيمة والتي تم تثبيتها في هوامش الرسالة ، فضلاً عن استخدام مجموعة من المصادر الأجنبية .

أهم المشاكل و المعوقات :

أما طبيعة العمل أثناء كتابة الرسالة و المشاكل التي تقع في كل عمل وأسباب ذلك ، فقد تمثلت المشاكل والمعوقات بمجموعة من الظروف أبرزها أن الرسالة تكونت من ثلاث فصول منها فصل عن التاريخ القديم وهو الفصل الأكثر مشقة من حيث صعوبة الحصول على مصادر تاريخية تتحدث عن الحيوان في تلك الفترة ، وفي بعض الأحيان تتم الاستعانة بمصادر أجنبية وهي تحتاج إلى ترجمة دقيقة لنتمكن من توظيفها في طيات البحث ، أظف إلى ذلك صعوبة الحصول على المصادر الغير موجودة في منصة البحث الألكترونية (كوكل) الأمر الذي تطلب السفر في بعض الأحيان ، فكانت لي جولة إلى المتحف الوطني في بغداد للاستعانة بمعلومات تاريخية قديمة .

إضافة إلى مشكلة أخرى وهي جائحة كورونا وما يترتب على ذلك ، إلا أن استخدام الأقراص الألكترونية (Pdf) و الكتب المصورة والمكتبات الموجودة في منصة البحث (كوكل) خففت الكثير من المعاناة و ساعدتني في تسهيل مهمة الكتابة وإن كان وقت الكتابة قصير نسبياً .

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدم بالحمد بالشكر والثناء إلى الله تعالى الذي منحني الحياة و القوة والنعم التي لا تحصى لكي أكمل كتابة هذه الرسالة المتواضعة التي أرجو أن تكون فيها فائدة لخدمة العلم و العلماء و كل من يطلع عليها ، والحمد لله رب العالمين .

الباحث

الفصل الأول

نبذة عن الحيوان وأهميته في حضارات الشرق الأدنى القديم

المبحث الأول

تعريف الحيوان لغة و اصطلاحاً

الحيوان لغة : مصدر (حي) وقياسه (حييان) و الحياة حركة كما أن الموت سكون ، فمجيئه على ذلك مبالغة في الحياة^(١) ، قيل : الحيوان جنس للحي ، و الحيوان الحياة ، و ماء في الجنة ، والحيوان ، كل ذي روح وهو نوعان مكلف و غير مكلف ، و قوله تعالى (لهي الحيوان) أي الباقية^(٢) .

وقيل الحيوان : هو ما كان ذي روح ، وهو عكس الموات : فهو ما لا روح فيه^(٣) .

وقيل الحيوان خلاف الموتان^(٤) ، وقيل الحيوان : الناطق ، وما سواه الصامت^(٥) .

وقيل الحيوان : هو ما كان ذي روح ، وهو عكس الموات : فهو ما لا روح فيه^(٦) .

وقيل الفرق بين الحيوان والحي أنَّ الحيوان هو الحي ذو الجنس ويقع على الواحد والجمع واما قوله تعالى (وَأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ) فقد قال بعضهم يعني البقاء يريد انها باقية ولا يوصف الله تعالى بانه حيوان لانه ليس بذي جنس^(٧) .

وقيل : جميع الحيوان ضربان : أعجم و فصيح ، فالفصيح كل ناطق ، و الأعجم كل ما لا ينطق ، وفي الحديث (غفر له بعدد كل فصيح وأعجم) أراد بالفصيح بني آدم و بالأعجم البهائم^(٨) .

يتضح مما تقدم أن التعريف اللغوي لمفردة الحيوان يعني الحياة عند كل ذي روح و هو ما يشترك به الإنسان العاقل الناطق و الكائنات الحية المتحركة الأخرى التي هي غير الإنسان والتي تكون غير عاقلة و غير ناطقة ، ونعني بالنطق أي الكلام المفهوم للإنسان ، وهو الفصيح

(١) . الطريحي : الشيخ فخر الدين (ت١٠٨٥هـ) ، مجمع البحرين ، ت. أحمد الحسيني ، ط٢ ، مكتبة

الثقافة الإسلامية ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ج١ ، ص٦١٠ .

(٢) . ابن منظور : ابي الفضل جمال الدين (ت٧١١هـ) ، لسان العرب ، نشر أدب الحوزة ، قم - إيران ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، ج١٤ ، ص٢١٤ .

(٣) . المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٩٣ .

(٤) . الجوهرى : اسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ) ، تاج اللغة وصحاح العربية ، ت. أحمد عبد الغفور العطار ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ج١ ، ص٢٦٧ .

(٥) . الرازي : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦هـ) ، مختار الصحاح ، ط٢ ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م ، ص٣٤١ .

(٦) . ابن منظور : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٩٣ .

(٧) . ابو هلال العسكري : الحسن بن عبد الله (ت٣٩٥هـ) الفروق اللغوية ، ت. مؤسسة النشر الإسلامي ، ط١ ، نشر جماعة المدرسين ، قم - إيران ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، ص١٧٣ .

(٨) . ابن منظور : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٥٤٤ .

الوارد في الحديث المتقدم ، أما الأعجم فيشمل أصوات الحيوانات غير المفهومة لدى الإنسان وهي سائر الدواب التي تمشي على الأرض بما فيها الحشرات و الطيور و التي ستكون محور موضوعنا في هذه الرسالة .

وتعرف الدواب أنها ما دب من الحيوان ، و غلب على ما يركب^(١) ؛ و قيل الدابة اسم ما دب من الحيوان مميزه و غير مميزه ، و في قوله تعالى (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ۚ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)^(٢) ، و الدابة : التي تركب وقد غلب هذا الاسم على ما يركب من الدواب وهو يقع على المذكر و المؤنث ، و حقيقته الصفة^(٣) .

وهذا المعنى سيأخذ القدر الأكبر مدار البحث في هذه الرسالة ، و التي تتضمن (الحيوان في القرآن الكريم ومقارنته مع المصادر التاريخية) .

الحيوان اصطلاحاً : الحيوان الجسم النامي الحساس المتحرك بالإرادة^(٤) ؛ وقيل الحيوان : مصدر حيي و حياة ، وهو جسم نامٍ حساس متحرك بالإرادة ، ما عدا الإنسان فهو حيوان ناطق وله صفاته الخاصة به كالعقل المفكر و النطق غير الموجودة في أنواع الحيوانات الأخرى ، والحيوانات أنواع مختلفة بري مفترس و بحري و أليف و طفيلي و حيوانات مجتررة و ثديّة وفقارية و قشرية و قاضمة و حيوانات داجنة^(٥) .

والحيوانات الأهلية هي ما دجن من الحيوانات ، أما المفترسة فهي التي تعيش في الغابات البرية كالأسد والنمر ، ويقال حديقة الحيوان : و هي تشتمل على أصناف من الحيوانات الحية للعرض^(٦) .

فالحيوان يعيش في اللحظة التي هو فيها ، ولا ينظر إلى المستقبل ولا يتأثر في سلوكه بأصداء الماضي^(٧) ، فهو كائن حي يمتاز بالحياة والحس والحركة ، ومثاله : الأسد وهو حيوان مفترس ، و الكلب وهو حيوان أليف^(٨) .

(١) الفيروز آبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ) ، القاموس المحيط ، دار الحديث ، القاهرة - مصر ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م ، ج ١ ، ص ٦٤ .

(٢) القرآن الكريم : سورة النور (٤٥) .

(٣) الزبيدي : محب الدين أبي فيض محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، ت. علي شيري ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، ج ١ ، ص ٤٧٨ .

(٤) الجرجاني : علي بن محمد السيد الشريف (ت ٨١٦هـ) ، معجم التعريفات ، ت. محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة - مصر ، ٢٠٠٤م ، ص ٨٤ .

(٥) عمر : أحمد مختار ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ط ١ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م ، ج ١ ، ص ٥٩٩ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٩٩ .

(٧) القبانجي : السيد حسن ، شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (ع) ، ط ١ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٢م ، ج ١ ، ص ٨٥ .

(٨) مسعود : جبران ، المعجم الرائد ، ط ٧ ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٢م ، ص ٣٢١ .

أما التعريف الفقهي للحيوان : فهو لفظ مفرد وجمعه حيوانات ، ما فيه الحياة ، يستوي فيه المفرد والجمع ، وقيل هو كل ذي روح من المخلوقات عاقلاً أم غير عاقل ، وقيل كل ذي روح من المخلوقات غير العاقلة^(١) .

قال الجاحظ والحيوان على أربعة أقسام : " شيء يمشي ، شيء يطير ، شيء يسبح ، شيء ينساح ، إلا أن كل طائر يمشي ، وليس الذي يمشي ولا يطير يسمى طائراً ، والنوع الذي يمشي على أربعة أقسام : ناس ، وبهائم ، وسباع ، وحشرات ، على أن الحشرات راجعة في المعنى إلى مشاكللة طباع البهائم والسباع^(٢) .

ونذكر أحد الباحثين أيضاً قوله " اعلم أنه إذا تأملنا في العدد العظيم من الحيوانات التي تعيش على سطح الكرة نتعجب أولاً من أشكالها و ألوانها المختلفة التي تكون بهيجة جداً في بعض الحيوانات ، ومن عظم بعضها الموهول وصغر البعض الآخر جداً ، لكن متى أمعنا النظر وبحثنا عن بنية كل كائن ورأينا الإتقان الذي يوجد في جميع أعضائها وانتظام وظائفها ، وعلمنا أن من الحيوانات الأخرى الثديية البحرية ذوات الجثة الموهلة إلى الحيوانات الصغيرة البنية التي تخفى على النظر ، نجد أن هذه الكائنات ذات بنية واحدة في كل حيوان متحد النوع ، وإن هذه البنية تتنوع بحسب تنوع الحياة وعوائد كل حيوان أي بحسب كونه يعيش في الأرض أو في الماء أو يرتفع في الهواء وحينئذ يحصل للإنسان مزيد رغبة في تحصيل هذا العلم وممارسته^(٣) .

المبحث الثاني

مكانة القرآن كمصدر لدراسة تاريخ العرب قبل الإسلام

للقرآن الكريم منزلته العظمى لا عند الأمم الإسلامية فحسب بل عند كافة العناصر و مختلف القوميات و الطوائف كافة ، وهو المعجزة الخالدة على مر الأزمان ، وتطور البشرية ، وكان ولا يزال الأثر الساطع و البرهان القاطع في الوحي السماوي ، والتشريع الإلهي ، لما اشتمل عليه من تبيان الأحكام ، ومسائل الحلال و الحرام ، فضلاً عن أخبار الماضين ، وحوادث المتأخرين ، وما يحتاجه الناس في معاملاتهم ، وأمور معاشهم من نظم اجتماعية ، و دساتير أخلاقية ، لحفظ نوعهم ، و صيانة مجتمعهم ، كما كشف عن غوامض الإيجاد ، و أسرار التكوين في المبدأ و المعاد ، و أوضح علل الاجتماع لكل زمان و مكان صاعداً بالإنسانية إلى أسمى معارج الارتقاء و الخلود والبقاء ، فكفلت تعاليمه و سننه ، و مناهجه و نظمه السمو و الرقي و الفوز و النجاح و السعادة في الدارين^(٤) .

و قد وصفه أحد الباحثين بقوله : " ولا ريب في أن القرآن هو كتاب الله المنزل على رسوله لهداية الناس و إرشادهم و تركيتهم و إخراجهم من الظلمات الى النور ، وهو كتاب

(١) قلنجي : أ.د محمد رواس ، معجم لغة الفقهاء ، ط١ ، دار النفائس ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٥ هـ -

١٩٨٥ م ، ص ١٤٤ .

(٢) ابي عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) ، كتاب الحيوان ، ت. عبد السلام محمد هارون ، ط٢ ، مكتبة الجاحظ ، مصر ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م ، ج ١ ، ص ٢٧ .

(٣) أفندي : أحمد ، الحجج البينات في علم الحيوان ، دار الطباعة الخديوية ، بيروت ، ١٨٦٧ م ، ص ١٠ .

(٤) الطريحي : الشيخ فخر الدين (ت ١٠٨٥ هـ) ، تفسير غريب القرآن ، ت. محمد كاظم الطريحي ، انتشارات زاهدي - قم المقدسة (د.ت) ، ص ٣ ؛ وينظر العابد : د. مفيد رائف ، حول مصادر تاريخ العرب ، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، سوريا ، لجنة كتابة تاريخ العرب ، العدد (٦) ، ١٩٨١ م ، ص ١٣٠ .

دستور لجميع البشرية من زمن نزوله إلى الأبدية ، وهو الفرقان الذي يفرق بين الحق و الباطل ، والتبيان لكل شيء ، و الهادي لسبل الخير و الصلاح ، و المحذر عن كل شر و ضلال ، وهو كتاب الله القويم الذي لا يعتريه أي خطأ أو اشتباه ، ولا تمسه أيدي المضلين ، و هو الرابط بين الخالق و خلقه ، والمبين لأحكام الله و شرايعه ، وهو الكتاب الذي أعجز الكل من الجن و الإنس من أن يؤتوا بمثله حتى سورة واحدة وأخبرهم بأنهم لا يقدرّون على ذلك ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وهو الكتاب الذي بشر المتقين بالرحمة و الرضوان و أوعد الكافرين بالغضب و النيران وهو الكتاب الذي له بطون و تأويلات عديدة كما أخبر الله سبحانه عنه ، لا يعلم تأويله إلا الله و الراسخون في العلم ^(١) .

يُعدّ القرآن الكريم من المصادر المهمة لدراسة التاريخ و ذلك لما يتمتع به من مجموعة مميزات أهمها كونه كتاب سماوي منزل من الله تعالى وهذا الأمر يضيف عليه موثوقية لمعلوماته التاريخية التي يقدمها في نصوصه الشريفة ، لذا نلاحظ أن الباحثين و المؤرخين عندما يأخذوا الحادثة التاريخية من القرآن الكريم يعدها من المسلمات ولا يناقش في التفاصيل التي يذكرها القرآن الكريم إلا ما كانت على نحو الإشارة المبهمة ، بل يكون نقاش الباحثين في التفاصيل التي تذكر بغير القرآن الكريم سواء كانت هذه التفاصيل مذكورة في كتب التاريخ العام أو النقوش الكتابية أو الكتب التوراتية و الإنجيل و غيرها من المصادر التي تورد معلومات تاريخية ، ويؤكد ما تقدم قوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ^(٢) ، فليس هناك من شك

في أن القرآن الكريم كمصدر تاريخي من أصدق المصادر و أصحها على الإطلاق فهو موثوق السند وهو كتاب الله تعالى الذي أنزله على نبيه فلا سبيل إلى الشك في معلوماته و قيمته المعرفية و وثاقته التاريخية فهو كتاب لا يقبل الجدل فالقصص القرآني هو أنباء و أحداث تاريخية لم تلتبس بشيء من الخيال أو الوهم أو الوضع و التدليس فهو يعكس لنا الواقع الذي كانت تعيشه الأمم السابقة وما يتضمنه من أحداث دون تحريف أو تبديل مع احتفاظه بإطاره العام و رسالته السامية المتمثلة بالهداية و الإرشاد ^(٣) .

وصف النبي الأكرم القرآن الكريم بوصف يوضح أهميته من ناحية الموثوقية التي يتمتع بها و كذلك مكانته في جوانب الحياة الأخرى فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : " فإذا التبت عليكم الفتن كقطع الليل المظلم ، فعليكم بالقرآن ، فإنه شافع مشفع و ما حل مصدق من جعله أمامه قاده إلى الجنة و من جعله خلفه ساقه إلى النار ، وهو الدليل يدل على خير سبيل وهو كتاب تفصيل و بيان تحصيل وهو الفصل ليس بالهزل ، وله ظهر و بطن ، فظاهره حكمة و باطنه علم ، ظاهره أنيق و باطنه عميق ، له نجوم و على نجومه نجوم ، لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه ، فيه مصابيح الهدى و منار الحكمة ، و دليل على المعروف لمن عرف النصفة ، فليرع رجل بصره و ليبلغ الصفة نظره ينجو من عطب و يخلص من نشب فإن التفكير حياة قلب البصير ،

(١) - المشهدي : الميرزا محمد القمي ، تفسير كنز الدقائق ، ت. الحاج مجتبی العراقي ، مؤسسة النشر

الإسلامي ، قم - إيران ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، ج ١ ، ص ٣ .

(٢) - القرآن الكريم : سورة فصلت ، آية ٩ .

(٣) - عبد الحميد : د. صائب ، علم التاريخ و مناهج المؤرخين ، ط ٢ ، مركز الغدير ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ، ص ٧٢ .

كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور ، يحسن التخلص ويقل التربص ^(٤) ، كما وصف أمير المؤمنين عليه السلام القرآن بقوله " كتاب الله تبصرون به ، وتنطقون به ، وتسمعون به وينطق بعضه ببعض ، ويشهد بعضه على بعض ، لا يختلف في الله ، ولا يخالف بصاحبه عن الله " ^(١) . يقول السيد الطباطبائي هذا هو الطريق المستقيم و الصراط السوي الذي سلكه معلموا القرآن وهداته صلوات الله عليهم ^(٢) .

كما تطرق الشيخ الطبرسي في حديثه عن القرآن الكريم " إن أشرف العلوم و أسناها ، و أبهرها و أبهاها ، و أجلها و أفضلها ، و أنفعها و أكملها ، علم القرآن ، فإنه لجميع العلوم الأصل ، منه تتفرع أفانينها ، و العماد عليه تبنى قوانينها " ^(٣) . و روى عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله : " القرآن ظاهره أنيق ، وباطنه عميق ، لا تقنى عجائبه ، ولا تنقضي غرائبه " ، وعنه أيضاً " ما من شيء إلا و علمه في القرآن غير أن آراء الرجال تعجز عنه " ^(٤) ، و روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال : " إذا أردتم العلم فأتثروا القرآن ، فإن فيه علم الأولين و الآخرين " ^(٥) .

وصف ابو حيان الأندلسي في تفسيره القرآن الكريم بقوله : " المخصوص بالقرآن المبين و الكتاب المستبين الذي هو أعظم المعجزات و أكبر الآيات البينات السائرة في الأفاق الباقي بقاء الأطواق في الأعناق ، الجديد على تقادم الأعصار اللذيذ على توالي التكرار ، الباسق في الإعجاز إلى الذروة العليا الجامع لمصالح الآخرة و الدنيا ، الجالي بأنواره ظلم الإلحاد ، الحالي بجواهر معانيه طلى الأجياد " و روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : إنه ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، قيل : فما النجاة منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله تعالى ، فيه نبأ من قبلكم و خبر ما بعدكم و حكم ما بينكم ، وهو فصل ليس بالهزل ، من تركه تجبراً قصمه الله تعالى ، و من ابتغى الهدى في غيره أضله الله تعالى ، وهو حبل الله المتين و نوره المبين و الذكر الحكيم و الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيف به الأهواء ولا تنتشعب معه الآراء ولا يشعب منه العلماء ولا يملأ الأتقياء ، من علم علمه سبق و من عمل به أُجر و من حكم به عدل

- (١) الكليني : أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق (ت ٣٢٩هـ) ، كتاب الكافي ، ت. علي أكبر غفاري ، طه ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٣٦٣هـ ، ج ٢ ، ص ٥٩٩ ؛ المجلسي : محمد باقر (ت ١١١١هـ) ، بحار الأنوار ، ط ٢ ، مؤسسة الوفاء ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ج ٧٤ ، ص ١٧٧ ؛ الحر العاملي : الشيخ محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ) ، وسائل الشيعة ، ت. مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) ، مطبعة مهر ، قم - إيران ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، ج ٦ ، ص ١٧١ .
- (٢) الإمام علي (عليه السلام) : نهج البلاغة ، جمع الشريف الرضي ، شرح الشيخ محمد عبده ، ط ١ ، دار النخائر ، قم - إيران ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، ج ٢ ، ص ١٧ .
- (٣) الطباطبائي : محمد حسين الحكيم ، تفسير الميزان ، منشورات جماعة المدرسين ، قم - إيران ، (د.ت) ، ج ١ ، ص ١٢ .
- (٤) أبي علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ) ، تفسير مجمع البيان ، ت. لجنة من العلماء ، ط ١ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، ج ١ ، ص ٣٣ .
- (٥) السمرقندي : نصر بن محمد بن إبراهيم (ت ٣٨٣هـ) ، تفسير السمرقندي (بحر العلوم) ، ت. د. محمود مطرجي ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، (د.ت) ، ج ١ ، ص ٣٥ .
- (٦) الطبرسي : مجمع البيان ، ج ١ ، ص ٣٣ .

ومن عصم به فقد هدي إلى صراط مستقيم ، وقال رسول الله ﷺ : من أراد علم الأولين و الآخرين فليثور القرآن ^(١) .

وأشار بعض الباحثين إلى هذه الأهمية التاريخية و الوثيقة التي يحملها القرآن الكريم و التي تستمد من آيات القرآن نفسه ، فقد ذكر بعضهم أن " قصص القرآن هو القصص الحق ، و الحق هنا معناه الصدق و الصحة والصواب ، من حيث المعنى و المضمون و المحتوى ، فكل ما ورد في القرآن من القصص فهو حق ، سواء كان موضوعه عقيدة أو دعوة ، أو تشريعاً أو توجيهاً " ^(٢) .

وهذا حكم عام على كل ما ورد في القرآن الكريم سواء قصص تاريخية أو أحكام شرعية ، لذا ومن هذا المنطلق تعد القصص القرآنية ذات أهمية كبيرة لما تحمل من أحداث تاريخية صحيحة ، لذلك نرى أن المصادر التاريخية القيمة اعتمدت بشكل مباشر على القصص القرآنية في الحديث عن الأمم التي عاشت قبل الإسلام و التاريخ القديم ، و لعل الطبري من أبرز المصادر المهمة التي نلحظ بها ذكر للأقوام السابقة معتمداً بالدرجة الأولى على القرآن الكريم كمصدر تاريخي مع أنه يعتمد على مصادر أخرى كالتوراة و الإنجيل و الروايات الشفهية و الإسرائيلية و غيرها من المصادر التي تتعلق بعصر العرب قبل الإسلام .

ومثال على ذلك نراه يتطرق إلى ذكر قصة آدم عليه السلام و كيف خلقه الله و أسكنه الجنة و ما كان من أمر الملائكة في سجودهم لآدم معزراً ذلك بنصوص القرآن الكريم لأنه أوثق مصدر يتحدث عن هذه الأحداث التاريخية ، وبعد ذلك يتطرق إلى تفاصيل هبوط آدم من الجنة و حادثة اقتتال أبناء آدم ، إلا أنه ذكر تفاصيل لم ترد في القرآن لذلك استعان بمصادر أغلبها تورانية و إسرائيلية لذلك لم تكن تلك التفاصيل الواردة عنده موثوقة و يدل على ذلك الاضطراب الواضح و التناقض بين الروايات ^(٣) .

و بالمنهجية نفسها نلحظ إيراد لقصة نبي الله نوح عليه السلام و كيف عاش مع قومه حيث دعاهم إلى الله تعالى لمدة ٩٥٠ عاماً إلا أنهم لم يستجيبوا له إلا قليلاً منهم ، مستندا بذلك إلى قوله تعالى (قَالَ نُوحُ رَبِّ انْصُرْنِي وَانصُرْ عِبَادِي وَانصُرْ نِيَّةَ الَّذِينَ هُمْ عَشْرُونَ * لَمْ يَرْزُقْهُ مَالُهُ وَكَذَلِكَ إِخْسَارًا * وَكَرَّوْا مَكْرًا كَبِيرًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَكَافُورًا وَابْرَئِيلَ وَهَارُونَ وَكَافُورًا وَابْرَئِيلَ وَهَارُونَ وَكَافُورًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا كَثِيرًا) ^(٤) ، و يضيف على ذلك الكلام الذي يورده من خلال الروايات المختلفة و بطرق إسناد مختلفة ^(٥) .

١ - أثير الدين محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ) ، تفسير البحر المحيط ، ت. عادل أحمد عبد الموجود و آخرون ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، ج ١ ، ص ١١٦ .

٢ - الخالدي : د. صلاح ، القصص القرآني ، ط ١ ، دار الشامية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، ج ١ ، ص ٣٠ .

٣ - الطبري : محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ، تاريخ الأمم و الملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ج ١ ، ص ٦٠ .

٤ - القرآن الكريم : سورة نوح (٢١) .

٥ - تاريخ الأمم و الملوك ، ج ١ ، ص ١٥٠ .

و كذلك الزمخشري في تفسيره يتطرق إلى ذكر قصة نوح عليه السلام بنفس الاعتماد على القصة القرآنية بالدرجة الأولى كمصدر تاريخي و من ثم يضيف ما روي شفاهاً على لسان الرواة و ما يلحق ذلك من التباس و اختلاف^(١)، و من ثم يشير إلى قوله تعالى (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَ بَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّنْ مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَسِّكُهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ فَمِنْهُم مَّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تِلْكَ مِنْ آيَاتِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَ أَقَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ)^(٢)، وفي ذلك إشارة قرآنية مهمة إلى أن هذه الأحداث التاريخية لا سبيل إلى معرفتها غير القرآن الكريم وهذا ما يضيف أهمية كبيرة ومكانة لجعل القرآن من أهم مصادر التاريخ .

ويدل على ما تقدم ما طرحه العلامة المجلسي عند إيراده لقصة نبي الله نوح عليه السلام فقد جمع النصوص القرآنية الواردة في قصة نوح عليه السلام أيضاً ، تباعاً من مختلف سور القرآن الكريم ، وبعد ذلك أخذ يورد قصة نوح على ضوء ما جاء في النصوص القرآنية مع إضافات طفيفة جداً ، وكثيراً ما يقوم بتقطيع النص القرآني و إيراد أجزاءه بين نصوص السرد التاريخي حتى كأنك تقرأ النص القرآني و تفسيره بشكل مباشر ، وقد اعتمد كثيراً في إيراد المعلومات التاريخية للقصة على كتب التفسير و ليس كتب التاريخ مما يشير على أنه لم يجد روايات موثوقة تتعلق بقصة نوح عليه السلام غير القرآن الكريم الذي اعتمده كلياً فقد ورد في كتابه بحار الأنوار قوله " تفسير : قال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى : لقد أرسلنا نوحاً ، هو نوح بن ملك ابن متوشلخ ... "^(٣) ، وهكذا يتسلسل في ذكر المواقف ، كما اعتمد في مواطن أخرى على إيراد روايات اسرائيلية عن وهب بن منبه ، فقد ذكر قوله " في حديث وهب بن منبه أن نوحاً عليه السلام كان أول نبي نبأه الله بعد إدريس .. "^(٤) .

و كذلك الحال بالنسبة لقصة نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام و صراعه مع الكفار والنمرود فقد استند الطبري بالدرجة الأساس على القرآن الكريم في الأحداث الرئيسية للقصة ثم يشبع التفاصيل بما روي عنها من الأخبار و التأويل ، و مثال على ذلك قوله " فما أتى به – يقصد إبراهيم عليه السلام – فاجتمع له قومه عند ملكهم نمرود قالوا (أنت فعلت هذا بآمتنا يا إبراهيم ؟ قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون)^(٥) غضب من أن تعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرها ، فارعوا و رجعوا عنه فيما ادعوا عليه من كسرهن إلى أنفسهم فيما بينهم فقالوا

(١) - الزمخشري : أبي القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ) ، تفسير الكشاف ، ط ١ ، مكتبة

مصطفى البابي ، مصر ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م ، ج ٢ ، ص ٢٦٨ .

(٢) - القرآن الكريم سورة هود ، (٤٨) .

(٣) - بحار الأنوار ، ج ١١ ، ص ٢٩٨ .

(٤) - المصدر نفسه ، ج ١١ ، ص ٢٩٩ .

(٥) القرآن الكريم : سورة الأنبياء (٦٢- ٦٣) .

لقد ظلمناه و ما نراه إلا كما قال و عرفوا أنها لا تضر ولا تنفع ولا تبطش (لقد علمت ما هؤلاء يبطشون)^(١) ... " (٢) .

و تابع الطوسي على ذلك في تفسيره فقد أورد القصة التاريخية الواردة في النصوص القرآنية و قام بتأويلها لأنه لم يجد ما يسد به الفراغ التاريخي في القصة عن طريق الروايات الصحيحة ، مثال ذلك قوله " يقول الله تعالى لما قال كفار قوم إبراهيم عليه السلام (لقد علمت ما هؤلاء يبطشون) فقال لهم إبراهيم منبهاً لهم على خطئهم و ضلالهم (أفتعبدون من دون الله) أي توجهون عبادتكم إلى الأصنام التي لا تنفعكم شيئاً و لا تدفع عنكم ضرراً ...) وبهذا السياق يتابع أحداث القصة^(٣) ؛ وهكذا الحال بالنسبة لقصة نبي الله إسماعيل عليه السلام { فقد أورد الطبري قصة ذبحه التي وردت في القرآن الكريم كما هي و أضاف ما ورد فيها من روايات ضعيفة الأسناد لما فيها من الإرسال و القطع فهو يروي عن أشخاص معاصرين له أو يسبقونه بقليل أو من عصر التابعين وهم يتحدثون عن عمق تاريخي يمتد إلى آلاف السنين ، الأمر الذي أوقعه في دائرة الإشكال بين من هو الذبيح (إسحاق أم إسماعيل ؟) فاختلقت الروايات عنده بشكل كبير ، فقد ذكر رواية " حدثني موسى بن هارون قال حدثني عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن عبد الله وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قال : قال جبرائيل عليه السلام { لسارة أبشري بولد اسمه إسحاق و من وراء إسحاق يعقوب فضربت جبهتها عجباً } فذلك قوله فصكت وجهها وقالت (أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجاب ، قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد)^(٤) قالت سارة لجبرائيل ما آية ذلك ؟ فأخذ بيده عودا يابساً فلواه بين أصابعه فاهتز أخضر فقال إبراهيم هو إذاً لله ذبيح ، فلما كبر إسحاق أرى إبراهيم في النوم فقيل له أوف بنذرك الذي نذرت إن رزقك الله غلاماً من سارة أن تذبحه فقال لإسحاق انطلق نقرب قرباناً إلى الله ... إلخ القصة " (٥) .

و في موضع آخر ذكر رواية تنص على أن الذبيح إسماعيل عليه السلام { وطبق الأحداث القرآنية عليه نفسها ، فقد ذكر " حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم أن إبراهيم عليه السلام { حين أمر بذبح ابنه قال له : يا بني خذ الحبل و المدينة ثم انطلق بنا إلى هذا الشعب ... فلما يئس عدو الله إبليس من إبراهيم اعترض إسماعيل وهو وراء إبراهيم يحمل الحبل و الشفرة فقال له يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك قال يحطب أهلنا من هذا

(١) القرآن : سورة الأنبياء ، (٦٥) .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم و الملوك ، ج ١ ، ص ١٦٢ .

(٣) أبي جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ) ، التبيان في تفسير القرآن ، ت. أحمد حبيب قصير العاملي ، ط ١ ، مكتب الاعلام الإسلامي ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ج ٧ ، ص ٢٦١ .

(٤) القرآن الكريم : سورة هود (٧٢) .

(٥) تاريخ الأمم و الملوك ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .

الشعب ، قال والله ما يريد إلا أن يذبحك ، قال : لم ، قال : زعم أن ربه أمره بذلك ، قال : فليفعل ما أمره ربه فسمعاً وطاعة ...^(١) الخ القصة .

ولذلك نلاحظ هذا الاضطراب واضح في الرواية التاريخية المنقولة عن الرواة و سبب ذلك أن القرآن الكريم لم يحدد الشخصية التي جرى عليها الحدث المشار إليه ، ومن هنا تتضح أهمية القرآن كمصدر لدراسة التاريخ القديم و عصر عرب قبل الإسلام فهو المصدر الوحيد الذي يمكن أن نثق بروايته التاريخية و لكن على الإجمال الذي يطرحه و ليس على التفصيل الوارد في الروايات .

و في تفسير القمي أيضاً نلاحظ المنهجية نفسها في إيراد قصة اسماعيل النبي بن إبراهيم خليل الله ﷺ وكيف أراد والده أن يذبحه على أثر رؤيا رآها فيه فأخبر إبراهيم ﷺ ابنه بما رأى في منامه ، فقال إسماعيل ﷺ : (يا أبتِ افعل ما تؤمر) و ما كان ذلك إلا تسليماً و إيماناً مطلقاً منهما ، فقد أورد القمي القصة كما هي في القرآن الكريم مستشهداً بنصوص القرآن الكريم و معزراً ذلك ببعض الروايات التاريخية التي لم تسلم من الاختلاف مع أنه يروي عن أئمة أهل البيت ﷺ ، فقد ورد في تفسيره أن القصة حدثت مع اسحق النبي ﷺ و يذكر في موضع آخر أنها مع اسماعيل ﷺ فقد ذكر قوله " فإنه حدثني أبي عن فضالة بن أيوب عن معاوية ابن عمار عن أبي عبد الله ﷺ : أن ابراهيم ﷺ أتاه جبرائيل عند زوال الشمس ... ثم أمره الله بالذبح ، فإن إبراهيم ﷺ حين أفاض من عرفات بات على المشعر الحرام وهو فزع فرأى في النوم أن يذبح ابنه إسحاق ، وقد كان اسحاق حج بوالدته سارة فلما انتهى إلى منى رمى الجمرة هو و أهله و أمر أهله فسارت إلى البيت و احتبس الغلام فانطلق به إلى موضع الجمرة الوسطى فاستشار ابنه و قال كما حكى الله (يا بني اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى)^(٢) فقال الغلام ... (يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين)^(٣) .. "^(٤) وفي موضع آخر يذكر رواية أخرى قال فيها " حدثني أبي عن صفوان بن يحيى وحماد عن عبد الله بن المغيرة عن ابن سنان عن أبي عبد الله ﷺ قال سألناه عن صاحب الذبح فقال : إسماعيل ، وروي عن رسول الله (ص) أنه قال : أنا ابن الذبيحين يعني اسماعيل و عبد الله ابن عبد المطلب "^(٥) .

وهنا نلاحظ أن الاضطراب واضح في تسمية من هو الذبيح وذلك بسبب عدم تحديده بشكل صريح من القرآن الكريم ، فقد أورد القرآن قصة الذبح وهنا يتفق المؤرخون على

(١) تاريخ الأمم و الملوك ، ج ١ ، ص ٢٢١ .

(٢) القرآن الكريم : سورة الصافات (١٠٢) .

(٣) القرآن الكريم : سورة الصافات (١٠٢) .

(٤) القمي : علي بن ابراهيم (ت ٣٢٩هـ) ، تفسير القمي ، ت. السيد طيب الموسوي ، ط ٣ ، مؤسسة دار

الكتاب ، قم - إيران ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ج ٢ ، ص ٢٦٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٢٦ .

وقوعها بلا إشكال ، أما من هو الذي وقع عليه الفعل فهنا ثار الخلاف بين الرواة ، الأمر الذي يجعلنا نطمئن إلى القصة التاريخية الواردة في القرآن الكريم كما هي و نسلم بها ، أما التفاصيل الروائية فهي محل بحث و تمحيص و لا يمكن التسليم بها مهما بلغت وثاقة الإسناد .

وبنفس النحو تابع في تفسيره ذكر أصحاب الأخدود الذين ذكرهم القرآن في سورة البروج إلا أنه يذكر روايات كثيرة عن الحادثة و هي مضطربة و مختلفة بشكل كبير و السبب في ذلك أن القرآن لم يفصل فيها أو يذكر أحداثها و إنما اكتفى بالإشارة إليها ، فقد ذكر الطبري آراء متعددة في أصحاب الأخدود منها أنهم قوم من المجوس قال " حدثنا ابن حميد قال : حدثنا يعقوب القمي عن جعفر عن ابن أبيزي قال : لما رجع المهاجرون من بعض غزواتهم ، بلغهم نعي عمر بن الخطاب فقال بعضهم لبعض : أي الأحكام تجري في المجوس ، وأنهم ليسوا بأهل كتاب و ليسوا من مشركي العرب ، فقال علي بن أبي طالب عليه السلام : قد كانوا أهل كتاب وقد كانت الخمر أحلت لهم ، فشربها ملك من ملوكهم حتى ثمل منها ، فتناول أخته فوقع عليها فلما ذهب عنه السكر قال لها : ويحك فما المخرج مما ابتليت به ؟ فقالت : اخطب الناس فقل : يا أيها الناس إن الله قد أحل نكاح الأخوات ، فقام خطيباً فقال : يا أيها الناس إن الله قد أحل نكاح الأخوات ، فقال الناس : إنا نبرأ إلى الله من هذا القول ، ما أتانا به نبي ولا وجدناه في كتاب الله ، فرجع إليها نادماً فقال لها : ويحك إن الناس قد أبوا علي أن يقرؤا بذلك ، فقالت ابسط عليهم السياط ، ففعل ، فبسط عليهم السياط ، فأبوا أن يقرؤا بذلك ، فرجع إليها نادماً ، فقال : إنهم أبوا أن يقرؤا ، فقالت : اخطبهم فإن أبوا فجرد فيهم السيف ، ففعل فأبى عليه الناس ، فقال لها : قد أبى علي الناس ، فقالت : خذ لهم الأخدود ثم اعرض عليها أهل مملكتك ، فمن أقرّ و إلا فاقذفه في النار ، ففعل ، ثم عرض عليها أهل مملكته فمن لم يقر منهم قذفه في النار ، فأنزل الله فيهم (قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ..)^(١) إلى .. أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ، إن الذين فتنوا المؤمنين و المؤمنات حرقوهم ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) فلم يزلوا منذ ذلك يستحلون نكاح الأخوات و البنات و الأمهات " .

و ذكر رأي آخر أنهم من أهل اليمن في رواية يسندها إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أيضاً جاء فيها " يقول : هم ناس بمذارع اليمن ، اقتتل مؤمنوها وكفارها ، فظهر مؤمنوها على كفارها ، ثم اقتتلوا الثانية فظهر مؤمنوها على كفارها ، ثم أخذ بعضهم على بعض عهداً و موثيق أن لا يغدر بعضهم ببعض ، فغدر بهم الكفار فأخذوهم أخذاً ثم إن رجلاً من المؤمنين قال لهم : هل لكم إلى خير ، توقدون ناراً ثم تعرضوننا عليها ، فمن تابعكم على دينكم فذلك الذي تشتهون ، ومن لا اقتحم النار فاسترحتم منه ، قال فأججوا ناراً و عرضوا عليها فجعلوا يقتحمونها صناديدهم ، ثم بقيت منهم عجوز كأنها نكست ، فقال لها طفل في حجرها يا أمه أمضي ولا تنافقي ، قص الله عليكم نبأهم و حديثهم " كما روى رواية أخرى مسندة عن ابن عباس أن أصحاب الأخدود من بني إسرائيل ، قال " هم ناس من بني إسرائيل خدوا اخدوداً في الأرض ثم أوقدوا فيها ناراً ، ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالاً و نساء ،

(١) القرآن الكريم : سورة البروج (٤) .

فعرضوا عليها ، وزعموا أنه دانيال و أصحابه ^(١) وهذا التضارب في الروايات سببه عدم تصريح القرآن الكريم بانتساب أصحاب الأخدود إلى أي قوم ينتمون وهو كما أشرنا في الروايات الأخرى ؛ وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنهم كانوا من المجوس ، و روي عن الضحاك أنهم كانوا من بني إسرائيل ، و قيل أنهم كانوا من أهل اليمن ^(٢) ، وهذا الاختلاف سببه عدم تفصيل القرآن الكريم لهذه الحادثة بشكل واضح في نصوصه المباركة فلم يرَ الباحثين بداً من الخوض فيها إلا أنهم وقعوا في دائرة الاختلاف .

و نحى المؤرخون هذا المنحى في كتبهم التاريخية و تفاسيرهم في الآيات و الأحداث التي وردت في القرآن الكريم ، فلم يكن لهم سبيل إلى ذكر الأحداث التي سبقت الإسلام غير القرآن الكريم ، وهذا الأمر يجعل القرآن في مقدمة المصادر التاريخية لتلك الفترة التي عرفت بعصر عرب قبل الإسلام و العصور القديمة .

فقد أشار ابن عساكر إلى قصص الأنبياء الذين أرسلهم الله بعد نبيه نوح عليه السلام معتمدا بالدرجة الأولى في تحليلها على آيات القرآن الكريم ، " يقول تعالى في كتابه العزيز في سورة المؤمنين من بعد قصة نوح (ثم أرسلنا رسلنا تورا) ^(٣) بعضها على إثر بعض (كلما جاء أمة رسولا كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً) ^(٤) إلى قوله (ثم أرسلنا) من بعدهم (موسى و هارون) فمن زعم أنه يعلم عدتهم و أسماءهم فقد كذب لأن الله تعالى يقول لنبيه عليه الصلاة و السلام (منهم من قصصنا عليك و منهم من لم نقصص عليك) ^(٥) " ^(٦) .

ونلاحظ في بعض المصادر التي تتحدث عن القصص التاريخية في القرآن بدون الاستشهاد بالآيات القرآنية و مثال ذلك قصة نبي الله آدم عليه السلام و زوجته حواء فقد ذكر اليعقوبي قصته عندما كان في الجنة و كيف تمكن إبليس من خداعهما ولكن من دون الإشارة إلى إسناد الرواية فقد ذكر " ... فلم يطاوعه شيء مما خلق الله عز وجل إلا الجنة ، فلما رأى آدم ما في الجنة من النعيم قال : لو كان سبيل إلى الخلود ؟ فطمع فيه إبليس لما سمع ذلك منه ، فبكى و نظر إليه آدم و حواء يبكي ، فقالا له : ما يبكيك ؟ قال : لأنكما تفارقان هذا ، وما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين ، أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إني لكما من الناصحين ، وكان لباس آدم و حواء ثياباً من نور ، فلما ذاقا من الشجرة ، بدت لهما سواتهما ، فزعم أهل الكتاب أن مكث آدم في الأرض ، قبل أن يدخل الجنة كان ثلاث ساعات ، ومكث هو

-
- (١) الطبري : محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ت. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط ١ ، دار هجر ، القاهرة - مصر ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، ج ٣٠ ، ص ١٦٥-١٦٦ .
 - (٢) الطوسي : التبيان في تفسير القرآن ، ج ١٠ ، ص ٣١٧ .
 - (٣) القرآن الكريم : سورة المؤمنون (٤٤) .
 - (٤) القرآن الكريم : سورة المؤمنون (٤٤) .
 - (٥) القرآن الكريم : سورة غافر (٧٨) .
 - (٦) أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١هـ) ، تاريخ مدينة دمشق ، ت. علي شيري ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ج ١ ، ص ٣٠ .

و حواء في النعيم و الكرامة قبل أن يأكلا من الشجرة فتبدو لهما سواتهما ، ثلاث ساعات ، فلما بدت لأدم سواته أخذ ورقة من الشجرة فوضعها على نفسه ، ثم صاح : ها أنا يا رب عريان قد أكلت من الشجرة التي نهيتني عنها ، فقال الله : ارجع الى الأرض التي منها خلقت فأني مسخر لك و لولدك طير السماء ، ونون البحار ... " (١) الخ .

و الملاحظ في هذا النص أن المؤرخ لم يستشهد بنصوص قرآنية بل أشار إلى روايات أهل الكتاب علما أن بعض الأحداث التي ذكرها هي كما أشارت إليها النصوص القرآنية و بالتالي فإنه اعتمد على النص القرآني في تعضيد ما وصله من روايات تخص الحادثة و لكن يبقى ما لم تورده النصوص القرآنية من تفاصيل موضع شك لأنه لا يمكن الاطمئنان لرواية أهل الكتاب كونها عرضة للتحريف و التزييف .

و بالمنهجية نفسها يستعرض قصة نوح {عليه السلام} و الأحداث التي عاصرتها و أبرزها الطوفان و الفلك و من صعد معه في السفينة ، دون ذكر للنصوص القرآنية كشواهد بل يعتمد على ما يروى فقط دون الإشارة للإسناد بشكل صريح ، فهو يستخدم عبارات مبهمة في ذكر الرواية منها مثلاً (و روى بعضهم ، فيما يقول أهل الكتاب ، و زعم ...) (٢) . ولم نلاحظ له لنصوص القرآن فيما يتعلق بقصص الأنبياء مطلقاً .

أما في قصة إبراهيم الخليل {عليه السلام} فإنه يورد القصة بنفس المنهجية ولكنه عند حديثه عن النبي إبراهيم {عليه السلام} يقول " الذي قص الله خبره " ولم يشر أين ؟ والظاهر أنه يقصد في القرآن ، وإن كان من الممكن أن يقصد على لسان الأنبياء أو الكتب التي سبقت القرآن كالتوراة و الإنجيل و غيرها ، كما أنه يقع في دائرة الاختلاف في الذبيح من ولد إبراهيم هل هو اسحاق أم اسماعيل ولكنه لم يجد فيما يبدو جواباً شافياً لذا صرح بذلك من خلال قوله " وقد كثرت الروايات في هذا و هذا ، واختلف الناس فيهما .. " (٣) ، فالذي يقرأ قصة نبي الله إبراهيم {عليه السلام} عند اليعقوبي يجد قصة متكاملة من ولادته و حتى وفاته و هي قصة مليئة بالأحداث و التفاصيل ، ولكن لا يوجد لهذه التفاصيل سند موثوق إلا ما وافق القرآن الكريم ، أما فيما عداه فلا يمكن الركون إليه .

أما قصة موسى {عليه السلام} مع فرعون فإن اليعقوبي يذكرها بتفاصيل كثيرة جداً تشير بوضوح إلى وجود الرواية الإسرائيلية في متونها فهناك تفاصيل دقيقة جداً قد لا يمكن السيطرة على تثبيتها فيما لو كانت قريبة من زماننا ، فكيف بمن عاش قبل آلاف السنين مثال ذلك ما أورده في عدد بني إسرائيل الذين عبروا البحر مع موسى فقد ذكر أنهم كانوا " وكان عددهم ممن بلغ العشرين سنة فما فوق إلى الستين ممن يحمل السلاح : ستمائة ألف و ثلاثة آلاف و خمسمائة و خمسين رجلاً ... بني يهوذا .. أربعة وسبعون ألف و ستمائة رجل ، بني يشاجر ..

(١) . أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٨٤هـ) ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ج ١ ، ص ٥ .

(٢) . المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٣ .

(٣) . المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٤ .

أربعة و خمسون ألف و أربعمئة رجل ...^(١) إلخ الأعداد التي يذكرها و التي تحتاج إلى تدوين دقيق لكي تضبط بهذا الشكل ، لا أن تنقل بروايات عبر الزمن الطويل ، علما أن هذه الأعداد لم يتطرق لذكرها القرآن الكريم أبدا فضلا عن تنبيه القرآن الكريم للمسلمين بعدم الخوض في مسألة أعداد الأقوام الذين تذكر لهم أحداث في القرآن الكريم وذلك واضح في قوله تعالى من سورة الكهف (قل ربّي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل، فلا تمار فيهم إلامراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا)^(٢) .

و هذا التخييط الحاصل في سرد الأحداث سببه أن المؤرخ لم يكتف بما أورده القرآن الكريم من أحداث موثوقة بل عمد إلى ملئ الفراغات بالغث و السمين ، أما قصة عيسى عليه السلام فإنه يوردها بتفاصيل جملها إسرائيلية و روايات غير صحيحة و يركز في أكثرها على روايات الإنجيل وليس القرآن الكريم^(٣) .

و فضلا عما تقدم فإن القرآن الكريم يقدم معلومات مهمة عن عصر العرب قبل الإسلام وأخبار الدول التي أيدتها الكشوف العلمية الحديثة إذ نجد في القرآن سورة كاملة تحمل اسم حضارة مشهورة في عصر العرب قبل الإسلام و هي سورة سبأ^(٤) .

اختلف الباحثون في المادة التاريخية في القرآن الكريم هل تتضمن سنن تاريخية أو لا ، وقد انقسم الباحثون إلى فريقين منهم من يرى أن المادة التاريخية في القرآن ليس فيها سنن تاريخية ، ومنهم من يرى أنها تتضمن سنن تاريخية ، فالفريق الأول يرى أن البحث في سنن التاريخ علمي بحث كالبحت في قوانين الطبيعة و علومها كالفيزياء و الكيمياء و علوم الحياة ، إلا أن القرآن الكريم لم ينزل كتاب اكتشاف بل كتاب هداية ولعل البعض يعتقد أننا لا ينبغي أن نتقرب من القرآن الكريم أن يتحدث عن سنن التاريخ و قوانينه ، ولكن مع أن ظاهر الكلام فيه شيء من الصحة ، ولكن مع هذا يوجد فرق جوهري كبير بين السنن التاريخية و بقية السنن الكونية لأن السنن التاريخية و أهدافها مرتبطة و متقاربة بشكل كبير لما عليه الهدف القرآني من هداية الناس و إرشادهم إلى طاعة الله تعالى خلافاً لبقية السنن الكونية و الميادين الأخرى للمعرفة البشرية ، و ذلك أن القرآن الكريم جاء ليغير حياة الناس وفق آليات و مبادئ معينة تمثلت بأبواب فقهية و أخرى عبادية ليخلص الناس من الجهل الذي كانوا يعيشونه قبل الإسلام ، إذن فالسنن التاريخية تتناسب مع طبيعة القرآن الكريم ككتاب هداية و إرشاد^(٥) .

يتضح مما تقدم أن القرآن الكريم قدم لنا نماذج متعددة للمعطيات التاريخية ، وحدثنا عن الماضي في جل مساحته لكي ما يلبث أن يخرج بنا إلى تبيان الحكمة من وراء هذه العروض و إلى بلورة عدد من المبادئ الأساسية في حركة التاريخ البشري مستمدة من صميم التكوين الحدتي لهذه العروض ، تلك المبادئ التي سماها (سنناً) ودعانا أكثر من مرة إلى تأملها

(١) تاريخ اليعقوبي ، ج ١ ، ص ٣٣ .

(٢) سورة الكهف : آية ٢٢ .

(٣) تاريخ اليعقوبي ، ج ١ ، ص ٦٨ .

(٤) العابد : المصدر السابق ، ص ١٣١ .

(٥) الصدر : محمد باقر ، السنن التاريخية في القرآن الكريم ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ٢٠١١ م ، ص ٦٩ .

واعتماد مدلولاتها في أفعالنا الراهنة و نزوعنا المستقبلي ، ومن ثم يتأكد لنا مرة أخرى أن هذه العروض ما جاءت لكي تلقى المتعة في نفوس المؤمنين كما هو الحال في أي نشاط فني قبل أن تبرز للعيان الاتجاهات التعليمية الحديثة في ميادين الفنون ، وإنما جاءت لكي تعلمهم من خلال تجاربهم الماضية وتحركهم عبر الأضواء الحمراء والخضراء التي أشعلتها لهم هذه التجارب في طريق الحياة المزدهم الطويل^(١) .

إنَّ الغاية من توظيف المادة التاريخية في القرآن الكريم هي لتغيير المجتمع من حالة السلب إلى الإيجاب ، وخلق مجتمع متقدم معرفياً يعتمد التجربة السابقة لوضع نظرية تأسيس للمستقبل القريب و البعيد ، إلا أن التغيير المنشود في القرآن الكريم يعتمد على عاملين رئيسيين هما العامل المعنوي المتمثل بالشريعة الإسلامية التي نزلت على الرسول الأكرم (ﷺ) بما اشتملت عليه من أحكام الحلال و الحرام و الذي لا يتغير ولا يتبدل بتغير الأشخاص و الزمان و المكان ، لذا فإن هذا العامل هو فوق السنن التاريخية إذ أنه لا يتأثر بها ، و العامل الآخر هو العامل المادي الذي يتمثل بالموجود البشري الذي تتمحور حوله أحداث التاريخ وهو الذي تنطبق عليه السنن التاريخية بما تحمل من قوانين ، فهو يكتب التاريخ بمنجزاته ، ولكن تحت أي قانون ؟ هنا يأتي دور السنن لتحديد النتائج التي تتمخض عن كل حركة يتحركها الإنسان في حياته لذا فإن سنن التاريخ تتحكم فيه بدرجة كبيرة كونه محور الأحداث التاريخية^(٢) .

ومما تقدم يمكننا أن نستنتج أن القرآن الكريم و كما أشرنا سلفاً يعد مصدراً مهماً من مصادر التاريخ الموثوقة ولكنه ليس كتاب تاريخ بل هو كتاب رسالته الأولى هداية الناس وإرشادهم إلى الطريق القويم الذي أراده الله تعالى لعباده (رسالته تغييرية) ، و أما المادة التاريخية فإنها وردت في القرآن لعدة أسباب منها :

- ١- بيان الاعجاز القرآني في إيراد قصص الأقوام الماضية و بتفاصيل مهمة و غائبة عن أذهان الناس ، فعندما جاء بها القرآن فإن هناك عامل غيبي في معرفة هذه التفاصيل و المتمثل بالوحي الإلهي للرسول (ﷺ) .
- ٢- لإيصال العضة و العبرة للبشر لكي يتنبهوا إلى مصير الأقوام التي سبقتهم فيدرسون حياتهم و يتعرفون على عوامل إزدهارهم و هلاكهم ، وما هي سبل النجاة من الهلكة .
- ٣- لبيان الجانب الحضاري في القرآن الكريم الذي تحدث عن أمم نشأة و تطورت و انتهت ، وكيف كان لها حضوراً فاعلاً في المجتمعات القديمة و مثال ذلك قصة يوسف (عليه السلام) و مملكة مصر .
- ٤- قد يكون من أسباب ذكر الحوادث التاريخية في القرآن الكريم هو حث الناس على دراسة التاريخ و الأخذ منه بأسباب النجاح و الابتعاد عن أسباب الفشل و توخي الحذر مما وقعت به الأمم الأخرى من معصية الأنبياء و الوقوف مع الطغاة .

(١) . الخليل : عماد الدين ، التفسير الإسلامي للتاريخ ، ط ٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، ص ٩٨ .

(٢) . الصدر : المصدر السابق ، ص ٦٩ .

ولعل دراسة التاريخ في القرآن الكريم تحتاج إلى معرفة قرآنية تاريخية لفهم النصوص ، لكي يتسنى لنا فهمها كما يجب ، و قد أرجع البعض فهم النص التاريخي في القرآن إلى فهم المؤرخ أكثر من فهم المفسر الفقيه قائلًا " فالمؤرخ الخبير يفسر ما في القرآن من التاريخ أحسن من الفقيه ، الذي لا يعرف التاريخ و الأيام و الواقع " (١) .

ومن هذه المنطلقات كلها نرغب في الخوض بدراسة موضوع قصة الحيوان في القرآن الكريم ، الذي يعد جزء من المادة التاريخية الواردة في القرآن و يشكل بعض مفاصلها المهمة ، ومن الله التوفيق .

المبحث الثالث

الحيوان في حديث الرسول (ﷺ)

ينظر الإسلام إلى الحيوان بصورة عامة بنظرة نابعة من الواقع فهي تعتمد على أهميته و أثره في الحياة ، و خدمته للإنسان في مجالات الحياة الاقتصادية ، وفي عمارة الأرض واستمرار الحياة ، ويدل على ذلك الكثير من سور القرآن الكريم التي وضع الله تعالى لها أسماء تشير إلى أهمية الحيوان مثل : سورة البقرة ، والأنعام ، والنحل و النمل ، وغيرها ، ويشير ذلك الى تكريم الحيوان وبيان مكانته للإنسان ، ففي قوله تعالى : (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَعُونَ وَحِينَ يُسْرَحُونَ ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ أَنْ يَكُونَ رَبُّكُمْ لَوْ رُفِفَ رَحِيمٌ) (١) ، (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (٢) وغيرها من الآيات ، فمن الحقيقة القرآنية ينطلق النبي (ﷺ) في رسم خريطة التعامل مع الحيوان الذي حدد القرآن مهامه و فوائده بالنسبة للإنسان لذلك نلاحظ النبي (ﷺ) يحدد حقوق الحيوان كما حدد حقوقاً للإنسان و من تلك الحقوق التي وضعها عدم إيذاء الحيوان ، فقد روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري أن رسول الله (ﷺ) مرَّ على حمار قد وُسمَ في وجهه ، فقال (ﷺ) : " لعن الله الذي وسمه " (٣) ، وفي رواية أخرى عن جابر أيضاً أنه قال : " نهى رسول الله عن الضرب في الوجه و عن الوسم في الوجه " (٤) .

(١) مجاهد : أبي الحجاج بن جبر التابعي ، تفسير مجاهد ، ت. عبد الرحمن الطاهر ، إسلام آباد ، (د.م.ط) ، ج ١ ، ص ١٧ .

(٢) القرآن الكريم : سورة النحل (٥-٧) .

(٣) القرآن الكريم : سورة النحل (٨) .

(٤) وَسمه : إذا أثر أو علّم فيه بكّي ، والوسم والسمة العلامة المميزة للشيء . انظر : ابن منظور : لسان العرب ، ج ١٢ ، ص ٦٣٥ .

(٥) مسلم : أبي الحسين بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ) ، الجامع الصحيح ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ج ٦ ، ص ١٦٣ ؛ البيهقي : أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ) ، السنن الكبرى ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ج ٧ ، ص ٣٥ .

و روي عن ابن عمر أنه قال : " لعن النبي من مثل بالحيوان " ^(١) ، ويتضح من ذلك تجريم من يقوم بإيذاء الحيوان و ليس ذلك فقط بل حرم النبي (ﷺ) حبسه و تجويعه و شدد في ذلك ، فقد روي أن النبي (ﷺ) قال : " عذبت امرأة في هرة لم تطعمها ، ولم تسقها ، ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض " ^(٢) ، وروي أنه " مرَّ رسول الله ببعير قد لَحِقَ ظَهْرُهُ ببطنه ، فقال : " اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة ، فاركبوها صالحة و كلوها صالحة " ^(٣) ، ومن حقوق الحيوان التي أكد عليها الرسول (ﷺ) أن يستخدم في الغرض الذي خلق له و ليس للعبث ، فقد روي عنه (ﷺ) قوله " إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر ، فإن الله إنما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس " ^(٤) ، كما نهى النبي (ﷺ) عن اتخاذ الحيوان غرضاً للعبث و اللهو و التعذيب فقد ذكر أن ابن عمر مرَّ بمجموعة من الفتيان وقد نصبوا طيرا و أخذوا يرمونه فقال لهم : لعن الله من فعل هذا ، إن رسول الله لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضاً " ^(٥) .

ومن أهم حقوق الحيوان التي أمر بها النبي (ﷺ) وجوب الرحمة و الرفق به ، ويتضح ذلك جلياً من قوله لأصحابه : " بينما رجل بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني ، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له ، فقال من كان مع النبي : يا رسول الله وإن لنا في البهائم لأجراً ، فقال (ﷺ) : في كل ذات كبد رطبة أجر " ^(٦) ، وفي هذا المضممار أيضاً ما روي عن

(١) النووي : أبي زكريا محيي الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ) ، المجموع ، دار الفكر ، ج ٤ ، ص ٣٩٧ ؛ ابن

حنبل : الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ) ، المسند ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ج ٣ ، ص ٣١٨ .

(٢) البخاري : أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ) ، صحيح البخاري ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ج ٦ ، ص ٢٢٨ ؛ الدارمي : أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام (ت ٢٥٥هـ) ، سنن الدارمي ، مطبعة الاعتدال ، دمشق - سوريا ، ١٣٤٩هـ - ١٩٢٨م ، ج ٢ ، ص ٨٣ .

(٣) ابن حنبل : مسند أحمد ، ج ٢ ، ص ١٥٩ ؛ البخاري : الصحيح ، ج ٤ ، ص ١٠٠ .

(٤) أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) ، سنن أبي داود ، ت. سعيد محمد اللحام ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، ج ١ ، ص ٥٧٤ ؛ النووي : أبي زكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ) ، رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، ص ٤٣٦ ؛ المتقي الهندي : علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ) ، كنز العمال ، ت. الشيخ صفوة السقا ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ج ٩ ، ص ٦٢ .

(٥) أبو داود : السنن ، ج ١ ، ص ٥٧٨ ؛ الطبراني : أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي (ت ٣٦٠هـ) ، مسند الشاميين ، ت. حمدي عبد المجيد السلفي ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، ج ٢ ، ص ٣٤ .

(٦) ابن حنبل : المسند ، ج ٢ ، ص ٨٦ ؛ مسلم : الصحيح ، ج ٦ ، ص ٧٣ ؛ النسائي : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر (ت ٣٠٣هـ) ، سنن النسائي ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م ، ج ٧ ، ص ٢٣٨ .

(٧) الإمام مالك : مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) ، كتاب الموطأ ، ت. محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م ، ج ٢ ، ص ٩٣٠ ؛ البخاري : الصحيح ، ج ٣ ، ص ١٠٣ ؛ ابن بلبان : الأمير علاء الدين علي الفارسي (ت ٧٣٩هـ) ، صحيح ابن حبان (ت ٣٥٤هـ) بترتيب ابن بلبان ، ت. شعيب الأرناؤوط ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .

عبد الله بن عمر قائلاً : كنا مع رسول الله في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حُمْرَةَ معها فرخان ، فأخذنا فَرَخَيْهَا ، فجاءت الحُمْرَةُ فجعلت تُعَرِّشُ^(١) ، فجاء النبي (ﷺ) فقال : " من فجع هذه بولدها ؟ رُدُّوها ولدها إليها "^(٢) ، كما أمرنا النبي (ﷺ) باختيار المراعي الخصبة للحيوانات ، وإذا لم توجد فعلى أصحابها أن ينقلوها إلى مكان آخر ، فقد ورد عن رسول الله (ﷺ) : أن الله تبارك وتعالى رفيق يحب الرفق ، ويرضى به ، ويعين عليه ما لا يعين على العنف ، فإذا ركبتم هذه الدواب العجم فأنزلوها منازلها ، فإن كانت الأرض جذبة فأنجوا عليها بنقيها^(٣) " (٤) .

ومن حقوق الحيوان التي قد ينفرد بها الإسلام أو أنه سبق كل الحضارات الأرضية بها هي الإحسان للحيوان ، فقد حث رسول الله على معاملة الحيوان بالإحسان إليه واحترام مشاعره ، وإن أعظم تطبيق لهذا الخُلق حين ينهى رسول الله عن تعذيبه أثناء الذبح لأكل لحمه ، سواء باقتياده للذبح ، أو برداء آلة الذبح ، أو كان التعذيب نفسياً بعرض السكين أمامه قبل ذبحه ؛ فقد روى شداد بن أوس قال : ثنتان حفظتهما عن رسول الله قال : " إن الله كتب الإحسان على كل شيء ؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القتل ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، وليجد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته " (٥) ، كما روى عن ابن عباس رضي الله عنه أن رجلاً أضجع شاة يريد أن يذبحها وهو يحد شفرته ، فقال النبي : " أتريد أن تُميتها موتاتٍ ، هلا حددت شفرتك قبل أن تُضجعها " (٦) ، وهكذا حق للحيوان أن ينعم بالأمن والأمان ، والراحة والاطمئنان في بيئة الإسلام التي علا فيها قول رسول الله (ﷺ) ، وطُبِّقَتْ فيها أفعاله .

و في حديث آخر عن عبد الله بن جعفر قال : أردفني رسول الله خلفه ذات يوم ، فأسرَّ إليَّ حديثاً لا أُحدِّثُ به أحداً من الناس ، وكان أحبَّ ما استتر به رسول الله لحاجته : هدفٌ أو حائش النخل ، فدخل حائطاً لرجلٍ من الأنصار ، فإذا جَمَلٌ ، فلما رأى النبي حنَّ وذرفت عيناه ، فأتاه النبي ، فمسح سرائته إلى سنامه وذفراه ، فسكن ، فقال : من ربُّ هذا الجمل ؟ لِمَن هذا الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار ، فقال : لي يا رسول الله ! فقال : أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها ؟ فإنه شكَا إليَّ أنك تُجيعُهُ وتُذئِبُهُ " (٧) ، وفي ذلك إشارة إلى ضرورة العناية

(١) تُعَرِّشُ أي: ترفرف، والتَّعْرِيشُ أن ترتفع وتظلل بجناحيها على من تحتها . ينظر : العظيم آبادي : أبي الطيب محمد شمس الحق (ت ١٣٢٩هـ) ، عون المعبود ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، ج ٧ ، ص ٢٤٠ ؛ وابن منظور : لسان العرب ، ج ٦ ، ص ٣١٣ .

(٢) أبي داود : السنن ، ج ١ ، ص ٦٠٣ ؛ النووي : رياض الصالحين ، ص ٦٣٥ .

(٣) النقي : الشحم والودك ، والمعنى أن ينجو عليها وهي في عافيتها ، حتى يحصل في بلد الخصب . انظر : ابن منظور : لسان العرب ، ج ١٥ ، ص ٣٣٨ .

(٤) الإمام مالك : كتاب الموطأ ، ج ٢ ، ص ٩٧٩ ؛ الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ج ٨ ، ص ٣٣١ .

(٥) مسلم : الصحيح ، ج ٦ ، ص ٧٢ ؛ القزويني : أبي عبد الله محمد بن يزيد (ت ٢٧٥هـ) ، سنن ابن ماجه ، ت. محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، (د.ت) ، ج ٢ ، ص ١٠٨٥ . البيهقي : السنن الكبرى ، ج ٨ ، ص ٦١ .

(٦) الحاكم النيسابوري : الحافظ أبي عبد الله (ت ٤٠٥هـ) ، المستدرک علی الصحیحین ، ت. يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، (د.م.ط) ، ج ٤ ، ص ٢٣١ ؛ الزيلعي : العلامة جمال الدين (ت ٧٦٢هـ) ، نصب الراية ، ت. أيمن صالح شعبان ، ط ١ ، دار الحديث ، القاهرة - مصر ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، ج ٦ ، ص ٤٦ ؛ المتقي الهندي : كنز العمال ، ج ٦ ، ص ٢٦٢ .

(٧) الزمخشري : جار الله محمود بن عمر (ت ٥٨٣هـ) ، الفايق في غريب الحديث ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، ج ١ ، ص ٢٨٨ ؛ البيهقي : أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ) معرفة السنن والآثار ، ت. سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ج ٦ ، ص ١٣٠ .

بالحيوان من خلال توفير الماء و الطعام الكافي لسد حاجته وليس للعمل فقط ، بل أن تجويع الحيوان قد يقلل من انتاجه سواء في مجال العمل أو فيما يعطيه من لبن و ما يلحق به .

فعن سهل بن مُعاذ عن النبي (ﷺ) قال : ارْكَبُوا هذه الدوابَّ سالِمةً ، وابتَدِعُوا سالِمةً ، ولا تَتَّخِذُوا كِرَاسِي " (١) ، أي لا تتخذوها للهو و اللعب أو اتخاذها بمظاهر الترف فهي إنما خلقت لمهام معينة في الحياة و ينبغي أن تسخر لما خلقت لأجله ، فالحمير و البغال مثلاً خلقت للركوب و نقل البضائع كما ذكر القرآن الكريم ، فلا ينبغي اتخاذها في المسابقات و اللهو .

وذكر أبو داود أن النبي (ﷺ) رأى قرية نملٍ قد احرقها بعض الأشخاص من المسلمين ، فقال : " مَنْ حرق هذه ؟ " قال بعض من كان معه : نحن ، فقال (ﷺ) : أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذَّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ " (٢) ، و في ذلك إشارة واضحة إلى النهي عن تعذيب المخلوقات مهما كان صغرها فهي كلها مخلوقات الله تعالى و لعلها تحمل من الشعور و الإحساس الذي لا نفقه حقيقته و لا نشعر به لجهلنا بذلك ، فجاء النبي (ﷺ) ينهي عن تعذيبها ، و أن التعذيب بالنار من مختصات الله تعالى أو من يمثله من أنبياءه و أوليائه ، و ليس لأحد هذا الأمر .

وفي ضوء ما تقدم نلاحظ أن النبي (ﷺ) يحث على الرحمة بالحيوان و ما عداه من مخلوقات الله وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة عن النبي (ﷺ) وليس ذلك بغريب فهو رحمة الله تعالى التي قال عنها (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (٣) فعن معاوية بن قرة عن أبيه قال : قال رجلٌ : " يا رسولَ الله ! إنني لأذبحُ الشاةَ فأرحمُها ، قال : والشاةُ إن رَحِمْتَهَا ؛ رَحِمَكَ اللهُ " (٤) ، وعن أبي إمامة عن النبي (ﷺ) قال : " مَنْ رَحِمَ - وَلَوْ ذَبِيحَةً عُصْفُورٍ رَحِمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (٥) ، وقال أيضاً (ﷺ) : من مثل بذى روح ، ثم لم يتب ، مثل الله به يوم القيامة " (٦) ، و قال أيضاً : " لا تمثلوا بالبهائم ، لعن الله من مثل بالحيوان " (٧) ، ولعل خير من جسد هذه التعاليم السامية للرسول الأكرم هو ربيب بيت النبوة الإمام علي (عليه السلام) الذي كان يقول : " لو أُعطيت الأقاليم السبع بما تحت أفلakها على أن أعصي الله في

(١) ابن حنبل : المسند ، ج ٣ ، ص ٤٤٠ ؛ النووي : المجموع ، ج ٤ ، ص ٣٩١ .

(٢) سنن أبي داود : ج ١ ، ص ٦٠٣ .

(٣) القرآن الكريم : سورة الأنبياء ، آية ١٠٧ .

(٤) ابن حنبل : المسند ، ج ٥ ، ص ٣٤ ؛ الهيتمي : نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ) ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ج ٤ ، ص ٣٢ ؛ ابن أبي شيبه : عبد الله بن محمد الكوفي (ت ٢٣٥هـ) ، المصنف ، ت. سعيد اللحام ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ج ٦ ، ص ٩٣ .

(٥) الهيتمي : مجمع الزوائد ، ج ٤ ، ص ٣٣ ؛ الطبراني : أبي القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ) ، المعجم الكبير ، ت. حمدي عبد المجيد السلفي ، ط ٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ج ٨ ، ص ٢٣٤ .

(٦) ابن حنبل : المسند ، ج ٢ ، ص ٩٢ ؛ ابن حجر : أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ) ، فتح الباري ، ط ٢ ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، (د.ت) ، ج ٩ ، ص ٥٥٥ .

(٧) النسائي : السنن ، ج ٧ ، ص ٢٣٨ ؛ البيهقي : السنن الكبرى ، ج ٩ ، ص ٨٧ ؛ النمازي الشاهرودي : الشيخ علي (ت ١٤٠٥هـ) ، مستدرک سفينة البحار ، ت. حسن بن علي النمازي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم - إيران ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، ج ٩ ، ص ٣٢٩ .

نملة أسلبها جلب شعيرة ، ما عصيت ربي " (١) ، وفي ذلك تأكيد واضح وجلي في وجوب الابتعاد عن معاصي الله تعالى و من أبرزها الحيوان و ذلك أنه ذو روح فهو حي ويشعر و حساس و يمثل جزء مهم جدا من هذه الحياة التي نعيشها على الأرض وقد لا يستطيع الإنسان العيش بدونه ، كما أن للإمام اهتمام بالحيوان و وصايا كثيرة تجسيدا لدعوة النبي (ﷺ) و تعاليمه و قد امتد ذلك حتى في أنفاسه الأخيرة قبيل استشهاده عندما أوصى إلى ابنه الإمام الحسن (عليه السلام) فكان من كلامه (عليه السلام) : " المثلة حرام ولو بالكلب العقور " (٢) .

المبحث الرابع

الحيوان في حضارات الشرق الأدنى القديم

إنَّ العلاقة بين الإنسان و الحيوان قديمة بقدم التاريخ ، فلا يمكن أن نحدد تاريخ نشأتها ولكن يطرح بعض الباحثين احتمالات لكيفية نشأتها فقد ذكر ديورانت قوله " إننا لا نعرف كيف بدأ استئناس الحيوان ولا متى بدأ ، وربما كان ذلك حين أبقي الصائدون على صغار الحيوان القليل في حلبة الصيد ، حين لم يروا لهاتيك الصغار حولا ولا قوة ، فساقوها إلى مقر سكناهم ليتخذها أطفالهم لعباً يلهون بها ، ولقد لبث الإنسان يأكل الحيوان الذي يمسك به على هذا النحو ، ولكن بعد إمهاله فترة من الزمن ، و أخذ يستخدمه أداة للنقل لكنه مع ذلك كاد أن يسلكه في مجتمعه الإنساني كأنما هو منهم ، فهو زميل وهو شريك في العمل و الإقامة ، ثم تلا ذلك أن أدرك الإنسان معجزة التناسل بين صنوف حيوانه ، فأخضعها لإشرافه ، استطاع بعدئذ من ذكر و أنثى يمسك بهما أن ينشئ لنفسه قطيعاً كاملاً ، كذلك خف عن النساء حمل الرضاعة فترة طويلة ، بأن استعملن لأطفالهن لبن الحيوان بعد سن معينة وبهذا قلت نسبة الوفيات في الأطفال و ظفر الإنسان بمورد جديد مضمون من موارد الطعام ، أدى ذلك كله إلى تكاثر الناس و ازدادت الحياة ثباتاً واطراداً ، وأصبحت سيادة هذا الكائن الوجل ، أعني الإنسان ، أصبحت حياته على الأرض أكثر اطمئناناً " (٣) .

يبدو من كلام ديورانت أن العلاقة بين الإنسان و الحيوان علاقة قائمة على المصلحة ، إذ إن الإنسان يربي الحيوانات لكي يستفيد منها في حياته اليومية ، و هذه الحقيقة التي يؤكدُها القرآن الكريم من خلال تسخير كل ما في الكون لخدمة الإنسان بما فيها الحيوانات الأليفة من

(١) نهج البلاغة ، ج ٢ ، ص ٢١٨ ؛ الشريف المرتضى : أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد الموسوي (ت ٤٣٦هـ) ، رسائل المرتضى ، ت. أحمد الحسيني و مهدي الرجائي ، مطبعة سيد الشهداء ، قم - إيران ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، ج ٣ ، ص ١٤٠ .

(٢) نهج البلاغة ، ج ٣ ، ص ٧٨ ؛ المجلسي : بحار الأنوار ، ج ٤٢ ، ص ٢٥٧ .

(٣) وول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، بيروت ، ج ١ ، ص ١٥ ؛ وينظر سعيد : باسل أياد ، الثروة الحيوانية في العراق القديم ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٨م ، ص ١٣ .

الدواب و الماشية و الطيور و الأسماك و غيرها ، قال تعالى (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ تَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ، وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَإًغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ)^(١) ، إلا أن كلام ديورانت لا يعبر عن حقيقة نشأة العلاقة بين الإنسان و الحيوانات منذ فجر التاريخ ، بل هو تحليل مستخلص من الحياة التي يعيشها الإنسان في الوقت الحالي وما هي الأسباب التي يمكن للإنسان أن يربي الحيوانات لأجلها ، و بالتالي هو أعطى في كلامه نظرة عامة قد تكون موجودة في كل زمن و لا علاقة لها بأصل نشأة العلاقة القديمة في بداياتها الأولى .

كما ذكر أن روح التدين كانت السمة الغالبة على عقل ووجدان العربي منذ فجر التاريخ ، حيث عاش في بيئته الأولى تشاركه أنواع مختلفة من الحيوانات البرية و الطيور الكاسرة التي لم يكن يستطيع بمقاومته الضعيفة أن يسيطر عليها ، وفي خلال بحثه الدؤوب أدرك الإنسان الأول ما لهذه المخلوقات من قدرة عظيمة فاقت قدرته و شاركته قوته اليومي المتاح في بيئته المحدودة^(٢) .

لذا اعتقد كثير من الباحثين أن الأسرة هي المعول الذي نشأ في رحابه الدين ، إذ أن رب الأسرة كان يجب أن يُحترم لكفالته أسرته ، وكان يرهب لأنَّه صاحب القوة و البأس عليها ، و مع مرور الزمن تطورت تلك العقيدة حتى عبدوا قوة أخرى محيطة بهم هي بالطبع تلك التي رأوا فيها قوة و بأس يفوقان قوة و بأس عائلهم ، وهي تلك الحيوانات و غيرها من الكائنات الحية المحيطة فجعلوا لها شيئاً في نفوسهم من الرهبة و القدسية وكان دافعها عوامل رئيسية منها :

١- أنَّ تلك المخلوقات الحيوانية أقوى من الإنسان الأول بأدواته البدائية فرأى أن يقديسها .

٢- أنه أعجب بقوتها غير العادية التي يفتقر إليها هو نفسه .

إلا أنَّ فكرة حب المعبود لذاته جاءت بعد عملية النضج العقلي الذي تبعه نضج في الاعتقاد ، ولعل المعنى الذي ساقه القرآن في قصة ابراهيم عليه السلام يوضح ذلك كما في قوله تعالى : (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ، فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَفَلًا لَّنِي لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُعْمِلُ الْإِنْسَانُ بَرِيءً مِّمَّا تُشْرِكُونَ)^(٣) ، وربما اعتقد أن في تقديسه لتلك الحيوانات تهدئة لها و درء لشرها في أي وقت ، لأنها بحسب اعتقاده تشاركه حياته كلها ، كما يُعتقد أن هناك سببا آخر وهو أنه رأى في تلك الحيوانات نوعاً من الحب الخفي الذي يظهر في الخيرات التي تقدمها تلك

(١) القرآن الكريم : سورة غافر : الآيات (٧٩-٨١) .

(٢) - إريك هورنوج : ديانة مصر الفرعونية الوحداية و التعدد في مصر القديمة ، ترجمة محمود ماهر طه ، القاهرة ، ١٩٩٥م ، ص١٣٨ .

(٣) القرآن الكريم سورة الأنعام (٧٦ - ٧٨) .

الحيوانات من ألبان ولحوم وجلود يعيش عليها ، فقد رأى في ذلك رمزاً خفياً للحب فمنحها من الاهتمام و القدسية بقدر ما تمنحه من حب وتضحية مطلقة^(١) .

كما ذكر أن الإنسان لم ينفصل عن عالم الحيوان في بداياته الأولى الأمر الذي دفعه إلى الاعتقاد أن أصله حيوان أو وحش أو حشرة أو سمكة وغيرها من الاعتقادات ، وليس من قبيل الصدفة أن الملوك القدماء أطلقوا على أنفسهم أسماء بعض الحيوانات كالخروف والعقرب وغيرها من الأسماء ، وقد امتدت هذه الفكرة إلى العصور المتأخرة بعد أن تلاشى النظام القبلي إلا أن الآلهة صورت على شكل حيوانات أو طيور^(٢) .

و فضلاً عما تقدم فقد منحت الجغرافية التضاريسية بما تتمتع به من اختلاف في المناخ و طبيعة الأرض ، و وفرة المياه ، و الأنهار ، عوامل مهمة لبناء الحضارات القديمة ، ففي بلاد الرافدين و بيئاتها المتباينة أعطت للمنطقة ميزات فريدة أهلتها لتكون مهد الحضارات و أعطتها الأفضلية لتكون أول مكان في العالم تولد فيه المدن و تنشأ الممالك و الدول ، فقد اختصت مناطقها الشمالية بتوافر الأسلاف الفطرية للحبوب ، و الحيوانات التي تمكن الإنسان من تدجينها لأول مرة مع مطلع العصر الحجري الحديث في نحو ٩٠٠٠ آلاف ق.م ، تلك هي المنطقة التي بدأ فيها المزارعون الأوائل تجاربهم في تدجين النباتات و استئناس الحيوانات قبل أن يتمكنوا من اختراع المحراث و الأدوات الأخرى من النزول إلى أحواض الأنهار الجافة في المناطق الجنوبية ، و في منطقة الدلتا هناك البيئات النهرية و المسطحات المائية التي وفرت معيناً لا ينضب من الأسماك و الطيور ، و هناك المراعي و الحقول التي استفاد منها الرعاة و وفرت غذاء و فيراً لحيواناتهم ، فضلاً عما يجود به نهري دجلة و الفرات من الطمي الخصب و مياه الري التي وسعت من رقعة الأرض المزروعة ، وساعدت على وفرة المحاصيل ، وجعلت من هذه المنطقة سلة غذاء قادرة على إعاشة الملايين من البشر^(٣) .

و أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في آيات متعددة منها قوله تعالى : (إِن فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْوَانِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (٤) وقوله تعالى (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَكَأَ هُدًى وَكَأَ كِتَابٍ مُّنِيرٍ) (٥) ، وفي

(١) حسن : سليم ، الحياة الدينية و أثرها على المجتمع ، القاهرة ، ١٩٦١م ، ج ١ ، ص ٢٠٧ .

(٢) فرح : د. نعيم ، موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ، دار الفكر ، ص ٤٣ .

(٣) الزبيدي و الطلبي : أ.م نعيم عودة و م.د جمعة حريز ، أثر البيئة في ظهور المدينة و نشوء الدولة في بلاد الرافدين ، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ، مج ٢٢ ، العدد (١) ، ٢٠١٩م ، ص ٤٠٧ ؛ وينظر

فرح : تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ١٦ .

(٤) القرآن الكريم : سورة البقرة (١٦٤) .

(٥) القرآن الكريم : سورة لقمان (٢٠) .

قوله تعالى أيضاً (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَكُمْ تَكْوِناً لَحِماً طَرِيّاً وَاسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَتَلْتَبِئُونَ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ^(١)، وقوله تعالى (وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ نُسَيْتُكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) ^(٢)، وغير ذلك من النصوص القرآنية التي تؤكد أن الله تعالى عندما خلق الإنسان وفر له المعطيات اللازمة لإنشاء حضارته على الأرض من مناخ مناسب و نباتات و مياه و حيوانات و غيرها من مقومات الحياة .

ولم يبعد الحيوان من أن يكون قرباناً للمعبودات في الطقوس الدينية القديمة ، ففي الثقافات القديمة لبلاد الرافدين اتخذت عادة الذبح و تقديم الحيوان كأضحية للإله المقدس ، فكانوا يرون أن من واجب الإنسان الذي خلقته الآلهة أن يقدم الرعاية و المتطلبات المادية للمعبودات ، والتي تشمل توفير الغذاء للآلهة حيث كانت تقدم وجبات الطعام لتمثال الإله و بإشراف الكاهن الأعظم ، لأن الآلهة مثل البشر تأكل و تتزوج و تنجب و تكره و تحب ، وكان ينظر إلى التضحية بالحيوان على أنه الوسيلة لإشباع حاجة الآلهة من الطعام كما في معبد مردوخ في بابل أو معبد الإله آشور في مدينة آشور ، لذلك كان يتم إعداد الأطعمة في مطابخ المعبد و تعرض أمام تماثيل الآلهة ويرسل قسم من الطعام إلى الملك ، والقسم الآخر لمن حالفهم الحظ في المعبد لتناول القليل منه بسبب التهافت عليه من قبل زوار المعبد ، و يتلقى المعبد الكثير من الحيوانات كنذور و هبات و هدايا من المتعبدين و تبقى تلك الحيوانات في حضيرة المعبد باعتبارها ملك للإله وهذه الحيوانات لا تعد كطعام للإله المدينة فقط و إنما تستخدم لإطعام رجال الدين و خدم المعبد و زواره حيث تقام الولائم على شرف الإله ^(٣) .

كما دخلت القرابين الحيوانية في الطقوس الجنائزية ، فكانوا يعتقدون أن القرابين تشكل غذاءً للمتوفى ، ففي المدافن السومرية كانت الخيول و الثيران و أحياناً العربات جزءاً من الاحتفال الكبير الذي يرافق الجنازة ، ومن المحتمل التضحية بالثيران هدفه مواصلة مهمتهم كحيوانات تعمل في خدمة المتوفى في العالم الآخر ، كذلك قدمت الماعز كأضحية و تدعى بديل الإنسان ، ففي بعض الطقوس تجري عملية تحويل المرض أو الشر من الأفراد إلى الماعز التي يضحي بها ، كما توجد أدلة تاريخية على وجود تضحية حيوانية لها علاقة بطقوس خاصة ترتبط بإقامة منزل ، كما توجد أدلة على وجود احتفال ديني يقدم فيه الحمار كوليمة ضمن طقوس أمورية عظيمة ، و يعتقد أنها تدور حول ركوب الإله للحمار ، كما دلت المصادر على تقديم الحمار الصغير كقربان في طقوس السلام و التحالف بين الممالك الصغيرة أو القبائل وكذلك في الاتفاقيات الدبلوماسية بين الدول ، كما صورت بعض المنحوتات الصيد الملكي الذي يُعد شكلاً من أشكال التضحية بالحيوان كما في منحوتات الملك آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٧

(١) القرآن الكريم : سورة النحل (١٤) .

(٢) القرآن الكريم : سورة المؤمنون (٢١) .

(٣) الصالحي : صلاح رشيد ، بلاد الرافدين ، دراسة في تاريخ و حضارة العراق القديم ، ج ٣ ، بغداد ، ٢٠١٧م ، ص ٦٩-٦٨ .

ق.م) فقد صور في أحد النقوش الصخرية في قصره وهو يقف بجوار الأسود التي قتلها و يقوم بسكب السائل المقدس عليها^(١).

و أشار القرآن الكريم إلى فكرة تقديم القرابين من الحيوانات و غيرها من ممتلكات الإنسان أنها قديمة بقدم الخليفة ومنذ بداية وجود الإنسان وذلك من خلال الإشارة إلى قصة ابني آدم (ع) في قوله تعالى : (وَأَتَىٰ عَلَيْهِمُ بَنُو أَبِيءِ آدَمَ الْحَقُّ إِذْ قَرَّبُوا نَافِثِينَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَّخَذْ مِنْ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَّبِعُ اللَّهُ مَنَ أَلَّهَ مِنْ أَلَّهِيْنَ)^(٢) ، و من جاء بعدهم من الأمم القديمة التي ذكرها القرآن الكريم كما في قوله (الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ عَهْدٌ آلَيْنَا لَا نُؤْمِنُ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا مَقْرَنًا نَّكَالُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ)^(٣).

و أشار بعض الباحثين إن دراسة النصوص المسمارية قد عرفتنا عن الكثير من المعلومات عن الحيوانات في حياة الإنسان القديم فقد ذكر فيها العديد من أسماء الحيوانات وأصنافها وكذلك الأشخاص القائمين على تربيتها فضلا عن الحظائر التي كانت تحفظ فيها واهم الحظائر التي وردت في سلالة أور الثالثة هي حضيرة دريهم ، نفر ، أور وكذلك حضيرة تومال^(٤).

أما في مصر فقد ولع المصريين بالحيوان حيث أن سكان وادي النيل دأبوا على الحفاظ على أجساد الحيوانات من كلاب برية وأبقار وحشية وغيرها ، بالإضافة إلى الطيور و الحشرات^(٥) ؛ و القروذ التي كانوا يرسلونها كهدايا لملوك وادي الرافدين و آشور^(٦) ؛ و يرى أحد الباحثين أن روح الإله التي تكمن في الحيوان هي الدافع وراء عبادته أي أن المصري لم يعبد الحيوان لذاته ولكنه جعل منه وسيطاً للإله المزعوم الذي قطن هذا الحيوان ، وتجلت فيه قدرته الخالقة ، لذلك قدست كل مقاطعة حيواناً خاصاً بها ، اعتبرته صورة الإله غير المرئي على الأرض و نال الاهتمام مع مرور الزمن واستبدال الأفكار حتى وصل إلى منزلة القداسة التي تحولت شيئاً فشيئاً إلى عبادة لا للحيوان نفسه ولكن لروح ربه التي تكمن فيه^(٧) ؛ إلا أن برستيد رفض الفكرة القائلة بأن المصريين عبدوا الحيوانات و رجح أن يكون ذلك قد تم في عصور الاحتلال وعهود الاضطهاد الديني و السياسي وكذلك العصور المتأخرة من تاريخ مصر وخاصة فترة الاحتلال اليوناني و الروماني^(٨).

(١) الصالحي : رشيد صلاح ، القرابين الحيوانية في بلاد الرافدين ، بغداد ، ٢٠١٩م ، ص ٤ .

(٢) القرآن الكريم : سورة المائدة (٢٧) .

(٣) القرآن الكريم : سورة آل عمران (١٨٣) .

(٤) المتولي ، نواله احمد ، مدخل لدراسة الحياة الاقتصادية لدولة اور الثالثة ، مطبوعات الهيئة العامة للآثار والتراث ، ٢٠٠٧ م ، ص ٢٠٨ .

(٥) ديفيد : المصري القديم ، لندن ، ١٩٨٠م ، ص ٢٤ .

(٦) بوتس : دانيال ، حضارة وادي الرافدين (الأسس المادية) ، ت. كاظم سعد الدين ، ط ١ ، بغداد ، ٢٠٠٦ م ، ص ٣٧٢ .

(٧) دريوتون : جاك فانديه ، كتاب مصر ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص ٨٢ .

(٨) برستيد : انتصار الحضارة ، ترجمة . أحمد فخري ، القاهرة ، ١٩٦٩م ، ص ٩٥ .

بينما يذكر أحد الباحثين المحدثين قوله " يمكن القول إن المصريين لم يعبدوا الحيوانات لذاتها إطلاقاً ولكنهم قدسوا روحاً سامية هي روح الإله التي تكمن فيها ، فروح الإله تجلت في ذلك الحيوان أو هذا الطير ، وهو ما يشير إلى اختفاء الإله عن الأنظار و تجرده من المادية إلى السمو و التنزه عن الماديات الملموسة إلى العالم اللا مادي ، و السمو بالنفس إلى ملكوت متجرد من كافة الصفات الأرضية ، فاحترام المصري و تقديسه لتلك الهيئات الحيوانية ، إنما يعني احترامه لتلك الروح التي بداخلها وهي روح الإله و ليست روح الحيوان نفسه " (١) ، وهذا الكلام قد يتعارض مع ما ذكرته المصادر عن عبادة المصريين للقط باست الذي صار سبباً لهزيمتهم على يد الفرس الاخمينيين الذين احتالوا على المصريين في الحرب من خلال حمل العديد من القطط التي يعبدها المصريون الأمر الذي جعلهم في حرج أمام عقيدتهم وخشوا أن تقتل هذه القطط بسبب الحرب مما أدى إلى انتصار قمبيز الثاني (٥٣٠ - ٥٢٢ ق.م) و جيشه عليهم سنة ٥٢٥ ق.م وهذا يدل على أن المصريين كانوا يعبدون القط باست لاعتقادهم بالهية ذاتاً وليس نائباً (٢) .

فالحيوانات البرية كانت لها أهمية كبيرة في حياة الفرد العربي من خلال الاستفادة منها سواء من ناحية لحومها والبانها وجلودها أو من ناحية ترحاله فضلاً عن استخدامها في تقديم القرابين ، ومن أكثر الحيوانات التي برز شأنها في حياة الإنسان القديم هي :

أولاً : الأغنام :

تعدّ الأغنام أحد أهم الأشكال الحيوانية لغنى الإنسان القديم ، كما شكلت أهم الرموز الدينية باعتباره يشير إلى معنى القرابين الإلهية (٣) ؛ إذ ورد في أحد المصادر التي تعود إلى الملك السومري أورنمو (٢٠٩٤ ق.م) أنه قدم القرابين و الهدايا وذبح الثيران و قدم الأغنام قرباناً لآلهة العالم الأسفل فضلاً عن أنه رمز الخصوبة (٤) ؛ وفي نفس الوقت أصبح الكبش من أهم رموز الإله (إنكي) الذي أعد أحد الحيوانات الأليفة التي أشارت أو رمزت إلى هذا الإله كما هو حال السمكة و السلحفاة و التي تشير إلى الخير و الوفرة و العطاء و الخصب (٥) .

حيث عرف الخروف من بين الحيوانات المدجنة منذ أزمنة مبكرة وقد ورد ذكره في نصوص الفال مثل فال الولادة وفال المدن وقد اعتبر الحيوان الأمثل في القرابين (٦) ؛ خصوصاً في فؤول الأحشاء التي تجري خلال طقوس معينة كما كان له دور في طقوس السحر والتعاويذ المعدة لرفع الشر (٧) ؛ كما كانت تقدم للتضحية بها في أعياد رأس السنة البابلية الجديدة (٨) ؛ كما

(١) عبد النعيم : إيناس بهي الدين ، المعبودات المصرية القديمة التي اتخذت هيئة كبش ، رسالة ماجستير ، إشراف . أ.د محمد عبد الحليم نور الدين ، كلية الآثار - جامعة القاهرة ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ، ص ٦ .

(٢) الصالحي : أ.د صلاح رشيد ، العقيدة والحرب بين الملك قمبيز الثاني والآلهة باست المصرية ، بحث غير منشور ، ص ٨ .

(٣) العلي : بلال موسى بلال ، الرمز الديني ، د.م ، (٢٠١١ م) ، ص ١٢٨ .

(٤) كريم : صموئيل نوح ، السومريون (أحوالهم ، عاداتهم ، تقاليدهم) ، ترجمة . فيصل الوائلي ، دار غريب ، الكويت ، ١٩٧٣ م ، ص ١٧٤ .

(٥) ابو خضير : م.د خمائل شاكر ، الرمزية في الفكر الديني في حضارة بلاد الرافدين وحضارة إيران قديماً ، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية الأساسية ، بغداد ، ص ٤٦٥ .

(٦) الصالحي : القرابين الحيوانية في بلاد الرافدين ، ص ٢ .

(٧) اوبنهايم ، ليو ، بلاد ما بين النهرين ، ترجمة سعدي فيضي ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ٢٦٠ - ٢٦٨ .

(٨) الصالحي : القرابين الحيوانية ، ص ٢ .

وجد في العراق الغنم البري ولكن بأعداد قليلة و شبه نادرة وقد عثر على عظامها لأول مرة في العراق بين المخلفات الآشورية في كهف شانيدار و هي ترجع إلى ٦٠٠٠ سنة ق.م تقريباً ، ويرى الباحثون أن إقليم استيطان هذا الحيوان كان في مناطق الحدود العراقية الإيرانية شمال العراق في الزاوية الشمالية الشرقية ، وقد يستوطن الغنم البري في ١٨ موقعاً في آسيا الصغرى و إيران ، ولقد ولع الآشوريين بصيد الغنم البري التي اعتادوا على اصطيادها للاستفادة من لحومها و جلودها ، إذ ذكرت الأغنام البرية في الكتابات الملكية الآشورية فقد عثر بهذا الخصوص على مشهد يصور قطعاناً من الغنم البري المأسور وهذا المشهد يعود للملك الآشوري تجلاتبليزر الثالث (٧٢٧ – ٧٧٤ ق.م)^(١) .

كما ورد ذكر الماعز حيث استخدم لحمه ولبنه وجلده فضلاً عن استخدام أجزائه في العلاجات الطبية^(٢) ؛ وقدمت كقرايين تدعى (بديل الإنسان) و في بعض الأحيان تقدم لتحويل المرض من الإنسان إلى الماعز من خلال ذبحها و تقديمها كقربان^(٣) ؛ وفضلاً عن ذلك فقد وجد الماعز الجبلي أيضاً وذلك منذ ٨٥٠٠ سنة ق.م تقريباً في الشرق الأدنى القديم ، ولا يزال هذا الحيوان موجوداً في شمال العراق وذلك لملائمة البيئة الجبلية لعيش هذا الحيوان ، وقد ولع الآشوريين بصيده إلى جانب الغنم البري و تدل على ذلك منحوتة جدارية من عهد الملك (سن-أخي-أريبا) تبين قطيعاً من الماعز البري^(٤) .

أما في وادي النيل فكان أول ظهور للأغنام في مصر مع أول تغير مناخي أدى إلى تحول الإنسان من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار و الإنتاج ، وذلك مع طلائع العصر الحجري الحديث (٩٠٠٠ – ٤٥٠٠ ق.م) ، إذ أصبحت الأغنام ترعى على بقايا المحاصيل المزروعة على ضفتي وادي النيل ، حيث عثر على بقاياها في بعض مواقع تلك الحقبة بداية بمرمدة بني سلامة ، ويعتقد الباحثون في التاريخ الطبيعي أن الأغنام المدجنة في مصر القديمة انحدرت من الأنواع التالية (الكبش الجبلي ، أغنام آسيا الغربية ، أغنام بلاد إيران و أواسط آسيا) ، و كانت هذه الأغنام على سلالتين هما (الأغنام ذات القرون الحلزونية و الأغنام ذات القرون المقوسة) ، وقد وجدت الأولى في مصر منذ عصور ما قبل التاريخ ، وتميزت بأظلافها الرشيقية و انسيابية أجسامها ، وتميزت ذكورها بالذيل الطويل و الصوف الغزير عند الجبهة و الرقبة ، أما الأنثى فلها شعر عند العنق ولا قرون لها وقد تكون نحيلة أو غير مكتملة و يتألف قطيعها من ذكر واحد لكل خمس أنثى ، إلا أن هذه السلالة انقرضت من مصر مع بداية العصر الصاوي (٦٦٤ – ٣٣٢ ق.م) و استبدلت بالسلالة الثانية^(٥) .

وظهرت السلالة الثانية في مصر منذ عصر الدولة الوسطى وازدادت أعدادها منذ وفود جماعات الهكسوس (١٨٣٨ – ١٥٣٠ ق.م) و حلت محل النوع الأول الذي وجد منذ عصور ما

(١) صالح : ياسمين ياسين ، نماذج من الحيوانات البرية على المنحوتات الآشورية ، كلية الآثار ، قسم الآثار ، ص ٢٠٨ .

(٢) رشيد ، فوزي ، وسائط النقل المائية والبرية ، مجلة النفط والتنمية ٧-٨ ، ١٩٨١ ، ص ١١٣ .

(٣) الصالحي : القرايين الحيوانية ، ص ٢ .

(٤) صالح : نماذج من الحيوانات البرية على المنحوتات الآشورية ، ص ٢٠٨ .

(٥) الجزار : د. محمود عبد المنعم ، الأغنام و دورها في الحياة الاقتصادية في مصر القديمة ، مجلة أبحاث ، جامعة سرت – ليبيا ، العدد ٦ ، ٢٠١٤ م ، ص ٧٠-٨٢ .

قبل التاريخ و استمر تصويرها حتى العصر الروماني وانتشرت فيما بعد في كل جهات الشمال الأفريقي و تتميز بحجمها البسيط ذي الشكل المعقوف و الوجه المقوس و الأذن المتدلية متوسطة الطول ، كما أن القرون سميكة عند منبتها وتنتجه إلى الخلف ، وتلتف عند المؤخرة لتعود باتجاهها إلى أسفل ، ثم تمتد إلى الأمام باتجاه الفك و لها ذيل كبير و سميك ، ولم تكن هذه الأغنام مصدراً للصوف إذ تكتسي بشعر ، أما الأغنام ذات الجزء الطويلة التي انتشرت في العصور الفرعونية المتأخرة فكانت وسط بين الأنواع المصرية القديمة و الأغنام العربية التي بدأ وفودها على مصر منذ العصر البطلمي (٣٢٣ - ٣٠ ق.م) .

و تعددت الآراء حول موطن سلالاتي الأغنام و كيفية دخولهما مصر قديماً ، فيرى فريق أن موطن كل الأغنام الأفريقية يرجع إلى إيران و الجزء الشرقي من آسيا الغربية ، و فريق آخر يرى أن أصولها في غرب آسيا عامة ، و فريق ثالث يرى أن أصولها في أفريقيا ، و غيرها من الآراء التي تنسب جهة أصولها بحسب البقايا التي عثر عليها بمواقع مختلفة ، و كل هذه الآراء ظنية ولا يمكن القطع بها ، و كان من أبرز أسباب انتشار الأغنام في مصر هو أهميتها في الاقتصاد المصري آنذاك فقد دخلت الأغنام في الحقول الزراعية و أخذت الدولة عليها الضرائب و الجزية فضلاً عن كونها تمثل أهم القرابين التي تقدم نذوراً للآلهة^(١) .

ثانياً : الثور والبقرة :

فهما الحيوانان اللذان استفاد منهما العراقي القديم في حياته المعيشية وقد استخدم الثور أول الأمر في جر العربات كما ظهر ذكر ذلك في الآثار الفنية ثم بعد ذلك تطور استخدامه في حرث الأرض وسقي الزرع ولم يكن لحم الثور مادة غذائية مهمة اهتم بها العراقي القديم بل استخدم لحمه أكثر في تقديم القرابين^(٢) ؛ وهو من أكثر الحيوانات التي حظيت بالقداسة في بلاد الرافدين وفي الفكر العراقي القديم ، فقد ارتبط الثور بالآلهة الخصب و شبه بالقمر ، ومن أسباب هذا التشبيه هو اكتمال قرونيه ولمعانها و قوة استعمالها في الصراع إضافة إلى شموخه و توثبه^(٣) .

كما ورد في اسطورة (إنكي وتنظيم الكون) عن اقتران الثور بالإله إنكي (إله الماء و الأرض والحكمة) فقد شبه بالثور ويتضح ذلك من خلال نشيد يمجّد بالإله إنكي و يتغنى بمركزه بين الآلهة جاء فيه (أيها الإله عظيم أنت في الكون ، لك السيادة بالطبيعة ، أي إنكي المبجل ، وليد الثور ، وليد الثور الوحشي) ، وتتجسد قدسية الثور في ملحمة كلكامش حينما تطلب إنانا من أبيها الإله أنو أن يخلق ثوراً تهلك به مدينة كلكامش^(٤) ؛ كما اقترن اسم الثور باسم الإله فقد ورد في الأساطير السومرية (عجل الإله شمش)^(٥) ؛ وقد مثل الثور السماوي بوجه إنسان الجفاف والقحط و رمزاً للباس و القوة الفعلية التي هي أقرب إلى التدمير ، و

(١) الجزار : الأغنام و دورها في الحياة الاقتصادية في مصر القديمة ، ص ٧٠-٨٢ .

(٢) ينظر : فرح ، تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ١٧ .

(٣) عبد اللطيف : سجي مؤيد ، الحيوان في أدب العراق القديم ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٧م ، ص ١١٥ .

(٤) طه باقر : ملحمة كلكامش ، دار الحرية ، بغداد ، ط٤ ، ١٩٨٠م ، ص ١١٤ .

(٥) جان بوتيروا : الديانة عند البابليين ، ترجمة. وليد الجادر ، مركز الإنماء ، ٢٠٠٥م ، ص ٥٤ .

تتجلى قدسية الثور في العصور الآشورية حينما يدخل في تركيب كائن أسطوري من جسم ثور له رأس بشري يبدو عليه الوقار و الإجلال وله أجنحة ، وقد وضعت هذه الكائنات الأسطورية في بوابات المدن و القصور و المعابد بصفاتها أرواح حامية تحرسها عرفت باسم (اللاماسو)^(١).

إما بالنسبة للبقرة فقد استفاد منها الإنسان من حليبها ومنتجاتها فضلا عن استخدامها بالحرث ووصفت البقرة عند العراقيين باعتبارها رمزا للخصب الذي يتجسد بشخصية الأم لذلك ظهرت في فصول فال الولادة وازدياد إعدادها وخصبها دليل على الازدهار الاقتصادي وقلتها وقلة خصوبتها دليل على الفقر والتدهور الاقتصادي^(٢).

وسرعان ما انتقل تأثير رمزية الثور إلى البلاد المجاورة و منها بلاد عيلام إذ يظهر في عدد من اللوحات مشاهد تصور الإنسان الثور و التي ترمز إلى القوة و الخصوبة^(٣)، وهذا يدل على مدى تأثير بلاد إيران بالفن و الفكر العراقي القديم ، خاصة أيام العهد السومري و البابلي^(٤). البابلي^(٥)، ومع سيادة الآشوريين انتشرت بشكل واسع و على هياكل كبيرة ضخمة التي كانت تزين بوابة العاصمة اشور و نينوى وصار هذا رمزا مشهورا و معروفا للحضارة الآشورية التي كانت تعتمد القوة كمبدأ في سياستها وانتشارها فكانت تلك الثيران رموزا لشخصية للرجال وقواعد العالم و كانت سلفا تعد الإله الحارس للأبواب و القصور وكان الغرض منها إرهاب الأعداء كدعامة للبناء^(٦)، وقد انتقلت فكرة الثيران المجنحة و برؤوس آدمية إلى بلاد عيلام و أصبحت حيوانات حارسة للمعابد و القصور العيلامية ، إذ ورد في أحد المصادر الآشورية أن الملك آشور بانيبال في حربه مع العيلاميين عمل على نقل الثيران المقامة في أبواب العاصمة سوسة^(٧)، كما عبد الإيرانيين القدماء الثور (هوما) الذي مات ثم عاد إلى الحياة مرة أخرى ليمنح الجنس البشري دمه شرابا ليسبغ عليه نعمة الخلود^(٨)، وهذا يدل بوضوح على تأثير الحضارة العيلامية بحضارة بلاد الرافدين و مدى انتشار قدسية الثور في كلا الحضارتين^(٩).

أما في حضارة وادي النيل في مصر القديمة فقد استخدم الثور في أعمال متعددة منها حراثة الأرض فقد ذكرت المصادر أن المحراث في العصور القديمة كان يربط على ثورين و يفقداهما رجلين ، أحدهما مهمته تثبيت المحراث في الأرض و الآخر مهمته قيادة الثور ، وقد

(١) سمار : سعد عبود ، تقديس الحيوان وعبادته عند العرب قبل الإسلام ، مجلة كلية التربية ، جامعة واسط ، العدد ٣٦ ، ٢٠١٩ ، ج ١ ، ص ٢٠٠-٢٠١ .

(٢) كونتينيو : جورج ، الحياة اليومية في بلاد بابل و اشور ، ترجمة سليم طه وبرهان التكريتي بغداد ، ١٩٧٩ ، ص ١٤٢ .

(٣) عكاشة : د. ثروت ، الفن العراقي القديم ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت - لبنان ، ص ٣٨٨ .

(٤) مورنكات : أنطوان ، الفن في العراق القديم ، ترجمة عيسى سلمان و سليم طه التكريتي ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ٤٤ .

(٥) فان بورين : رموز الآلهة في فن بلاد ما بين النهرين ، لندن ، ١٩٤٥ م ، ص ٧٤ .

(٦) محسن و الخطاط : زهير صاحب و سلمان ، تاريخ الفن القديم في بلاد وادي الرافدين ، دار المعارف ، بغداد ، ١٩٨٧ م ، ص ١٩٨ .

(٧) العلان : أرواد عدنان ، الدولة الاشكانية ، دار رسلان ، دمشق ، ٢٠١١ م ، ص ١١٤ .

(٨) ابو خضير : الرمزية في الفكر الديني ، ص ٤٦١ .

ورد في النصوص القديمة عن أحد الفلاحين قول " هذا يوم جميل هواؤه بارد ، و الثيران تجر المحراث ، ولا عجب فالسماء صحو تسر قلوبنا "(١) .

كما اهتموا بالأبقار فكانت ترمز للآلهة حتحور آلهة الحب و الجمال و السماء ، وكان يغلب على الأبقار و الثيران اللون الأبيض أو الأبيض المرقط ببقع كبيرة سوداء أو حمراء ، أما القرون فطويلة أو هلالية الشكل ، وكانوا يشكلون أحياناً القرون بالطريقة التي يريدونها ، وكانوا يميلون إلى تحويلها إلى الأسفل عن طريق الكشط أو الكي ، ولم يعرف أصل الثور المصري ولكن يعرف أنه بعد خروج المصريين إلى خارج الحدود في عصر المملكة الحديثة استقدمت أنواع الثيران ذات القرون القصيرة و اللون الأرقط جيء بها من بلاد النوبة و من سوريا وكان الثور يذبح و يقدم قرباناً للآلهة ، حتى أن الملوك كانوا يفتخرون إذا سموا بالثيران القوية الساحقة لأعدائها^(٢) ؛ أما في الطقوس العبادية فقد قدس المصريين القدماء الثور و عبده حيث دلت النقوش على وجوده فيما قبل الأسرة الأولى فعبد في (منف) مقر عبادة الإله (بتاح) وعند موته تقام احتفالات عظيمة يشترك فيها الكهنة و ممثلون عن كل الأقاليم ولا يكاد يدفن حتى يولد ثانية في صورة عجل صغير يقع عليه الاختيار حسب مواصفات محددة و دقيقة ، حيث توجد علامات بيضاء على فروته السوداء مثلت على الجبهة و هلال على الجانبين وشعر مضاعف على الذيل ، ويبدأ عهد جديد بتتويج الثور الذي عرف بأبيس بواسطة كهنة بتاح و يجري هذا الاحتفال في منف وقت اكتمال القمر نظراً لأن الشكل الهلالي للقمر يرمز لقرني الثور و يصاحبه أعياد كثيرة ، أما موته فكان له طقوس خاصة فكان يحنط و يدفن كإنسان ويوضع في مقبرته أثاث جنازتي كامل ، ولقد اتخذ الثور رمزاً للإله (مين) حيث نجد في النصوص المصرية ما يشير إلى وجود ارتباط من نوع ما بين الإله مين و الثور و القمر حيث وصفت نصوص الأهرام قرون الثور بأنها " التي تضيء أو التي تنير "(٣) .

أما البقرة فتعدّ رمزاً للآلهة حتحور كما أشرنا سلفاً ، وقد عبدت في العصور التاريخية في بلدة (ديوسبوليس بارفا) القريبة من نجع حمادي حيث صور رمزها برأس بقرة ذات قرون هلالية ، وهي المنطقة التي وجدت بها الآثار المبكرة ذات المؤثرات الأجنبية مثل سكين جبل العركي ، و صورت حتحور برأس بقرة يعلوها القرص و القرنان منذ عصور ما قبل التاريخ و ذلك على صخور صحراء مصر الشرقية ، ولقد كان هناك تشابه بين صفات الآلهة حتحور و الإله مين ، فقد كان الإله مين معبوداً قمرياً و كذلك الآلهة حتحور ، وترجع أهمية الآلهة حتحور إلى أنها أقدم نموذج للآلهة المصرية في شكل يجمع بين البشرية و الحيوانية^(٤) .

(١) حسن : أ.م.د محمد علي عبد الأمير ، الحياة الاقتصادية في عصر المملكة المصرية الحديثة (١٥٨٥

— ١٠٨٠ ق.م) ، مجلة جامعة بغداد ، العدد ٥٨ ، آذار ٢٠١٧م ، ص ٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤ .

(٣) سالم : د. فاطمة عبد الغني ، دراسة مقارنة لرموز الآلهة في كل من مصر الفرعونية و اليمن القديم ،

مجلة دراسات في آثار الوطن العربي ، كلية الآداب — قسم الآثار ، قنا ، ص ٣٤٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٤٧ .

ثالثاً : الحمار :

استعملت الحمير في بلاد الرافدين لسحب العربات و حراثة الأرض وطحن الحبوب^(١)؛ وقد أطلق عليه السومريون اسم إنشي ، بينما سمي بالأكدية إماروا ، وقد انتشر الحمار في سوريا و إيران و باكستان و الهند و العراق ، وقد استعمل في بلاد سومر قديماً لسحب العربات قبل ٢٦٠٠ سنة قبل الميلاد ، و كذلك استعمل لسحب العربات الثقيلة في حضارة أور قبل ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، وقد تميز بشكله المختلف عن الحصان حيث يتميز بأذنيه الطويلتين و ذيله الرقيق الذي ينتهي بخصلة من الشعر ، وقد صور في نقوش مختلفة منذ عصر السومريين و الأكديين و سلالة كيش و لكش ، فقد عثر على ختم اسطواني في مقبرة أور الملكية و عليه نقش رجل يقود حمار بواسطة اللجام وهو يسحب عربة صغيرة ، لكن العربة بدون حمولة و فوقها نسر يحوم بأجنحة مفتوحة و تنين يقف على عمود العربة ، و في العصور التالية صورت الحمير بتمثيل من الطين أو صورت بالنحت البارز ، أما عند الآشوريين فكان استخدام الحمير قليل نسبياً و ذلك بسبب اعتمادهم على البغل أكثر من الحمار^(٢) .

وأشارت المصادر المكتوبة في قصر ماري ١٨٠٠ قبل الميلاد إلى استعمال الحمار كحيوان لحمل العبء الأكبر في نقل البضائع المختلفة مثل المعادن و الأحجار الثمينة و المنسوجات و الصوف و القير و الحبوب و الزيوت و الملح ... إلخ ، و كانت قوافل الحمير تسافر لمسافات طويلة ، البعض منها تنطلق من جنوب بلاد الرافدين إلى وسط بلاد الأناضول^(٣) .

أما القيمة المالية لشراء الحمير فكانت تختلف من مكان لآخر ، فقد كانت تباع الحمير بالقرب من آشور إذ تربي في تلك المنطقة و في جنوب العراق أيضاً ، و حدد سعر الحمار في أوائل الألفية الثانية قبل الميلاد بسعر (٢٠ شيقل) أي ما يساوي (١٧٠ غرام من الفضة) لكل حمار ، وكان التجار الآشوريين يفضلون الحمير السوداء لنقل بضائعهم لأنها قوية ، فقد كانت حمولة الحمير تصل إلى (٩٠ كغم) من البضاعة ، ولها القدرة على السفر لمسافات طويلة عبر الجبال و السهول إذ تقطع ١٥ ميل يومياً تقريباً ، وعلى أية حال فليس كل إنسان يمتلك حماراً لغرض الركوب أو لسحب العربات ، ولهذا يشتكي الناس من قلة المال كما جاء في بعض النصوص (لا أملك المال لنفقاتي و ليس لدي حمار حتى أركبه) نص آخر (ماذا سأعطي إلى الأطفال ، ماذا أعطي إلى أمنا ، وماذا أقول عن غذائي ؟ ليس لدي حتى حمار للركوب) ، و عبارة لا أملك حتى حمار للركوب يقصد منه الفاقة ، كما استخدم الحمار في الاحتفالات الدينية كوليمة ضمن طقوس أمورية عظيمة ، ويعتقد أنها تدور حول ركوب الإله للحمار ، فقد اعتقد سكان حلب و إيمار أن إله الطقس كان يركب حمار ، وكانت تقدم مهرة الحمار كقربان في

(١) فرح : تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ص ١٧ .
(٢) جيوفينو : ماريانا ، الشجرة الآشورية المقدسة (تاريخ من التفسيرات) ، الصحافة الأكاديمية ، فريبورغ فاندويك و روبريخت جوتنجن ، سويسرا ، ص ١١٣ .
(٣) الصالحي : دراسة العائلة الخيلية في حضارة الشرق القديم ، وقائع المؤتمر العلمي الثالث (علوم الحيوان بين التراث و المعاصرة) ، جامعة بغداد ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، ٢٠١٣ م ، ص ١٩٤ .

طقوس السلام و التحالف أو في حالة الاتفاقيات الدبلوماسية ، علاوة على ذلك ، فهناك صنف خاص من الحمير كانت مفضلة كقرايين^(١) .

أما في مصر فإن الحمار موطنه الأصلي جنوب مصر ، وقد مثل كثيراً خلال عصر نقادة ، ثم أدمج بمنطقة الدلتا في وقت متأخر إلى حد ما ولكن قبل حلول الفترة التاريخية وكان له شأن فائق الأهمية على مستوى الاقتصاد المصري ، فقد استعان به الفلاحون المصريون في عمليات درس الحبوب وفصلها عن الأعشاب ، وفيما يتعلق بعمليات النقل بواسطة القوافل عبر الصحارى ، كان يحمل البضائع و الحمولات الثقيلة وذلك أن الجمال لم تكن مكتشفة بعد ، ويبدو أن المصريين كانوا يأنفون من امتطائه بل لم يحاولوا ركوب الجياد إلا نادراً حتى خلال العصر الإغريقي وقد اعتبر الحمار رمزاً للإله ست الذي كان يمثل روح الشر خلال العصر المتأخر ، وكانت التضحية تتم خلال بعض المراسم الدينية بواسطة الخنزير و الحمار^(٢) .

وأشار القرآن الكريم إلى أهمية الحيوانات الخيلية في الاستخدام اليومي من قبل الإنسان لكونها تساعده في كثير من المهام الشاقة التي قد لا يقوى على أدائها بمفرده ، فقد ورد في قوله تعالى إشارة لبعض وظائفها (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)^(٣) .

رابعاً : البغل :

عرف حيوان البغل بكثرة عند الآشوريين ، فقد صورت البغال في الأختام الآشورية الاسطوانية ، حيث ربطت البغال بالعربة ولها أذان أطول من أن تكون طبيعية ، و في عصر الملوك الآشوريين صورت البغال غالباً بنماذج جميلة ، فقد استعملوها كحيوانات تحميل أو لسحب العربات المحملة بالسلع ، و الجزء الأكبر من المشاهد التي يظهر فيها البغل هي التي تخلد فتوحات الجيش الآشوري كما إن هذا الحيوان الصبور صوّر يحمل الحاجات المنزلية ، و يسير بشكل أنيق للأمام على خطى ماله^(٤) .

لقد ذكرت كلمة البغل بالأكدية كثيراً في العصر الآشوري القديم و عُدَّ حيواناً مميزاً ، فقد ذكر تقريباً ثلاثون مرة في الألواح الآشورية التي وثقت تجارته واستخدامه ، خاصة في أرشيفات كانيش التي أشارت إلى الثمن الباهض لتجارة هذا الحيوان داخل الأناضول ، حيث يبلغ سعره أربعة أضعاف سعر الحمار (٢ إلى ٤ مئات من الفضة) ، إن السعر العالي لهذا الحيوان تأكد من خلال رسالة تاجر جاء فيها (بالنسبة إلى البغال التي أعطاها لي أد - ربي نوعيتهم ممتازة ... هنا سعرهم عالي بعهم) ، ففي بعض الأحيان يمتلك التاجر نصف بغل ، ويتم بيع البغل قبل حلول الشتاء لأن إطعام البغال أثناء هذا الفصل باهض الثمن ، فالانطباع

(١) الصالحي : دراسة العائلة الخيلية في حضارة الشرق القديم ، ص ١٩٤ .

(٢) راشيه : جي ، الموسوعة الشاملة للحضارة الفرعونية ، ترجمة فاطمة عبد الله محمود ، مراجعة محمود ماهر طه ، ط ١ ، الهيئة العامة للمطابع الأميرية ، القاهرة ، ٢٠٠٦ م ، ص ٢١٢ .

(٣) القرآن الكريم : سورة النحل (٨) .

4) Albert C. Leighton, Technology and Culture . Vol. 8 , No. 1 (Jan., 1967), pp. 45-52.

العام من خلال كل هذه الإشارات بأن السكان الفقراء كانوا يركبون الحمير بينما الأشخاص المهمين يملكون بغال^(١).

ولم يرد ذكر البغل في الكتابات المصرية القديمة و نقوشها إلا نادراً و يبدو أنهم لم يكونوا يفرقون بين الحمار و البغل كثيراً بل يعدونهما فصيلة واحدة^(٢).

خامساً : الحصان :

عرفت الخيول في بلاد وادي الرافدين في بداية التلث الأول من الألفية الثالثة قبل الميلاد ، و قد اكتشفت ألواح في (إبلا) تؤرخ إلى منتصف الألفية الثالثة قبل الميلاد ، وهي توضح أن الناس القدماء في سوريا كانوا يعرفون وجود الحصان ، كما ورد ذكر الحصان أيضاً في الأرشيفات الملكية لمملكة ماري منذ بداية الألف الثانية قبل الميلاد ، وكان سكان ماري يشترون خيولهم من كركميش التي تعد مركز تجارة الخيول الأناضولية ، ويبدو أن الموطن الأصلي لهذه الحيوانات قد تكون جبال زاكروس طبقاً إلى وثائق ماري^(٣).

ذكر الباحثين أن الهجرات البشرية للقبائل الهندو أوروبية التي جاءت من أواسط آسيا واستوطنت بعضها بلاد الرافدين وعرفوا بالأقوام الكاشية وهم أول من استعمل الخيل في أغراض متعددة ويعتقد بأنهم تأثروا في ذلك بالأقوام الحثية التي استوطنت آسيا الصغرى ، وقد استعملوا الخيل بكثرة حتى أصبحت شائعة في نقل الأفراد و جر العربات ، كما استخدمت في الأغراض العسكرية مما أحدث تبدلات جوهرية في أساليب القتال و الحرب و سرعة المواصلات^(٤).

أما عن القيمة المالية للحصان فقد كان غالي الثمن و يستعمل في الغالب كحيوان لسحب العربات الرسمية و الحربية وفي بعض الأحيان للركوب أيضاً ، كما كان يستخدم في مناسبات خاصة و في الهجوم السريع أثناء المعركة ، و الملفت للنظر هو عدم ذكر الحصان في الألواح المسمارية للعصر الآشوري القديم و لا في أرشيفات كانيش فلم يعثر الآثاريون على عظام الحصان في المواقع الأناضولية المختلفة لنفس الفترة ، ولا يوجد له صور في المنحوتات الفنية أو الفخاريات ولم يدخل ضمن التبادل التجاري مع السكان المحليين فقد اعتبر حيوان أجنبي استعمل للحرب و سحب العربات الملكية^(٥).

أما في بلاد فارس فقد كان للأحصنة وجوداً مهماً في الرمزية الدينية و العقائد المقدسة و بالأخص الخيول البيضاء التي تستخدم في المعارك ، و الذي عده بعض الباحثين توظيفاً ميثولوجي للدين في المعارك مستنداً على ما أورده هيرودوتس (٤٢٥ ق.م) عن مصاحبة خيول

(١) الصالحي : العائلة الخيلية ، ص ١٩٦ .

(٢) ميشيل : بيتر ، الحمير في تاريخ البشرية ، جامعة أكسفورد ، كلية سانت ياهو ، ٢٠١٨ ، ص ٥ ؛

Dave Babb, e Mule. American Mule Museum. P.n 11 .

(٣) شناوة : أ.م.د مهند عاشور ، الخيل في بلاد الرافدين ، مجلة الآداب ، ملحق العدد ٢٥ ، جامعة القادسية ، ٢٠١٨ م ، ص ٤٣٢ .

(٤) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات ، دار الوراق ، بغداد ، ٢٠٠٩ م ، ج ١ ، ص ٥١٠ .

(٥) الصالحي : العائلة الخيلية ، ص ١٩٨ .

مقدسة بيضاء لعساكر الجيش الأخميني في أثناء القتال ، فعندما زحف الملك كورش الثاني لاحتلال بابل وصل إلى رافد جنديس (نهر ديالو حالياً) الذي يصب في نهر دجلة تجاه مدينة أوديس ، وحينما أراد جيش كورش الثاني (٥٣٠ ق.م) عبور النهر ، قفز أحد الأحصنة البيضاء فوق النهر مما أدى إلى غرقه ، الأمر الذي أغضب كورش الثاني و عزم على أن يجعله نهراً صغيراً ، فقام بتقسيمه إلى ثلاثمائة و ستين ترعة ، و يرى الباحث أن استصحاب الخيول البيضاء مع الجيش ربما كان من ضمن المعتقدات الآرية التي تقدم القرابين فيها للإله ميثرا من الخيول البيضاء حال تحقيق النصر^(١) .

ومما يؤكد ذلك الاعتقاد ما روي عن حملات الملك أحشويرش العسكرية (٤٨٦ – ٤٦٥ ق.م) و التي كانت تصاحبها العربة المقدسة للإله أهورا مزدا التي تجرها ثمانية من الخيول البيضاء المقدسة ، ويسير السائق وراءه راجلاً بيده العنان ، ولا يسمح لأحد أن يرقى كرسيها ، وهذا يدل على توظيف الدين بالفعاليات العسكرية الأخمينية ويؤكد الاعتقاد السائد لدى أحشويرش ومن جاء بعده من الملوك أن وجود هذه العربة المزينة و المخصصة للإله أهورمزدا على أنه يحضر مع الجند في ساحات القتال فيستمدون العون و النصر منه ، و أن حضوره المعنوي ذو أهمية لرفع معنويات المقاتلين لأنهم يظنون أن الإله يقاتل معهم و أنه المحامي و الحافظ للملك و ببركاته تتحقق الانتصارات ، وما يؤكد الاعتقاد السائد أن النصر مستمد من الإله أهورامزدا ما جاء في قول الملك داريوش (٤٨٦ ق.م) : " بعد أن أصبحت ملكاً خضت تسعة عشر معركة بإرادة (أهورا مزدا) انتصرت فيها جميعاً وأسرت تسعة ملوك "^(٢) .

أما في حضارة مصر القديمة فقد عرف الحصان في زمن متأخر وذلك أن موطنه الأصلي هو قارة آسيا ، وربما كان الهكسوس هم الذين جلبوه إلى مصر عند غزوهم لها ، فقد جاء إلى أرض وادي النيل في نهاية فترة احتلال الهكسوس لها ، ولم يحتل الحصان مكانته المرموقة الرفيعة في مجال تربية الحيوانات و إكثارها بهذا البلد إلا في عصر الدولة الحديثة ، وقد تمت تربيته بالإسطبلات الملكية ، وكان الجميع حتى الأمراء الأجانب يقبلون على شراءه لجمال تكوينه وقوة عنفوانه ، وكانت الجياد الملكية تسمى بأسماء مختلفة و متباينة ، وكانت الخيول تلحق بالعربات الحربية الخفيفة الوزن ، بشكل ثنائي مزدوج وقد ساهم وجودها على تطوير الفنون الحربية من خلال ما عرف وقتئذ بإسم سلاح المركبات السريعة ، وبواسطة مركباتهم التي تجرها خيول فائقة السرعة كان النبلاء و الأمراء ينطلقون في رحلات الصيد ، إلا أن عامة الشعب المصري كانوا قلما يمتطون الجياد بخلاف أمرائهم^(٣) .

سادساً : الحمار البري الآسيوي :

يستوطن هذا الحيوان السهول الجافة من جمهورية تركستان إلى شمال غرب أفغانستان عبر إيران و العراق و تركيا و سوريا و شبه جزيرة العرب و قد انقرض من البلاد العربية ،

(١) سمار : سعد عبود ، أثر الميثولوجيا الدينية في السياسة التوسعية للدولة الأخمينية (٥٥٩ – ٣٣٠ ق.م) ، مجلة حضارات الشرق الأدنى القديم ، العدد ٢ ، ج ٢ ، مصر ، ٢٠١٦ ، ص ٥٢٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٢٤ .

(٣) راشيه : جي ، الموسوعة الشاملة للحضارة الفرعونية ، ص ٢٠١ .

وقد بلغت نسبة الدلائل الأثرية لعظام هذا الحيوان إلى ٦٠ % من عظام الحيوانات في منطقة الشرق الأدنى القديم ، مما يوضح أنه كان من الحيوانات المألوفة في منطقة الشرق الأدنى^(١) ؛ ويطلق عليه بعض الباحثين اسم (الحمار الأخدري نسبةً أخدر وهو فحلٌ كان يعود لكسرى أردشير)^(٢) .

إن الحمار البري أحد أكثر الحيوانات المثيرة التي وجدت بقاياها في تل أسمر ، وقد انحصر وجوده في سوريا و بلاد الرافدين و شمال بلاد العرب ويدخل نادراً جداً إلى شمال فلسطين من الصحراء السورية ، وقد عثر على صور للحمار البري بالنحت البارز الآشوري من تل قوينجق (نينوى) و هي بحالة ممتازة جداً ، وكان يعتقد بأن تلك المنحوتات كانت لخيول برية لكنها لحمير برية ، ولو قارنا صورة الحمار البري مع صور الخيول في المنحوتات الآشورية نجد أن الفنانين الآشوريين صوروا شكل الجسم و نعومة الرأس و الأذان القصيرة و خصلة الشعر في الذيل كلها تدل على الحمار الوحشي^(٣) .

وفي مشهد بالنحت البارز صور حبل ربط بذكر حمار بري يقاد من قبل رجلين آشوريين ، ومقارنة في ارتفاع الحيوان مع الرجلين فإن ظهره بالكاد يصل إلى ظهورهم مما يدل على قوامه القصير ، و استعمل الآشوريون الكلاب في صيد الحمير البرية وفي الحقيقة فإن حجم الكلاب التي استعملت لتعقيب هذه الحيوانات ارتفاعها تقريباً (٥٥ – ٦٥) سم فيصل إلى مستوى أعلى لكاحل الحمار البري ، وقد اكتشف وولي المقبرة الملكية في أور وكان من بينها بقايا عظام لخيول ، ولكن اكتشافه أثار اعتراضات كثيرة حول وجود الخيول في العهود السومرية ، وقد صرح وولي أن العظام تعود لحمار بري^(٤) .

كما اكتشف في موقع تل أسمر عظام الأطراف الأمامية كاملة وتم موازنتها مع الهيكل العظمي الحديث في متحف برلين مما يدل على أن العظمة تعود إلى حمار بري ، و طبقاً للتوثيق القديم فإن العائلة الخيلية استعملت في مجالات عدة من قبل سكان بلاد الرافدين ، إذ عرف الحصان في بداية الألفية الثانية قبل الميلاد و استخدم بشكل رئيس كحيوان سحب في مناسبات خاصة ، فظهر في المنحوتات في بعض الأحيان للركوب و أحياناً أخرى للسحب ، فهو حيوان أجنبي و غالي الثمن ، وقد ذكر في النصوص المسمارية من شمال بلاد الرافدين ، و في بلاد ماري و آشور بأن راكبي الخيول لا يشعرون بالراحة على ظهر هذا الحيوان ، لا سيما الجلوس لمدة طويلة بدون سرج يؤدي العمود الفقري للفارس ، وقد استخدمت البغال و الحمير لركوب الطبقات الراقية و الفقيرة من السكان ، لكن البغل ركوبه أفضل للمسافات

(١) أياد : الثروة الحيوانية في العراق القديم ، ص ١٧ .

(٢) الميري : كمال الدين ، حياة الحيوان الكبرى ، دار المعرفة ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م ، ج ٢ ، ص ٣٦٦ .

(٣) الصالحي : العائلة الخيلية ، ص ١٩٨ .

(٤) Stine Rossel, Domestication of the donkey ; timing , processes, and indicators.

P.N.A.S , U.S.A , 105(10) , 2008.Mar.11.

الطويلة و الحملات العسكرية و على العكس الحمار بطيء الحركة جداً و عند الحمولة لا تتجاوز سرعته ثلاثة كيلومترات في الساعة^(١).

لقد كانت بلاد الرافدين أرضاً تضم مختلف الحيوانات البرية التي وصلتنا أشكالها في الفن و ذكرت في النصوص المسمارية مثل (الأسد و النمر و الفيل و العائلة الخيلية و القردة بأنواعها و طائر النعام و الإبل و البوم بأنواعها) و نتيجة للتوسع في الاستيطان البشري على حساب المراعي الطبيعية و تغير الظروف المناخية نحو الجفاف أدى إلى انقراضها^(٢).

سابعاً : طائر النعام :

كان لطائر النعام مكانة متميزة لدى سكان الشرق القديم ، فقد امتدت أماكن استيطانه من المغرب غرباً و إلى بلاد الرافدين شرقاً ضمن المناطق الجافة و شبه الجافة ، وكانت قطعان النعام تجول تلك المناطق و تتكاثر مما جعلها ضمن جدول طعام السكان في تلك المناطق ، فأخذ الإنسان القديم يصطاد هذا الطائر ليأكل لحمه و بيضه و يستفيد من ريشه لعمل المراوح اليدوية كما صنع من بيضه أكواب للشرب و حفظ العطور ، ولقد خلد سكان الشرق القديم طائر النعام في فنونهم الصخرية فتارة صور الطائر لوحده و أخرى ترافقه حيوانات من آكلات العشب أو آكلات اللحوم ، كما صورت عمليات صيده و مطاردته من قبل السكان المحليين ، و مما يلفت النظر في الرسوم الصخرية بأنها أما أن ترسم الطائر بطريقة الحز و إبراز شكله عن سطح الصخر المحيط بالشكل أو يقوم الفنان الصخراوي باستعمال الألوان في رسمه فأبدع في هذا الفن^(٣).

ففي بلاد الرافدين شاع استخدام النعامة في الفن الرافدي غالباً بعد (١٣٠٠) قبل الميلاد ، عندما أشارت الحوليات الملكية الآشورية إلى قتله و تأسيده ، و بعضهم منها نقل إلى المتنزهات العامة و عرضها على المواطنين الآشوريين^(٤) ، و نادراً ما صورت على الأختام الاسطوانية قبل الألفية الثانية قبل الميلاد ، ولكنها ظهرت في أختام العهد الآشوري الوسيط (القرن ١٥-١٠ ق.م) فهناك لوحة طينية من العهد البابلي القديم عثر عليها في كيش تصور رجلاً يمتطي نعامة ، و ختم آشوري يعود إلى الألفية الثانية قبل الميلاد يصور الإله آشور بأربعة أجنحة يخنق نعامتين كل واحدة في جانب و كلاهما حالة فزع و رفرفة الأجنحة ، و توجد كتابة مسمارية في القسم الأعلى من الختم ، كما اكتشف بيض النعام في مقبرة كيش و مقبرة سلالة أور الثالثة ، ثم تحول الطائر إلى حالة الطريدة في رياضة الصيد التي مارسها ملوك آشور ، و هذا

(١) Veenhof.k and Eidem. J Mesopotamia ; The Old Assyrian Period . University of Zurich . Fribourg. Switzerland . (2008) . p.n 28 .

(٢) الصالحي : العائلة الخيلية ، ص ١٩٨-٢٠٦ .

(٣) الصالحي : طير النعام في الحضارات القديمة ، مجلة جامعة واسط للعلوم الإنسانية ، العدد ٢٤ ، ص ٧٣ ؛ و ينظر فابريتشيو موري : تادارات اكاكوس الفن الصخري و ثقافات الصحراء قبل التاريخ ، ترجمة عمر الباروني و فؤاد الكبيازي ، طرابلس ، ١٩٨٨ م ، ص ٧٣ ؛ و باولو غراتسيوزي : نقوش وادي الخيل الصخرية (ليبيا القديمة) ، مج ٥ ، ١٩٦٨ م ، ص ١٣ .

(٤) هاري ساكز : عظمة بابل ، ترجمة خالد أسعد عيسى و أحمد غسان سباتو ، دمشق ، ٢٠٠٣ م ، ص ١٣٢ .

الاعتداء الجائر على مناطق وجوده و الصيد العشوائي و مصادرة بيضه جعله يختفي تدريجياً من عالمنا مثل الحيوانات المفترسة الأخرى كالأسد والنمر الذين كان لهما سيطرة سابقاً على مناطق واسعة الامتداد و حالياً لا وجود لهما في عالم الشرق الأدنى^(١) .

ولقد استوطن طائر النعام في صحاري الشرق الأدنى القديم و في بلاد الرافدين لأن البيئة ملائمة لهذا الطائر الذي استوطن العراق و كان من نفس الفصيلة الموجودة في سهل سوريا و شرق الجزيرة العربية ، ووجد بكثرة على الضفة اليسرى من نهر الفرات ، وهو أكبر الطيور حجماً وأكثرها مراوغة وفي الأرض المفتوحة يحقق هذا الطائر سرعة كبيرة تصل إلى ٢٦ ميل في الساعة لذلك اصطيادها يحتاج إلى مهارة^(٢) .

كان للنعام حضوراً في الثقافة المصرية منذ أقدم العصور فقد عدّ هذا الطائر شعار الآلهة (امنتيت) أو آلهة الموت و الغرب ، التي تستقبل الموتى في العالم الأسفل ، وكانت هذه الآلهة تزن قلوب الموتى بميزانها فتضع القلب المتوفي في كفة الميزان و ريشة النعام في كفة أخرى حتى تسمح للميت بالحياة ما بعد الموت ، كما ورد في النص (على الإنسان أن يعيد العدالة إلى الجميع ، مثل ريشة النعام ، فذلك الطير ، على خلاف الطيور الأخرى ، كل الريش متساوية) وقد مثلت الآلهة بسيده جميلة على رأسها ريشة نعام أو أحياناً طائر الصقر ، ويعتقد أنها تعيش في شجرة على حافة الصحراء وهو المكان المناسب لعيش النعام آنذاك ، وفي عام ٢٦٠٠ ق.م أصبحت النعام ترافق الآلهة (ماعت) آلهة الصدق و العدل و المثالية و الخلق و الاستقامة ، وكانت ماعت شيئاً مجرداً و ليس كائناً وكان رجال القضاء يلقبون بكهنة (ماعت) وكانوا يمثلونها في هيئة امرأة جالسة أو واقفة وعلى رأسها ريشة نعام^(٣) ، كما وضع الإله (أوزيرس) على رأسه ريشتين للطائر نفسه^(٤) ؛ هذه القدسية جعلت زوجات الفراعنة وبناتهم يزين شعورهن بريش النعام لأنها رمز الخصوبة و الحياة الجديدة ، وكان شاع في عهد المملكة الحديثة أن يضع الجنود ريشة النعام واحدة أو ريشتين على رؤوسهم كدليل على النصر في المعركة ، بل أن الضباط وقادة العربات الحربية في عهد المملكة الحديثة يزينون رؤوسهم بريش النعام ، وفضلاً عما تقدم فقد استفاد المصريين القنماء من لحوم النعام و بيضه في طعامهم و تجارتهم و من بين استخدامات بيضة النعام أنها كانت تحفظ فيها العطور^(٥) .

ثامناً : الأسد :

يعد الأسد من الحيوانات التي عرفت بشراستها و وقوتها البدنية و قدرته على الفتك بالأرواح ، فقد عاشت الأسود آلاف السنين في بلاد الرافدين منذ عصور ما قبل التاريخ و حتى العصور التاريخية ، فقد انتشرت في المناطق الصحراوية و شبه الصحراوية على نهر الفرات

(١) الصالحي : طير النعام ، ص ٧٤ .

(٢) الصالحي : طير النعام في الحضارات القديمة ، ص ٩٣-٩٤ .

(٣) سليم : أحمد أمين ، مصر و العراق (دراسة حضارية) ، ط ١ ، بيروت ، ٢٠٠٢ م ، ص ٢٠٢ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٦٣ .

(٥) الصالحي : طير النعام ، ص ٨٩-٩٢ .

الأوسط و أعالي دجلة ، ولقد كان ارتباط الملوك بالأسود شائعاً عبر التاريخ^(١) ؛ فغالباً ما يقال إن الأسد هو رمز الملك ، لأنه يرمز إلى القوة و الشجاعة عند معظم الأقوام القديمة و منهم العراقيون القدماء^(٢) ؛ فقد شكل هذا الحيوان رمز القوة و الهجوم العنيف و الأنياب و المخالب الحادة و كلها تثير الرعب في القلوب ، ولذلك سعى الإنسان في داخله إلى التشبه بالأسد على مر العصور ، ففي بلاد الرافدين قديماً العديد من الاستعارات التي أخذت عن الأسد و طبقت على الملك كما في النصوص السومرية و الأكادية ، فلا نلاحظ وصف الأسد يطلق على أحد غير الملك ، فالملك هو الوحيد الذي يحمل وصف الأسد ، و أقدم نقش في ذلك لوحة من الحجر البازلت تتناول صيد الأسود تعود إلى أواخر دور أوروك ٣٥٠٠ ق.م ، حيث يظهر رجل ملتحى يرتدي تنورة تصل إلى الركبة و حزام حول وسطه و يضع على رأسه عمامة ، و يعتقد الباحثين أن العمامة لها طابع ديني يرتديها الملوك ، و يفترض أحد الباحثين أن الرجل الذي يقتل الأسود يؤدي عمل مهم في المجتمع ، فهو يعمل جاهداً على إبادة الحيوانات المفترسة لغرض التمهيد في إصلاح الأرض و تهيئتها للزراعة و الاستيطان^(٣) .

وفي الوقت الذي كان الأسد يمثل رمزاً للقوة و التسلط حتى اقترن اسمه بلقب الملك في بلاد الرافدين القديمة ، نلاحظ أن اللبوة اشتهرت و ذاع اسمها في مصر القديمة كونها تمثل الالهة (سخت) ابنة الإله (رع) ، و تمثل بامرأة برأس لبوة ، و اعتقد المصريون بأنها آلهة الحرب ، و يعتقد المصريون القدماء بأنها تتسبب بنشر الأوبئة و الأمراض ، و في ذات الوقت كانت شفيحاً للأطباء ، كما أنها تتميز بقوة و شراسة و قدرة كبيرة على الفتك و كان المصريون يقدسونها ليؤمنوا شرّها^(٤) ؛ وقد وجد في مقبرة توت عنخ آمون (١٣٢٢ ق.م) إناء لحفظ العطور من حجر الباستر يصور أسد صغير الحجم بدون لبدة و بآذان قصيرة بارزة ، كما نحت رأس الأسد كزينة على جانبي كرسي العرش الخاص بالملك نفسه و هذه التحف محفوظة في متحف القاهرة^(٥) .

كما تأثر الفكر العقدي في بلاد فارس القديمة بفكرة عبادة الأسد و ما يمثله من رمزية للقوة و التسلط ، إذ يلاحظ أن للأسد دور كبير في معظم الجداريات القديمة كرمز للقوة و السطوة ، ولا سيما المشاهد التي تبين قوة الأسد في مهاجمة الحيوانات و الفتك بها ، و هو مشهد من مشاهد العراق القديم ، و من ذلك مشهد يجسد حالة الصراع في الجدار الخارجي لقصر برسيلوس ، إذ يقوم الأسد المجنح بالهجوم على أحد أعوان الإله (ميثرا) الثور ، و ربما يرمز الأسد المجنح إلى الإله ميثرا إله الخير و النور ، يقتل أعوان الشر ، إذ يمثل صراعاً للخير ضد الشر يظهر التأثير الآشوري جلياً في الحضارة الفارسية لا سيما في تعامل الملك مع الأسد بوصفه القوة الأسطورية ، إذ يمثل المشهد الملك داريوس وهو يطعن الأسد المجنح في رأسه ، فالأسد المجنح

(١) النواب : رويده فيصل موسى ، الأسد في الفكر العراقي القديم (التأثير و التأثير) دراسة تاريخية تحليلية ، مجلة كلية الآداب ، العدد ٩٨ ، مج ٢ ، بغداد ، ٢٠١٢م ، ص ٢٤٤ .

(٢) صالح : نماذج من الحيوانات البرية على المنحوتات الآشورية (نماذج منتخبة) ، ص ٢٠١ .

(٣) الصالحي : أنا الملك الأسد ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، ٢٠١٩م ، ص ٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣ .

(٥) حواس : زاهي ، الملك الذهبي (توت عنخ آمون) الدار المصرية اللبنانية ، ٢٠٠٧م ، ص ١٢ .

في هذا المشهد يمثل إله الظلام ، وهو يشبه مشهد الملك الآشوري آشور بانيبال وهو يطعن أسداً في رأسه أيضاً و يعود تاريخه إلى القرن السادس قبل الميلاد^(١) .

تاسعاً : البوم :

اهتم العراقيون القدماء بالطيور بشكل عام و نقشت كثيراً في منحوتاتهم و فنونهم ولكن بشكل ثابت تقريباً بدون خصائص مميزة ، فهي مجرد طيور ، وقد ذكر الباحثين قوائم أسماء طويلة لأنواع الطيور التي عرفت في العراق ، ولكن غياب اللون و قلة الأشكال تجعل من المستحيل تمييز الأنواع المختلفة للطيور ، بالرغم من أن بضعة طيور يمكن أن نتعرف عليها بشكل عام و منها طائر البوم ، الذي ارتبط اسمه بالموت و سوء الحظ ، ومن المحتمل أن جذور هذا الاعتقاد يعود إلى نشاط هذا الطائر ليلاً ، واتساع مناطق صيده ، إضافة إلى صراخها الموحش ، و في نفس الوقت ارتبط البوم أيضاً بالحكمة و الإزهار كنتيجة لرفقة هذا الطائر للآلهة ، وصور في بعض الأحيان على يمين و يسار الآلهة و أنه حارساً لها^(٢) ، فقد عثر على لوح فيها بومتان تقفان على اليمين و اليسار للآلهة و بشكل أمامي و كأنهما حارستان ، كما اشتهر البوم في الفن و العملة اليونانية فقد أصدر بيسستراتوس (٥٥٠-٥٢٧ ق.م) عملة لأثينا تحمل صورة البوم ، كما وصفت أثينا بصفة (جلاوكوبيس) ومعناها ذات العينين الشبيهتين بعيني البومة و يطلق عليها في بعض الأحيان بوم ليليث^(٣) ، وقد كانت البوم تعيش في بلاد الرافدين بأنواع مختلفة ولكن تمثيلها بالفن نادراً ، مع أنها لم تكن مجهولة في النصوص السومرية أو الفن السومري ، فقد ذكرت في نص اقترن بمأساة أصابت مدينة سومرية ، ففي حوالي ٢٤٠٠ ق.م ضربت كارثة قوية مدينة شروباك حيث استولى عليها العدو فأحرق المدينة بكاملها و تركها خرائب كما وصفها نص سومري بأن البوم كان المقيم الوحيد في المدينة المدمرة^(٤) .

عاشراً : النسر :

قدّس سكان بلاد الرافدين و بخاصة سكان مدينة الحضر طائر النسر فكان من الرموز العسكرية التي نجد صدى أهميتها الخاصة في الديانة الحضرية ، وقد اتخذ النسر رمزاً للحماية و القوة التي تتوخاها المدينة ، وقد صور في المنحوتات إلى جانب الشمس ، و مبعث هذا الاقتراح أن النسر يحلق عالياً في كبد السماء كما تفعل الشمس في مدارها ، فيراقب من علو ما يحدث على سطح الأرض ، و تجلّى تقديس النسر إلى جانب الشمس في المنحوتات الحضرية ، ونحتوه في أعالي بعض أقواس المدينة ، ويعتقد بعضهم أن رمز النسر للشمس عرفه الحضريون من المصريين القدماء الذين قرنوا هذا الرمز مع الشمس ، حيث ظهر في

(١) أبو خضير : الرمزية في الفكر الديني ، ص ٤٦٤ .
(٢) الصالحي : رشيد صلاح ، الآلهة ليليث (دراسة أثرية عن آلهة العالم الأسفل) ، بيت الحكمة ، بغداد ٢٠١٣م ، ص ٢٨ .
(٣) علي : عبد اللطيف أحمد ، التاريخ اليوناني ، ج ٢ ، بيروت - لبنان ، ١٩٧١م ، ص ٢٦٧ .
(٤) الصالحي : الآلهة ليليث ، ص ٣٠ .

المنحوتات الزخرفية حورس (إله الشمس) عل شكل رأس نسر يحمل قرص الشمس ، كما رسم الحضريون صورة النسر على رأس سارية العلم عنواناً للصمود والنصر^(١) .

و كان لهذا الطائر اسطورة بارزة في حضارة وادي الرافدين و التي تناقلتها النقوش السومرية و الأكديّة و الآشورية و بأشكال مختلفة إلا أنها تتفق على أنه كان يمثل جانب الشر في الأسطورة ، وذلك أنه سرق ألواح القدر من الإله إنليل و حاول السيطرة على العالم ، إلا أن الآلهة الآخرين اجتمعوا على محاربته و كلفوا الإله نكرسو أو ما يعرف بـ (ننورتا) و الذي تمكن من استرداد الألواح منه ، و يبدو من الأسطورة أن سكان بلاد الرافدين كانوا يعتقدون بأن النسر من آلهة الشر و ذلك لما يمتلكه هذا الطير من صفات تميزه عن الطيور الأخرى من منقار حاد و مخالب قوية تساعد على افتراس الحيوانات الأخرى و وجوده فوق الجبال الأمر الذي جعل له هيبة و رهبة في نفوس العراقيين القدماء ، و قد صور بعض النحاتين بأشكال مركبة من عدة حيوانات ، فقد صور بهيئة جسد نسر ورأس أسد يقف بمخالبه على زوج من الحيوانات المتدابرة كالوعول أو الأسود و بأسطاً جناحيه في وضع المواجهة للنظر^(٢) .

ويرى بعض الباحثين أن الغاية من وجود هذا المخلوق المركب هو أن هذه التركيبية تهيئ سلطة تمتد سماءً و أرضاً ، فيمكن أن يعد رأس الأسد رمزاً للأرض أو البر بوصفه ملك البر أما النسر في جسده فهو رمز السماء بوصفه ملك الجو^(٣) .

كما ذكر بعض الباحثين أن الذي يتضح من هذا التركيب المجسم هو اعتقاد سكان بلاد الرافدين بأن النسر يرمز للغيمة الممطرة الراحدة ، وصورت هذه الغيمة على شكل طائر عملاق نظراً للعلاقة المشتركة التي تربطهما فالغيمة الممطرة تحوم في السماء كالطير و تنثر صوتاً يشبه في شدته و تأثيره زئير الأسد لذا استعار النحات رأس الأسد و جسم النسر لتكون الصورة الرمزية للغيمة الممطرة قد اكتملت في شكل هذا الكائن المركب^(٤) .

وفي الحضارة المصرية القديمة ارتبط النسر بالآلهة ناخبيت إلهة مصر العليا التي تمتد إلى أسوان ، وكانت تعتبر حامية الفرعون ، وكانت تظهر دوماً بجناحيها الممتدان دلالة على

(١) سمار : تقديس الحيوان وعبادته عند العرب قبل الإسلام ، ص ٢٢٣ ؛ أستيندرف : ديانة المصريين القدماء ، ترجمة سليم حسن ، دار البستاني للنشر ، القاهرة - مصر ، ص ٣٢ .

(٢) جرك و علي : أ.م.د. أوسام بحر و فيحاء مولود ، أساطير المخلوقات المركبة اسطورة أموكود (أنزو) انموذجاً ، مجلة جامعة بغداد ، ملحق العدد ٥٨ ، حزيران ٢٠١٧م ، ص ٦٣١ ؛ عجينة : د. محمد ، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية و دلالاتها ، ط ١ ، دار الفارابي ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٤م ، ج ١ ، ص ٣٤٤ .

(٣) Abdes. T . and the last , Image of an eagle in the art of the early nomads .
(٣) World conference on design, Arts and Education . (DAE-2013) . Pro. SBS .
Kazakh national university, Pp 242 .

(٤) جرك و علي : أساطير المخلوقات المركبة اسطورة أموكود (أنزو) انموذجاً ، ص ٦٢٤-٦٣١ .

الحماية ، كما عدها المصريون من الأمهات و كان يظهر رمز النسر دائماً خلف تاج الفرعون^(١).

و على العموم فإن الطيور بصورة عامة و الجارحة بشكل خاص تعد من الرموز الشمسية في الحضارات القديمة لا سيما في بلاد الرافدين و بلاد إيران وهي تشير إلى العلو الروحي و السمو وهي رموز عليا للآلهة ، وغالباً ما ظهر في المنحوتات وفي أشكال حيوانية مركبة منها قرص الشمس المجنح و الثور و الأسد فجميعها تدل على السمو و الرفعة ، وفي بلاد فارس يصور الإله زورفان وهو الإله السماوي المقدس و سيد القدر يصور بهيئة إله مجنح مزدوج الجنس ، أما في الديانة الزرادشتية فتعتبر الطيور ناقلة لأرواح الموتى للعالم الآخر ففي كهف جارسنتين في مدينة دهوك كان الزرادشتيين يتركون موتاهم على مصاطب و يضعونها في مكان عال حيث تأتي الطيور الجارحة و تأكل لحومها بينما تبقى الرفات التي تدفن فيما بعد^(٢).

إحدى عشر : الثعبان :

كان للثعبان وجوداً بارزاً في حضارة وادي الرافدين ، فقد كانت الأفعى من الحيوانات التي تتضمن عدة معاني و تشير إلى دلالات و رمزيات متنوعة إذ أنها تشير إلى رمز الحكمة و المعرفة و الشفاء و الإغواء و رمز أنثوي جنسي و رمز الخداع و السحر و التنبؤات و الشر و صاحبت اللعنات و الملكية و القوة و الحماية ، فضلاً عن كونها رمز الخلود و الخصب و الإلهة الأم باعتبارها رمزاً أرضياً بالمقام الأول^(٣) ، فقد وصفت الأفعى في الأساطير السومرية على أنها رمز يدل على الخلود و تجدد الحياة و ذلك واضح في ملحمة كلكامش إذ كانت الأفعى رمز الخلود فيها بعد أن أكلت خلسة نبات الخلود فما أن تشعر بالشيخوخة حتى تغير جلدها^(٤) ، وهذه هي النتيجة التي مفادها تجدد شباب الأفعى من خلال حصولها على نبات الشباب و الخلود وهو حلم الإنسانية فضلاً عن اعتبار المشاهد توحى برمزية دينية وهي بدون شك رمزية للآلهة^(٥).

وتُعدّ الأفعى رمزاً للإله ننكشزيدا^(٦) ، آلهة الشفاء و الحكمة لذا اشتهرت برموز العصا التي تتلوى عليها اثنان من الأفاعي و التي ترمز للطب و الحياة حتى في وقتنا الحاضر^(٧) ، وهذه الفكرة نجدها انتقلت إلى بلاد فارس إذ أصبح الثعبان رمزاً للحياة و التجدد^(٨).

(١) حسن : سليم ، موسوعة مصر القديمة ، هيئة الكتاب و المجموعة الثقافية ، وزارة الثقافة ، مصر ، ج ١ ، ص ١٨١-١٨٣ .

(٢) أبو خضير : الرمزية في الفكر الديني ، ص ٤٦٨ .

(٣) العلي : بلال موسى بلال ، الرمز الديني ، أبو ظبي ، د.ن ، ٢٠١١ م ، ص ١٣٦ .

(٤) طه باقر : ملحمة كلكامش أوديسة العراق الخالدة ، بغداد ، (د.ن) ، ١٩٧١ م ، ص ١٩٤ .

(٥) أبو خضير : الرمزية في الفكر الديني ، ص ٤٦٦ .

(٦) الماجدي : خزعل ، متون سومر ، شركة الطبع و النشر اللبنانية ، بيروت ، ١٩٩٨ م ، ص ١٣١ .

(٧) الأحمد : سامي سعيد ، المعتقدات الدينية في العراق القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٨ م ، ص ٩٣ .

(٨) العلي : الرمز الديني ، ص ١٣٩ .

و يرى أحد الباحثين أن الحيّة عرفت رمزاً إلهياً ، وهو لقب للإله (ود) ورمز من رموزها ، إذ عثر على ٣٢ قطعة لنقوش مسندية تحمل تجسيدات ثعابين مختلفة ، وأغلب تلك القطع جاءت من مدن أو حواضر قريبة من الصحراء وهو أمر يظهر انتشار هذا الحيوان في محيط تلك المدن و بيئتها ، و أن أغلبها تركّز في مملكة معين ، حيث ظهرت بشكل ملفت للنظر بجوار النقوش على جدران المعابد ، هذا ما لاحظته عدد من علماء الآثار في مقدمتهم ماريا هوفر التي تعتقد أن ظهور الثعبان يرمز للإله ود ، الإله الرئيس في مملكة معين ، وظهورها خارج المملكة يرتبط بعبادة الإله ود^(١) ، واختص الثعبان في الأرجح بالإله (أفكل) في منطقة تدمر ، إذ ظهرت رسومات تحمل صورة الأفعى في البتراء^(٢) ، وكانت الحية و العقرب الحيوانات المقدسة للإله (شادرافا) الإله الطيب ، ورب الشفاء ، إذ صور في المنحوتات التدمرية على كتفه الأيسر عقرب و أفعى^(٣) .

أما في مصر فقد عبد الثعبان في صور متعددة وكان له دورا بارزا في الديانة المصرية القديمة لارتباطه بالأزلية و تجدد الحياة و ذلك من خلال خروجه من شقوق الأرض أو كيفية تخلصه من جلده وتجديده^(٤) .

وتُعدّ عبادة الثعابين من العبادات المهمة في مصر القديمة و التي كان الباعث عليها هو الخوف و الرعب هما العاملان اللذان دفعا المصريين إلى تقديس كائنات مرعبة و مؤذية مثل الثعابين المعروفة بإسم الناشر ، وقد عبد الثعبان الناشر في شكلين مختلفين ، أولهما هي الإلهة (بوتو) حامية ملك مصر ، والثاني هو (الصل) حامي إله الشمس ، وقد انتشرت الثعابين المقدسة في مصر إلى درجة أنه في العصور القديمة أصبح اسم كل إله يخص برسم ثعبان مثل الصقر الذي اعتبر مخصصاً لكلمة الإله في الكتابة المصرية القديمة بل أكثر من ذلك صورت الإلهة (رنن أوتت) إلهة الحصاد على شكل ثعبان ، ثم أصبحت العادة تحتم أن يحوي كل معبد نموذجا حيا من هذه الثعابين^(٥) .

وظلت قدسية الثعبان و رهبته على طول التاريخ المصري ولقد حوت نصوص العصور المتأخرة على الكثير من الصلوات المقصود بها إبعاد الثعابين التي في العالم السفلي عن المتوفي ، وقد تطرقت الأساطير لذكر الثعابين و روي أن ثعباناً قوياً جباراً طوله أكثر من ثلاثين ذراعاً يعيش على قمة جبل شروق الشمس و اسمه (الساكن في شعلته) وكان من مراكز عبادة الثعابين في عصر ما قبل الأسرات في مدينة بوتو في الدلتا^(٦) .

(١) العميسي : فضل محمد ، التجسيدات الحيوانية على الآثار في جنوب غرب الجزيرة العربية (اليمن) فترة ما قبل الإسلام ، (د.م.ط) ، ص١٤١ .

(٢) البشاشة : محمد فالح ، الإله رضو رضي في النقوش النمودية والصفوية ، رسالة ماجستير ، معهد الآثار – والانثربولوجيا ، جامعة اليرموك ، ١٩٩٤ م ، ص ٣٢ .

(٣) سمّار : تقديس الحيوان ، ص٢٢٤ . و ينظر ميلاد : حواء ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة تدمر (١٠٦ - ٢٧٣ م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة المرقب ، كلية الآداب والعلوم ، ٢٠٠٧ م ، ص٩٨ .

(٤) ابو خضير : الرمزية في الفكر الديني ، ص٤٦٨ .

(٥) أدولف أرمان : ديانة مصر القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص٥٦ .

(٦) ولاس بدج : آلهة المصريين ، ترجمة محمد حسين يونس ، القاهرة ، ١٩٨٨ م ، ص٤٦ .

وتُعدّ الثعابين أبناء الأرض و تعيش بالقرب من المياه الموحلة حيث يتصور المصريون منشأ العالم وهي تمثل دائماً الآلهة الخالقة ، أما ثعبان الكوبرا فيتعلق بالشمس حيث أن الصل الذي يزين جبهة الآلهة و الملوك إنما هو العين النارية للشمس ، ولما كان الثعبان الحقيقي ينفث سمه في وجه من يهاجمه ، فالصل أيضاً يحرق بأنفاسه الملتهبة أعداء الملك^(١) ، إذ أنهم أن هناك ثعبان ضخم يلتف حول قرص الشمس وهو خصماً مريعاً لإله الشمس و نموذجاً واقعياً على الأرض لبعض الثعابين الجبارة التي عاشت في فترة ما قبل التاريخ^(٢) .

ونلاحظ أن الأفعى عُدت أيضاً رمزاً للشر في حضارة بلاد الرافدين و وادي النيل و في الأدب الديني الفارسي حيث يصور راع أهريمان رمز الشر و الظلمات مع أهوار امزدا كبير الآلهة و الذي يرمز للخير و النور و الحكمة و العدل^(٣) .

وعلى كل حال فقد كانت الحيوانات في الحضارات القديمة لها أكثر من قيمة ، ففضلاً عما تقدم من دخول الحيوان في الرمزية الدينية و الثقافية و الأدبية و الاقتصادية فقد مثلت الحيوانات في فنون بلاد الرافدين صورة أقرب ما تكون شبيهة للمناظر الطبيعية ، فهناك تشابه واضح في تمثيل الحيوانات في كل من فنون بلاد الرافدين و فنون بلاد فارس القديمة من حيث الأطر الجوهرية للأشكال الحيوانية و المعاني الثرية لرموزها ، كما يمكن الجزم بأن هذه الهياكل قد ارتبطت في كلتا الحالتين بالبلاط الملكي إلا أن المحتوى الديني والاجتماعي قد يختلف أحياناً .

و ورد في النصوص السومرية القديمة على لسان المعبودة (إنانا) لمدينتها أكد عندما حل الضعف بالمملكة قائلة " القروود و القيلة القوية وجاموس الماء و الحيوانات الرائعة قد صدم بعضها بعضاً في الميدان العام " وربما كانت تقصد بالميدان مكاناً تحفظ فيه تلك الحيوانات ، كما تضمن فناء النخيل الملكي في ماري حوالي ١٨٠٠ ق.م دببة ونوع من الطباء ورد من عيلام ، وقد وصفت نصوص سومرية كيف هاجرت المعبودات لزيارة معابد بعينها لإعجابهم بدقائقها ، وتعتبر حقائق بابل المعلقة الشهيرة إحدى عجائب العالم القديم فطبقة لمصادر لاحقة أمر الملك البابلي نبوخذ نصر باستجلاب الأشجار و الشتلات النادرة من أجل الملكة الميديّة الأصل لتصبح البيئة قريبة إلى بيئة وطنها الأصلي^(٤) .

وأصبحت المنتزهات و الحدائق الملكية في العصور الآشورية و البابلية شائعة بشكل كبير ما بين عامي (١٠٠٠ - ٣٣٠ ق.م) حيث احتفظ الملوك بالأسود في أقفاص أو داخل حفر منذ عصر أسرة أور الثالثة ، كما احتفظ بعض الملوك بطيور الكركي ، و مالك الحزين و الطاووس و البجع كطيور مستأنسة داخل أقفاص متحركة ، أما الحيوانات المفترسة فقد استخدم منها الأسد في الصيد ، تلك الرياضة الملكية التي تمت ممارستها بشكل كبير في الحدائق الملكية ، ومن الحيوانات التي كانت توضع في الحدائق الملكية (الأفيال و الثيران و الأسود و النعام و الضباع و الغزلان و الأيائل و القروود) وقد استخدمت العائلات الملكية تلك الحدائق لاستقبال

(١) محمد : محمد عبد القادر ، الديانة في مصر الفرعونية ، القاهرة ، ١٩٨٤ م ، ص ٢٤٥ .

(٢) سالم : دراسة مقارنة لرموز الآلهة في كل من مصر الفرعونية و اليمن القديم ، ص ٣٤٨-٣٥٠ .

(٣) ابو خضير : الرمزية في الفكر الديني ، ص ٤٦٨ .

(٤) مورتكات : الفن في العراق القديم ، ص ٤١١ .

الضيوف و الاستمتاع الشخصي ، وكان الملك آشور ناصربال الثاني يتباهى بما جمعه من الحيوانات قائلًا " لقد جمعت قطعاناً وقمت بإكثارها ومن بلاد سافرت إليها و هضاب جزتها ... " ، كما كانت مناظر الصيد من المناظر المهمة التي صورها الملوك الآشوريين ومنها منظر الصيد بالسهم على أحد جدران قصر الملك سرجون الثاني في خورسباد مع حاشيته في غابة من أشجار الصنوبر التي تعيش فوقها الطيور ، و أحد الأتباع يحمل فوق كتفيه غزالاً تم صيده ، والمنظر محفوظ بالمتحف البريطاني^(١) .

كما أنشأ الملك سنخريب في قصره حديقة للحيوان واعتنى بها كثيراً مما دعاه إلى التباهي قائلًا بأن (قصره لا يبارى) وذلك لاهتمامه بتهيئة أماكن طبيعية لتربية الحيوانات المحلية و المستوردة ، و تؤكد النقوش في عصره نجاح تلك الحدائق و مزرعاتها فطيور مالك الحزين التي أتت من مكان بعيد عشت فيها^(٢) ، و الخنازير و غيرها أنجبت ذرية كثيرة حيث تضمنت النقوش خنزيرة ولوداً تمشي مع صغارها يسار النقش ، وفي القسم العلوي تكاد تختفي الأيائل بين أعواد القصب المتشابكة .

ونذكر أنه بعد استيلاء الفرس على مصر و بلاد الرافدين كمقاطعتين لها قام ملوك الفرس بمتابعة جمع الأحياء النباتية و الحيوانية الغريبة و الطريفة ولكنهم ابتدعوا أشكالاً جديدة لحدائقهم ، فاتخذت الحديقة شكلاً مستطيلاً محصوراً ضمن جدران مرتفعة ، وكان تقسيمها في الغالب إلى أربعة أقسام بالتساوي بواسطة قنوات تتقاطع حول بحيرة صغيرة^(٣) .

وتشير فوستر إلى أن هذه الجنان المتقنة أطلق عليها (الحدائق المحاطة بالجدران) وهو مصطلح حوله اليونانيون لاحقاً إلى (paradeisos) أي (الفردوس) ومن وجهة نظر فوستر أن هذه الكلمة أخذت حيزاً أساسياً في الفكر الديني لجنان عدن الموعودة و التي ذكرت في التوراة و القرآن^(٤) .

أما عن وجود الحدائق في وادي النيل فقد جاءت الرسوم الصخرية في الصحراء الشرقية و الغربية دليلاً على قدم تمثيل حيوانات الصيد في مصر القديمة كالأغنام و الخراف و الزراف و الغزلان ، وفي بعض الأحيان يمثل معها هيئات آدمية لصيادين ومن حولهم كلاب الصيد ، ومن أمثلة مناظر الصيد في عصور ما قبل التاريخ في مصر القديمة صلاية الفحل و الأسد والعقبان و الثور وسكين جبل العركي وبعض الصور الجدارية من مقبرة أحد النبلاء بالكوم الأحمر ، فمنذ عصور قديمة جلبت الحيوانات كالأفيال و الزرافات و النعام و القروذ

-
- (١) مورتكات : الفن في العراق القديم ، ص ٤١١ .
 - (٢) صالح : عبد العزيز ، الشرق الأدنى القديم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ج ١ ، ص ٨٠٤ ؛ و ينظر محمد : فوزية عبد الله ، مراكب أل hippos (أفراس النهر) في الشرق الأدنى القديم ، المؤتمر العاشر للإتحاد العام للآثاربيين العرب ، ج ١ ، القاهرة ، ٢٠٠٨ م ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .
 - (٣) محمد : د. فوزية عبد الله ، بعض الأدلة التصويرية على وجود حدائق الحيوان في حضارتي مصر القديمة وبلاد النهرين ، مجلة الاتحاد العام للآثاربيين العرب ، العدد ١٠ ، ص ٢٣٣ .
 - (٤) فوستر و هيلمز : ريتشارد جي و كاثرين إيه ، نظام الاحتفال الطريق إلى النمو الروحي ، شركة هاوورث ستون للنشر ، بريطانيا ، ١٩٨٠ ، ص ٣٢٤ .

وغيرها إلى مصر القديمة كجزء من الجزية الواردة من النوبة أو بلاد الشام و التي كانت في الغالب يتم الاحتفاظ بها من قبل الملوك وعائلاتهم^(١).

ولعل النصوص التاريخية المبكرة التي تذكر تلك الحيوانات الواردة هي نصوص الدولة القديمة ، فقد جاء في حوليات الملك ساحورع (٤٧٥ ق.م) ، ثاني ملوك الأسرة الخامسة ما يدل على الاتصال ببلاد (بؤينة) و التي قصد بها المصريون منطقة الصومال و أرتيريا ، و ربما ضموا إليها فيما بعد ما يقابلها من الجنوب و الجنوب الغربي لشبه الجزيرة العربية ، وقد استوردت مصر من بؤينة البخور و المر و الصموغ لطقوس المعابد و ضرورات التحنيط كما استوردت أقماساً و جلود الفهود و والنمور والحيوانات النادرة^(٢).

كما تصور مناظر المعبد الجنائزي للملك ساحورع رحلة الذهاب و العودة إلى سوريا و إحضار دب سوري بالإضافة إلى شراءه حيوانات أخرى من متاجرها ، و عندما توسعت مصر في عهد الدولة الحديثة نحو الجنوب في النوبة ونحو الشرق في بلاد الشام و وادي الرافدين في عهد الملك تحتمس الثالث (٤٢٥ ق.م) سجلت حولياته على جدران معبد الكرنك صور لأكثر من ٣٠٠ نوع من النباتات و الحيوانات ، الأمر الذي يدل بوضوح على وجود حدائق حيوانات في مصر القديمة و التي غالباً تلحق بالقصر الملكي ، وقد احتوت حديقة الملك تحتمس الثالث على أربعة طيور جلبها إلى قصره و التي تعد أول فصائل الدواجن في مصر القديمة ، أما رخميرع (١٢٩٣ ق.م) وزير تحتمس الثالث فقد صورت على جدران مقبرته بطيبة العديد من الحيوانات الواردة من مناطق مختلفة منها منظر قرد متعلق برقبة زرافة ، كما احتفظ أخناتون (١٣٣٦ ق.م) بأسد في حديقة قصره ، كما صورت حدائق مسورة تبدو كما لو كانت حديقة للحيوان خاصة بالملك احتوت على غزلان و غيرها ، كما توجد بها بحيرة احتوت على أسماك و نباتات مائية ، وقد استمر هذا الاهتمام بالحدائق الحيوانية و النباتية في عصر الأسرة التاسعة عشر وما تلاها فقد بنى الملك رمسيس الثاني (١٢١٣ ق.م) حديقة حيوان في عاصمته في شرق الدلتا ، وقد وضع فيها حيوانات و نباتات رائعة منها أشجار العنب و الزيتون ، كما إنها احتوت على عظام الحيوانات الضخمة كالأسود و الأفيال و ربما الزرافات أيضاً^(٣).

ولعل سائل يسأل عن سبب اهتمام الإنسان بالحيوانات إلى القدر الذي جعله يقدها و يعبدها مع أنه هو سيدها و المسيطر عليها ؟ وفي الحقيقة إن جواب هذا السؤال يعتمد على مجموعة تفاصيل مهمة أبرزها ، أن البيئة كان لها أثراً كبيراً في تكوين فكرة تقديس الحيوان ، إذ حاول الإنسان في بلاد الرافدين و إيران معالجة الأمور التي لا يستطيع تفسيرها إلا عن طريق إيجاد طريقة تعبر عن ذلك التفكير الذي يحاول تفسيره و تجسيده بشيء مادي ملموس إذ أن الإنسان كان عاجزاً أمام تقلبات الطبيعة وما يدور حوله من ظواهر كل هذا دفعه إلى تقديس ما يحيط به من حركة الشمس و القمر و تغير الليل و النهار و تقلبات المناخ واختلاف الحيوانات و تفاوت قوتها و ضررها و نفعها ، لذلك تعددت أوجه الآلهة لديه بسبب تنوع و تعدد الظواهر الكونية و الطبيعية التي يعيش فيها ، يضاف إلى ذلك أن إنسان العصور القديمة اعتقد أن هناك علاقة قوية بين السماء و الأرض وهذا يعني أن كل جسم مخلوق لا بد أن ينتمي إلى

(١) محمد : الأدلة التصويرية ، ص ٢٢٧ .

(٢) صالح : الشرق الأدنى القديم ، ص ١٩٣ .

(٣) محمد : الأدلة التصويرية ، ص ٢٢٩ .

أحد الآلهة ، ومن هنا و خاصة في بلاد الرافدين أوجد الإنسان أشكالاً متعددة من الرموز التي يشير بها إلى الآلهة وهذه الرموز ما هي إلا محاكاة للظواهر الطبيعية ، ولم تكن هذه الرموز واحدة أو محددة بل تنوعت أشكالها فظهرت الأشكال الحيوانية لما تجسد فيها من صفات تبعث الخوف و الرهبة أو ما هي تدل على الخصب و الثراء ، ومنها اتخذ من النباتات رموز و أشكال تشير إلى الآلهة وما تميزت به وهناك من الرموز ما هو مزدوج بين حيوانين أو أكثر ، ولم تكن الظواهر الكونية بعيدة عن فكر الإنسان القديم بل اتخذها أيضاً رموز مقدسة تشير إلى معاني و دلالات تخص الآلهة و المعتقدات الدينية التي يعتنقها الإنسان^(١).

و نتيجة لتعدد وتنوع هذه الأشكال اقتصرنا في موضوعنا على بعض الرموز الحيوانية التي تقدم ذكرها والتي أثرت بشكل كبير في الإنسان القديم في وادي الرافدين و بلاد فارس و وادي النيل ، و التي كان لها تأثيراً دينياً و عملياً و اجتماعياً ، وبعضها اتخذها الملوك رموزاً مقدسة خاصة بهم ، وفضلاً عن ذلك فإن لها ديمومة و استمرارية في الفكر القديم وربما بعضها ما يزال يتخذ رموزاً مقدسة إلى الآن .

(١) أبو خضير : الرمزية في الفكر الديني ، ص ٤٥٠ .

الفصل الثاني

أهمية الحيوان عند العرب قبل الإسلام

توطئة

قال تعالى في كتابه الكريم (بسم الله الرحمن الرحيم: والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين)^(١) .

يعد الحيوان من أعمدة الحياة الأساسية عند الإنسان بصورة عامة وسكان شبه الجزيرة العربية في الأعم الأغلب قبل الإسلام إذ أن الحياة الاجتماعية للفرد العربي كانت تعتمد على الزراعة أو تربية الحيوان لتأمين الجانب الاقتصادي الذي يتكفل باستمرار الحياة وتوفير الأكل والشرب ، و ذلك منذ نشأة الإنسان الأولى في عموم الأرض ، وقد أشار ابن خلدون إلى أهمية الحيوان في حياة الفرد العربي بقوله : " اعلم أن العرب منهم الأمة الراحلة الناجعة ، أهل الخيام لسكناهم و الخيل لركوبهم ، و الأنعام لكسبهم ، يقومون عليها ، ويقتاتون من ألبانها ، و يتخذون الدفء و الأثاث من أوبارها و أشعارها ، ويحملون أثقالهم على ظهورها ، يتنازلون حلاًّ متفرقة ، و يبتغون الرزق في غالب أحوالهم من القنص ... ويتقلبون دائماً في المجالات فراراً من حرارة القيظ^(٢) تارةً و صبارة^(٣) البرد أخرى ، وانتجاعاً لمراعي غنهم ، وارتباداً لمصالح ابلهم الكفيلة بمعاشهم وحمل أثقالهم ودفئهم و منافعهم ... فعمرؤا اليمن و الحجاز ونجد وتهامة و ما وراء ذلك مما دخلوا إليه ... لاختصاص هذه البلاد بالرمال و القفار المحيطة بالأرياف و التلول و الأرياف الآهلة بمن سواهم من الأمم في فصل الربيع و زخرف الأرض لرعي الكلاً و العشب في منابتها ، و التنقل في نواحيها إلى فصل الصيف ... ثم ينحدرون في فصل الخريف إلى القفار لرعي شجرها ، ونتاج ابلهم في رمالها ، وما أحاط به عملهم من مصالحها ... فهذه كلها شعائره و سماتهم وأغلبها عليهم اتخاذ الإبل و القيام على نتاجها وطلب الانتجاع بها لارتباد مراعيها و مفاحص توليدها بما كان معاشهم منها ، فالعرب أهل هذه الشعار من أجيال الأدميين ، كما أن الشاوية أهل القيام على الشاة و البقر لما كان معاشهم فيها فلهذا لا يختصون بنسب واحد بعينه إلا بالعرض ... " ^(٤) .

فلاحظ من كلام ابن خلدون أنه استعرض مفاصل حياة الإنسان العربي و جعل الحيوان محور الاقتصاد الذي يعتمد عليه في معاشه و حله و ترحاله ، فضلاً عن الاستعانة به في مشاغله من النقل و الركوب و حمل البضائع ، ولو استقرأنا حياة العرب بصورة عامة نجدهم كما وصفهم ابن خلدون ، فقد كانوا يعتمدون على الإبل في مزاولة أعمالهم التجارية من خلال إرسال القوافل التجارية من الجنوب إلى الشمال و بالعكس وهو ما عرف قديماً بالإيلاف و الذي

(١) القرآن الكريم : سورة النحل ، الآية (٨٠) .

(٢) صميم الصيف : ويعني شدة الحر . ينظر الفراهيدي : أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) ، كتاب العين ، ت. د. مهدي المخزومي و د. مهدي السامرائي ، ط ٢ ، مؤسسة دار الهجرة ، إيران ، ١٤٠٩هـ - ١٩٩٠م ، ج ٥ ، ص ٢٠٠ .

(٣) شدة البرد . ينظر الزبيدي : تاج العروس ، ص ٣٠٥ .

(٤) ابن خلدون : عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ) ، ديوان المبتدأ و الخبر ، ت. سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، ج ٢ ، ص ١٧-١٨ .

ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى (لإبلان قرش إبلانهم ، رحلة الشتاء والصيف)^(١) ، كما أنهم يستعملون الخيل في التنقل و التنزه والمسابقات و الصيد و الغزو وما شاكل ذلك ، أما في انتقالهم من مكان إلى آخر فكانوا يعتمدون على الحمير و البغال لنقل أغراضهم الخاصة ، و أما الأبقار و الأغنام فكانت تشكل النسبة الأكبر من قوت يومهم متمثلاً باللحوم و الحليب و مشتقاتها ؛ فضلاً عن المنافع الأخرى المستخلصة من الحيوانات من قبيل الملابس و البيوت التي تصنع من الوبر^(٢) .

كما إن النص القرآني في قوله تعالى (والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين)^(٣) يوضح لنا العلاقة الوثيقة بين الإنسان و الحيوان في مواجهة الحياة ومتطلباتها فقد رسم لنا النص القرآني صورة تلك العلاقة من خلال عدة فقرات ، فقوله تعالى (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا) أي بيوت الشعر التي يستخدمها العربي للسكن في البادية و التي تسمى (الأنطاع و الأدم) ، وقوله (تستخفونها) أي خياماً و قباباً يخف عليكم حملها في أسفاركم ، وقوله (يوم ظعنكم) بمعنى يوم ارتحالكم من مكان إلى مكان آخر ، وقوله (ويوم إقامتكم) أي اليوم الذي تنزلون فيه موضعاً تقيمون فيه أي لا يتقل عليكم في الحالين ، وقوله (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) هي إشارة لأنواع الحيوانات المقصودة في النص القرآني ، و التي كان يعتمد عليها العربي آنذاك ، فالصوف يشير به إلى (الضأن) و الوبر يشير به إلى (الإبل) و الشعر يشير به إلى (المعز) ، ثم يشير القرآن إلى صناعة الأثاث من هذه الأصناف المتقدمة ، أي أنواع من متاع البيت من الفرش و الأكسية و البسط و الثياب^(٤) .

وفضلاً عما تقدم فقد ذكر القرآن الكريم أنواع كثيرة من الحيوانات الموجودة في الطبيعة و التي تعيش جنباً إلى جنب الإنسان سواء كانت نافعة له أو ضارة ، وسواء كانت راجلة أو طائرة ، وسوف نتعرض في هذا الفصل إلى الحيوانات الموجودة في حياة الفرد العربي في شبه الجزيرة العربية على وجه الخصوص قبل الإسلام في مدينة مكة و الحجاز و اليمن وغيرها ، و التي قد نلاحظ لها وجود واضح في بقعة ما و انحسار في بقعة أخرى بحسب التفاوت البيئي الموجود في شبه الجزيرة العربية .

(١) القرآن الكريم : سورة قريش ، الآية (٢١) .
(٢) ينظر الأردبيلي : أحمد بن محمد (ت ٩٩٣هـ) ، زبدة البيان ، ت. محمد باقر البهبودي ، المكتبة الرضوية لإحياء الآثار الجعفرية ، طهران ، ص ٧٤ .
(٣) القرآن الكريم : سورة النحل ، الآية (٨٠) .
(٤) المجلسي : بحار الأنوار ، ج ٦١ ، ص ١٠٤ ؛ وينظر القمي : تفسير القمي ، ج ١ ، ص ٣٨٨ ؛ والطوسي : تفسير التبيان ، ج ٦ ، ص ٤١٢ .

نماذج من أهم الحيوانات في شبه الجزيرة العربية

أولاً : الإبل عند العرب قبل الإسلام :

قال تعالى في كتابه الكريم : (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)^(١) ، وهي إشارة و أمر من الله تعالى للبحث عما هو موجود من آيات الله تعالى التي تحيط بنا ، ومن هذا المنطلق سوف نبحث في موضوع الإبل عند العرب قبل الإسلام .

تعد الإبل من أهم الحيوانات التي انتشرت في شبه الجزيرة العربية بصورة عامة لما لها من أهمية و منافع للعرب قبل الإسلام ولا سيما في مكة و ما جاورها من مناطق شبه صحراوية وحارة وقليلة الأمطار و لا توجد فيها مساحات خضراء إلا ما ندر ، فضلا عن وعورة الأرض ومناخها الجاف ، فمن أسباب انتشار الإبل في مكة هو البيئة الجغرافية حيث أن الموقع الجغرافي لمدينة مكة يقع في غرب شبه الجزيرة العربية في قلب الحجاز ، بين خطي ٩١-٥٢ - ١٢ شمالاً و خط ٤٦-٤٩-٣٩ شرقاً ، بالقرب من شواطئ البحر الأحمر ، في وادٍ غير ذي زرع كما وصفها القرآن الكريم في قوله تعالى (ربنا إنني أسكت من ذريتي وإدغير ذري)^(٢) ، يشرف عليه جبل أبو قبيس ، الذي كان يسمى الأخشب الشرقي (الجبل الغليظ) و قيقعان الذي يسمى بالأخشب الغربي ، وموقعها المنخفض جعلها عرضة للسيول التي تنحدر من التلال المجاورة أثناء سقوط الأمطار ، وتتكون الطبيعة التضاريسية من صخور قديمة تمثلت في الجبال و الأودية التي تتبع تكويناتها حركة التصدع والانكسارات التي مرت بها المنطقة خلال الأزمنة الجيولوجية القديمة وهذه الأودية تغطي بالحصى و الرمل ، أما المناخ فإنه يتأثر بمناخ البحر الأبيض المتوسط و المناخ الموسمي فضلاً عن تأثرها بالبحر الأحمر^(٣) .

أما درجات الحرارة فترتفع في الصيف وتكون دافئة في الشتاء و الأمطار قليلة و أحيانا تكون نادرة ، وتهب على هذه المنطقة الرياح الشمالية الغربية في الشتاء ، والشمالية الشرقية الجافة في الصيف ، ونتيجة لمناخها الحار كان العرب يتخذونها مشى لهم^(٤) .

إن هذه الميزة الجغرافية جعلتها منطقة وعرة تسلكها الخيول و الإبل وغيرهما من خلال ممرات واضحة المعالم تقتصر أولهما : من جهة المعلاة ، والثانية : من جهة المسفلة ، على أن لشعابها طريقاً سالكاً للراجلة و للخيول و الأحمال^(٥) .

(١) القرآن الكريم : سورة الغاشية (١٧) .

(٢) القرآن الكريم : سورة إبراهيم (الآية ٣٧) .

(٣) سالم : د. محمد امجد ، مكة ومكانتها الدينية و السياسية و الاقتصادية قبل الإسلام ، مجلة كلية الآداب ، الأصابعة ، جامعة غريان ، العدد ٢٥ ، ص ١١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢ ؛ وينظر ياقوت الحموي : شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي (ت ٦٢٦هـ) ، معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ج ٥ ، ص ١٨٧ .

(٥) الأزرقى : أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٢٥٠هـ) ، أخبار مكة ، ت. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، ط ١ ، مكتبة الأسد ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، ج ١ ، ص ٣٦ .

هذه الظروف المتقدم ذكرها في مدينة مكة المكرمة وما جاورها من أرض الحجاز جعلها تقتصر على أنواع معينة من الحيوانات التي ورد ذكرها في المصادر التاريخية و التي منها الإبل ، والحمير ، والماشية ، والخيول ، علما أن أكثرها استخداماً هي الإبل وذلك بسبب صعوبة المناخ و قلة الزراعة فكانت تستخدم بقية الحيوانات بشكل قليل نسبياً ولعرض توفير الطعام ليس إلا فلا توجد منها وفرة كالإبل التي كانت لها مكانة كبيرة في حياة العرب قبل الإسلام حتى أن بعضهم عبدوها .

فقد ذكرت المصادر أن وفداً من قبيلة طيء قدموا على النبي (ﷺ) في عام الوفود سنة ٩ هـ وكان فيهم زيد الخيل الذي سماه النبي (ﷺ) فيما بعد (زيد الخير)^(١) ، فلما رآهم النبي (ﷺ) قال لهم : " إني خير لكم من العزى ومما حازت منافع من كل ضار غير يفاع ومن الجمل الأسود الذي تعبدونه من دون الله عز وجل " ^(٢) .

وذكر الجمل عند بعض القبائل باسم الزور^(٣) ، إشارة إلى عبادته ، فمن أيام العرب يوم عرف بيوم الزورين ، وهو يوم بين قبيلة بكر بن وائل وقبيلة تميم ، إذ جاءت تميم ببكيرين ، وقيل ببكيرين مجللين مقرونين مقيدتين وتركوهما بين الجيشين معقولين واطلقوا عليهم زورين ، وقالوا لا نولي حتى يولي هذان البكيران ، وبلغ الخبر زعيم قبيلة بكر بن وائل عمرو بن قيس فقال : " وأنا زوركهم وجلس بين الخصمين وقال : قاتلوا عني ولا تفروا حتى أفر وحمي الوطيس بين الفتنتين فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فلما انتهت الحرب بهزيمة تميم غنمت بكر الزورين وذبحت أحدهما و أكلوه ، وافتحلوا الآخر وكان نجيباً " ^(٤) .

وقد مثل الشاعر الأعشى ذلك بقوله :

نحن الذين هَرَمْنَا يوم صَبَحْنَا ... جيشَ الزَّوِيرين في جَمعِ الأحاليف
ظَلُّوا وظَلُّنَا نَكْرَ الخَيْلِ وَسَطَهُمْ ... بالشَّيْبِ مِنَّا وبالمُردِّ الغَطَاريف^(٥)

وبهذا النحو ما قاله الأغلب العجلي^(٦)

- (١) زيد الخيل هو زيد بن مهلهل بن زيد منهب الطائي ، قدم على رسول الله (ﷺ) في وفد طيء سنة ٩ هـ وأسلم وسماه النبي (ﷺ) (زيد الخير) وقال له : ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيتك في الإسلام إلا رأيته دون الصفة غيرك و أقطع له أرضين في ناحيته ، يكنى أبا مكنف وكان له إبنان مكنف و حريث وقيل فيه حارث ، أسلما و صحبا رسول الله (ﷺ) وشهدا قتال الردة مع خالد بن الوليد ، وكان زيد شاعراً محسناً خطيباً لسناً ، شجاعاً بهمة كريماً وكان بينه وبين كعب بن زهير هجاء لأن كعباً اتهمه بأخذ فرس له ، مات زيد بعد منصرفه عن النبي (ﷺ) وقيل مات في آخر خلافة عمر بن الخطاب . ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن أحمد (ت ٤٦٣ هـ) ، الاستيعاب ، ت. علي محمد البجاوي ، ط ١ ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، ج ٢ ، ص ٥٥٩ .
- (٢) الأصفهاني : أبي الفرج (ت ٣٥٦ هـ) ، كتاب الأغاني ، ت. إحسان عباس ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م ، دار صادر ، بيروت ، ج ٤ ، ص ٤٥٤ .
- (٣) هو كل شيء يتخذ رباً ويعبد من دون الله . ينظر ابن منظور : لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٣٣٧ .
- (٤) ابن منظور : لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٣٣٨ ؛ الزبيدي : تاج العروس ، ج ٦ ، ص ٤٧٨ .
- (٥) ابن عبد ربه الأندلسي : أحمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ) ، العقد الفريد ، ت. مفيد محمد قميحة ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣ م ، ج ٥ ، ص ١٧٧ .
- (٦) الأغلب بن عمرو بن عبيدة بن حارثة بن بني لجم من ربيعة ، شاعر راجز معمر ، أدرك الجاهلية و الإسلام وتوجه مع سعد بن أبي وقاص غازياً فنزل الكوفة ، واستشهد في واقعة نهاوند . الزركلي : خير الدين ، الأعلام ، ط ٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠ م ، ج ١ ، ص ٣٣٥ .

كَانَتْ تَمِيمٌ مَعْشَرًا ذَوِي كَرَمٍ ٠٠٠ غُلَصَمَةً مِنَ الْغَلَاصِيمِ الْعُظْمِ
 مَا جَبُّنُوا وَلَا تَوَلَّوْا مِنْ أَمَمٍ ٠٠٠ قَدْ قَابَلُوا لَوْ يَنْفُخُونَ فِي فَحَمٍ
 جَاءُوا بِزَوْرِيهِمْ وَجِئْنَا بِالْأَصَمِّ ٠٠٠ شَيْخٌ لَنَا كَاللَّيْثِ مِنْ بَاقِي إِرَمٍ^(١)

ومن الروايات التي يتضح منها عبادة الإبل عند العرب قبل الإسلام ما ذكرته المصادر عن آكل السقب وهو عمر بن حبيب الفهري^(٢) والذي عرف بأكل السقب لأنه أغار على بني بكر وكان لهم سقبا^(٣) يعبدونه من دون الله فأخذه و أكله^(٤) ؛ ومما يوضح مكانة الناقة في العرب قبل الإسلام ما نلاحظه من مكانة للناقة في العصر الإسلامي حيث بقيت الناقة موضع اهتمام الفرد العربي الذي كان حديث العهد بالجاهلية و لعل ذلك يتضح من خلال قصة ناقة النبي (ﷺ) عندما دخل المدينة و حاول أن يحدد موضع سكنه حيث تنازع المسلمون على نزوله كل يريد به عنده فتمكن النبي من إقناعهم على الاحتكام إلى سبيل الناقة بقوله " خلوا سبيلها فإنها مأمورة "^(٥).

ومما يوضح أهمية الإبل عند العربي قبل الإسلام ما ورد من وصية أكثم بن صيفي لقبيلة طي إذ قال لهم " لا تسبوا الإبل ولا تضعوا رقاب الإبل في غير حقها فإن فيها مهر الكريمة و رقوة الدم ، وبألبنائها يتحف الكبير ويغذى الصغير ، ولو أن الإبل كلفت الطحن لطحنت "^(٦).

وقد اهتم العرب بالإبل بشكل كبير بلغ في بعض الأحيان إلى العبادة و التقديس ولكنها لم تكن عبادة عامة بل كانت في اغلب الأحيان تخص بعض القبائل ومنها قبيلة طيء التي خصت الجمل الأسود من الإبل والناقة المنجاب و الفحل الكثير النواج بالتقديس ، بل حتى في حالة السفر فمعروف أن الجمل سفينة الصحراء ، فقد قدس البعض البعير الذي أنجاه من مشقة في سفر ، واتخذت مظاهر التبرك و التقديس أشكال متنوعة ، منها اباحة الماء والمرعى ، أو عدم الركوب عليها أو تحريم ذبحها و اغلب هذا التقديس تحقق فيما عرف عندهم بالسائبة والبحيرة والوصيلة والهامي^(٧).

وقد تعددت أنواع الإبل التي قدسها العرب بحسب المناسبة أو الصفة التي ميزت كل نوع عن غيره ، وقد أشارت النصوص القرآنية إلى ذلك ففي قوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا

- (١) ابن منظور : لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٣٣٣ ؛ وينظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٢٨٢ .
- (٢) الزبيرى : مصعب (ت ٢٣٦هـ) ، نسب قريش ، ت. ليفي بروفنسال ، ط ٣ ، دار المعارف ، ص ٨ .
- (٣) السقب : ولد الناقة أو ساعة يولد . الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٨٢ .
- (٤) ابن عساکر : تاريخ دمشق ، ج ٢٤ ، ص ٣٩٢ .
- (٥) ابن كثير : أبي الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ) ، السيرة النبوية ، ت. مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م ، ج ٢ ، ص ٢٧١ .
- (٦) الزبيدي : تاج العروس ، ج ١ ، ص ١٦٤ ؛ وينظر الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ١٦ .
- (٧) شهاب الكنو : مؤيد شاكر ، مكانة الإبل عند العرب قبل الإسلام ، مجلة التربية و العلم ، جامعة الموصل المجلد (٢٠) ، العدد (٣) ، ٢٠١٣ م ، ص ١١٦ ؛ ينظر علي : جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط ٢ ، جامعة بغداد ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م ، ج ١١ ، ص ٦١ .

وصيلة ولا حام، ولكن الذين كروا يغتروا على الله الكذب، وأكثرهم لا يعقلون^(١)، وليبيان ذلك نوضح سبب تسمية كل نوع على حدة :

فقد عرفت السائبة : بأنها الناقة التي تلد عشرة إناث فتترك ولا تركب ولا يجز وبرها ولا يشرب لبنها إلا ضيف ، وزعموا بها تسبب للأصنام ولا يطعم لبنها إلا أبناء السبيل ، ويقصد بالضيف أو ابن السبيل هو الشخص الذي يأتي لزيارة هذه الناقة والتبرك بلبنها^(٢)، وقيل : إذا شخص من سفر بعيد أو نجت ناقته من حرب قال : هي سائبة ، وكانت لا تمنع عن ماء أو كلاً ولا تركب^(٣) .

وأما البحيرة : هي ابنة السائبة والتي نتجت خمس أبطن وكان آخرها ذكراً ، بحروا أذننها أي شقوها ، وامتنعوا من نحرها وركوبها ولا يجوز أن تطرد من ماء أو مرعى ، وزعموا إذا ولدت الخامس ذكراً ذبحوه واكلوه ، وإذا كانت أنثى شقوا أذننها وحرموها استعمالها^(٤) .

وأما الوصيلة : قيل هي الناقة تبكر فتضع أنثى ثم أنثى وبعدها أنثى أخرى دون أن يفصل بينهم ذكر فيتنازلون عنها لإلهتهم ، ويقولون أنها وصلت أنثى بأنثى ، وزعموا أنها التي وصلت بين عشرة أبطن لا ذكر بينهما ، فضلاً عن أقوال أخرى^(٥) .

وأما الحامي : فهو الفحل الذي لقح ولد ولده فيقولون قد حمى ظهره فيتترك ولا يمنع من ماء أو كلاً ، وزعموا انه البعير الذي يولد من ظهر عشرة أبطن وهنالك أقوال أخرى لا تخرج عن معنى ما ذكر أعلاه^(٦) .

وأطلقوا على السوائب والبحائر والحوامي الحبس لأنها تحبس لألهتهم^(٧) .

وعرفوا الناقة الصربية : وهي المشقوقة الأذان من الإبل .

والمعنى : كان العرب ينزعون سناسن فقرته ويعقرون سنامه لكي لا يركب ولا ينتفع به ، وذلك إذا بلغت أبل الرجل مائة^(٨) .

(١) القرآن الكريم : سورة المائدة (١٠٣) .

(٢) ابن عاشور : محمد بن طاهر ، التحرير والتنوير ، الطبعة التونسية ، دار سنحون ، تونس ، ١٩٩٧م ، ج ٧ ، ص ٧٢ .

(٣) ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء (ت ٧٧٤هـ) ، تفسير القرآن العظيم ، ت. يوسف المرعشلي ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، ج ٣ ، ص ٢٠٨ .

(٤) ابن منظور : لسان العرب ، ج ١ ، ص ٥٢٣ ؛ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٢٠٨ .

(٥) ابن سيده : علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ) ، المحكم و المحيط الأعظم ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج ٢ ، ص ٣٧٦ .

(٦) الطبري : جامع البيان في تأويل القرآن ، ج ١ ، ص ١١٦ ؛ السهيلي : عبد الرحمن (ت ٥٨١هـ) ، الروض الأنف ، ت. عبد الرحمن الوكيل ، ط ١ ، دار الكتب الإسلامية ، مصر ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ، ج ١ ، ص ٣٦٨ ؛ ابن منظور : لسان العرب ، ج ١ ، ص ٦١ ؛ جواد علي : المفصل ، ج ١١ ، ص ٢٠٣ .

(٧) ابن منظور : لسان العرب ، ج ٤ ، ص ١٩٥ .

(٨) ابن منظور : لسان العرب ، ج ١٥ ، ص ١٠١ .

و أما الإبل الوحشية : فقد قيل فيها الكثير من الروايات والتي غالبها تحمل طابع الأسطورة ، فقد ذكر أن الإبل الوحشية تسكن الوبار لأنها غير مسكونة ، ولأن الحيوان كلما اشتدت وحشيته كان للخلاء أطلب ، ومن أنواعها (المهرية ، الحوش) وقيل أن إبل الحوش هي التي من بقايا إبل وبار ، فلما أهلكهم الله تعالى كما أهلك الأمم الأخرى مثل عاد و ثمود ، بقيت إبلهم في أماكنهم التي لا يطورها إنسي ، فإن سقط إلى تلك الأرض بعض الخلعاء أو بعض من أضل الطريق حثت الجن في وجهه ، فإن لم يرجع خبلته^(١) .

وسميت إبل الحوش في العمانية بالعسجدية و التي تعني الذهبية ، ويتضح ذلك من قول الشاعر :

ما ذمَّ إبلي عَجَمٌ ولا عرب *** جلودها مثل طواويس الذهب

وقال أيضاً :

إذا اصطكت بضيق حجرها **** تلاقى العسجدية و اللطيم^(٢)

ويلاحظ مما تقدم من تقديس العرب للإبل أنهم اتخذوا مجموعة مظاهر تمثلت في تحريم أكل لحومها ، وفي تحريم ركوبها وشرب ألبانها والانتفاع من وبرها ، وقد أدرك الإسلام هذه العبادة وما فيها من معتقد فاسد ووثني ، فندد القرآن الكريم بتلك العقائد الباطلة قال تعالى (مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بُحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَذِبُهُمْ لَا يَعْقُلُونَ^(٣)) ، وقال تعالى (وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِنْهُ مِيتَةٌ فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ^(٤)) .

وقيل أن أول من بحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيصة وحمى الحامي هو جنادة بن عوف^(٥) ، و رواية أخرى تنسب هذه الأفعال إلى رجل من مدلج ، كانت له ناقتان فجدع أذانهما وحرّم ألبانهما^(٦) .

ولعل الراجح من هذه الإخبار وأدقها هي التي تنسب هذا الفعل إلى عمرو بن لحي^(٧) ، ففي حديث أم المؤمنين عائشة عن صلاة الخسوف قالت : قال الرسول : (ورأيت فيها عمرو بن

(١) الجاحظ : كتاب الحيوان ، ج ١ ، ص ١٥٤ .

(٢) الجاحظ : كتاب الحيوان ، ج ١ ، ص ١٥٥ .

(٣) القرآن الكريم ، سورة المائدة : الآية ١٠٣ .

(٤) القرآن الكريم ، سورة الأنعام : الآية ١٣٩ .

(٥) هو جنادة بن عوف بن أمية بن قلع بن عباد بن حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدي بن زيد بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة أبو ثمامة الكناني، ذكر انه نسا الشهور (٤٠) سنة وقيل انه أدرك الإسلام ؛ جواد علي : المفصل ، ج ١٦ ، ص ١٣٤ ؛ ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ) ، الإصابة في تمييز الصحابة ، ت. عادل أحمد عبد الموجود ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، ج ١ ، ص ٦١٠ .

(٦) الألوسي : محمود شكري (ت ١٩٢٤هـ) ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، تحقيق. محمد بهجة الأثري ، دار الكتب ، ج ٣ ، ٣٩ ؛ جواد علي : المفصل ، ج ١٦ ، ص ١٣٢ .

(٧) هو عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو ابن عامر الأزدي ، من قحطان ، و يذكر أنه أول من غير دين إسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان ، كنيته أبو ثمامة ، قيل أنه تولى حجابة " البيت الحرام " بمكة ، و زار بلاد الشام ودخل أرض " ماب " كما يسميها العرب ، ويسميها الأقدمون " موآب " في وادي الأردن ، بالبلقاء ، فوجد أهلها يعبدون " الأصنام " وكانت قد انتشرت في مكة عادة أو عقيدة بأن أحدهم إذا أراد السفر منها حمل معه حجارة من حجارة " الحرم " يتيمن بها ، وانتقل بعضهم من ذلك إلى تقديس ذلك الحجر ، والطواف حوله ، ثم كانوا يختارون أي حجر يعجبهم من أي مكان ، فيطوفون =

لحي وهو الذي سيب السوائب^(١) ، وروى الكلبي انه أول من بحر البحيرة وسيب السائبة وحمى الحامي وغير دين إبراهيم الخليل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان ، ويذكر انه هو الذي قسم بين العرب حكمة حكموها في العشرة آلاف ناقة ، وقد كان اعور عشرين فعلاً ، وكان الرجل في الجاهلية إذا ملك ألف ناقة فقاً عين فحل أبله ليرد العين عنها فكان قد فقاً عين عشرين فعلاً وان كان هذا العدد من الإبل مبالغ فيه ؟ ويذكر أن عمرو أول من اطعم الحاج بمكة سدائف^(٢) الإبل ولحمانها على الثريد وكان قوله فيهم ديناً متبعاً لا يخالف وهو الذي بحر البحيرة ووصل الوصيلة وحمى الحامي وسيب السائبة ونصب الأوثان حول الكعبة^(٣) ، ويفهم من هذه النصوص أن معتقد العرب في السائبة والوصيلة والبحيرة والحامي له ارتباط وثيق بعبادة الأوثان ، بل هو نوع من أنواع الأديان عند العرب قبل الإسلام والتي خالفت الديانة الحنيفية دين إبراهيم الخليل (ع) .

وفي قصص بعض الأنبياء تأخذ الإبل الحيز الأكبر في الاعتقاد بقديسيته ، ففي القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تتحدث عن الإبل ومكانتها ، منها قبيلة ثمود عندما طلبت من نبيها صالح معجزة تكون دليلاً على صدق نبوته ، وبحثوا عن أقوى الأدلة وأكثرها تعجيزاً فلم يجدوا فوق الناقة حيواناً يكون دليلاً لنبي الله ، فطلبوا أن يخرج لهم الناقة من الصخرة فأخرجها بأذن الله قال تعالى (وَاللّٰى تَمُودُ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءُكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَمَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَكَاتَمُسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)^(٤) ، وجعل لها شرب يوم ولهم شرب يوم ، وكانت تحلب لهم وترويههم ، فساء شيوخهم ذلك فعقروا الناقة ، ودخل سقبيها الصخرة ، وقيل رفع إلى السماء ، فأخذتهم الرجفة وأصبحوا في ديارهم جائعين^(٥) .

ولعل الملفت للنظر في خبر هذه الناقة ، هي أنها ليست ككل النوق ، شربها هائل فهو ما يعدل شرب قبيلة ثمود ، ولبنها هائل يكفي لتغذية القبيلة ، وجاء تعذيبهم لمسهم الناقة بسوء ، وكان رغاء ابنها البداية لنهايتهم وقد ضرب تعالى المثل في الإبل وعظمة الخالق على خلقها فقال : (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَيَّ الْإِبِلَ كَيْفَ خُلِقَتْ)^(٦) ، لأنها خلق عجيب ، وتركيبها غريب ، وتنقاد للضعيف والقوي ، ولأن غالب دواب العرب كانت الإبل^(٧) .

ونظراً لأهمية الإبل في حياة العرب قبل الإسلام في شبه الجزيرة العربية عموماً وفي مكة وما جاورها بشكل خاص نلاحظ تكرار ذكرها في القرآن الكريم في مواطن كثيرة ، مرة يوردها كقصة تاريخية كما في قصة النبي صالح (ع) حيث قال تعالى في كتابه الكريم من

=حوله كما يطوفون حول الكعبة . ينظر الكلبي : هشام بن محمد (ت ٢٠٤هـ) الأصنام ، تحقيق. احمد زكي باشا ، ط ٢ ، دار الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٢٤ م ، ص ١٠ ؛ والزركلي : الأعلام ، ج ٥ ، ص ٨٤ .

(١) البخاري: الجامع الصحيح ، ج ١ ، ص ٤٠٦ ؛ جواد علي : المفصل ، ج ١١ ، ص ٢٠٥ .

(٢) السديف : هو لحم سنام الإبل . ينظر ابن منظور : لسان العرب ، ج ٩ ، ص ١٦٠ .

(٣) ابن الكلبي : كتاب الأصنام ، ص ٥٨ ؛ الأزرقى : أخبار مكة ، ص ٨٧ .

(٤) القرآن الكريم : سورة الأعراف (آية ٧٣) .

(٥) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٤٤٠ .

(٦) القرآن الكريم : سورة الغاشية (آية ١٧) .

(٧) شهاب الكنو : مكانة الإبل عند العرب قبل الإسلام ، ص ١٢٠ .

سورة الأعراف (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) . قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ^(١) ويورد ذكرها أيضاً في قوله تعالى (وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ قَرِيبٍ) ^(٢) ، وقوله تعالى (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ، وَأَتَيْنَا مُودِ النَّاقَةِ مَبْصُرَةً فُظْلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً) ^(٣) ، و قوله تعالى (مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ، قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَهَا شَرْبٌ وَلَكُمْ شَرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ، وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ، فَعَقَرُوهَا وَأَصْحَابُهَا يُدْمِنُونَ) ^(٤) ، وقوله تعالى (إِنَّا مَرْسَلُوا النَّاقَةَ قَتْنَةً لِمَ فَارَقَتِهِمْ وَاصْطَبِرْ ، وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مَحْضَرٌ ، فَنَادُوا صَاحِبِهِمْ فَتَعَالَى فَعَقَرَ ، فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذَرٍ) ^(٥) ، وقوله تعالى (كَذَبَتْ ثُودٌ بِطَغْوَاهَا ، إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ، فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَفَسَاوَاهَا ، وَلَا يَخَافُ عِقَابَهَا) ^(٦) .

وفي آيات أخرى يرد ذكر الإبل أو النوق للإشارة إلى خدماتها و فوائدها التي يمكن الحصول عليها من خلال تربيتها و ذبحها للحصول على لحمها أو الحصول على ألبانها أو الاتجار بها أو استخدامها في التنقل و حمل البضائع .

ومن اللطائف التي تشير إلى أهمية الإبل عند العرب قبل الإسلام ما أورده الكلبي من رواية أن رجلاً من العرب جاء بابله ليوقفها على أحد الأصنام التي كانوا يعبدونها للتبرك به ، فلما قربها منه نفرت الإبل منه و ذهبت في كل وجه وتفرقت عنه ، وعندما رأى ذلك أسف و تناول حجراً و رمى به الصنم وقال " لا بارك الله فيك إلهاً ، أنفرت عليّ إبلي " ثم خرج في طلبها حتى جمعها وانصرف عنه وهو يقول :

أتينا إلى سعدٍ ليجمع شملنا *** فشتتنا سعد فلا نحن من سعدٍ

وهل سعد إلا صخرةً بتنوفة *** من الأرض لا يدعى لغى ولا رشدٍ ^(٧)

(١) القرآن الكريم ، سورة الأعراف (آية ٧٣) .

(٢) القرآن الكريم ، سورة هود (آية ٦٤) .

(٣) القرآن الكريم : سورة الإسراء (آية ٥٩) .

(٤) القرآن الكريم : سورة الشعراء (آية ١٥٥ - ١٥٨) .

(٥) القرآن الكريم : سورة القمر (آية ٢٧ - ٣٠) .

(٦) القرآن الكريم : سورة الشمس (آية ١١ - ١٥) .

(٧) الكلبي : الأصنام ، ص ٣٧ .

ومن مظاهر تقديس الإبل عند العرب قبل الإسلام أن قبيلة إباد كانت تقدر ناقة أبي داود الإيادي^(١) ، ويطلقون عليها اسم (الزباء)^(٢) ، فكانوا يتبركون بها فلما أصابهم الجذب تركوا أرضهم وتفرقوا ثلاث فرق منها فرقة سلكت البحر فهلكت ، وفرقة قصدت اليمن فسلمت وفرقة قصدت أرض بكر بن وائل فنزلوا على الحارث بن همام وكان أكرم الناس جواراً^(٣) .

كما كانت ناقة البسوس التي ضرب بها المثل تمثل رمزية مقدسة ، وإن كليب عندما قتلها كان قد انتهك مقدساً من مقدسات العرب فضلاً عن انتهاكه لمقدس آخر وهو حرمة الجوار التي كانت تمثل أمراً عظيماً عند العرب ، الأمر الذي انعكس سلباً على كليب وأدى لمقتله ، ويبدو أن ميزة التقديس للناقة عند العرب قبل الإسلام لها جذور طويلة تعود إلى ناقة صالح التي ذكرها القرآن وما مر بها من أحداث^(٤) .

كما دلت النقوش و الكتابات الثمودية على تقديس الثموديين للإبل ، فقد عثر على نقش ثمودي يصف الجمل بأنه مقدس ، وأن اقتصادهم قائم على الإبل ، بدليل أن قوم ثمود هم اختاروا الناقة آية لامتحان النبي صالح بينهم ، لأنهم يحيطونها بالجلال والتقديس^(٥) .

ومن الأمور التي كانت تجري على الإبل قبل الإسلام هو إحصاء ذكورها و قد بقي هذا الفعل حتى ظهور الإسلام حيث نهى عنه النبي (ﷺ) إذ قال : " فيها نشأة الخلق ، ولا تصلح الأنثى إلا بالذكر " ^(٦) .

وقيل في صفات الإبل أنها حيوان عظيم الجسم سريع الانقياد ينهض بالأحمال الثقيلة وتأخذ زمامه فأرة فتذهب به حيث شاءت ، كما أنها تصبر على العطش عشرة أيام^(٧) ، ولها أعناق طويلة تساعد على النهوض بالحمل الثقيل ، والذكر منها عند هيجانه يسوء خلقه ويظهر زبده ورغاؤه ويقل أكله ويخرج الشقشقة وهي جلدة حمراء يخرها من جوفه وينفخ فيها ، فتظهر من شدقه^(٨) ؛ والفحل لا ينزو إلا مرة واحدة في السنة ، والأنثى من الإبل تلحق إذا مضى لها ثلاث سنين ، والجمل أشد الحيوانات حقداً وفي طبعه الصبر والسلوة ويكنى بـ (أبي أيوب)^(٩) .

والإبل بصورة عامة عدة أنواع عند العرب قبل الإسلام ، منها :

- (١) هو جارية بن الحجاج أحد بني برد بن دهمي بن إباد بن نزار شاعر قديم من شعراء الجاهلية وكان وصافاً للخيل وأكثر أشعاره في وصفها وله في غير وصفها تصرف بين مدح وفخر وغير ذلك إلا أن شعره في وصف الفرس أكثر . ينظر الصالحي و السامرائي : أنوار محمود و أحمد هاشم ، ديوان أبو داود الإيادي ، ط ١ ، دار العصماء ، سوريا - دمشق ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م ، ص ٢١ .
- (٢) هي كنية نائلة بنت عمرو بن الضرب بن حسان بن أذينة العمليقي ، ملكة الجزيرة و الشام ، ومعنى اسمها العظيمة من الدواهي . ينظر الزركلي : الأعلام ، ج ٣ ، ص ٤١ .
- (٣) سمار : تقديس الحيوان عند العرب قبل الإسلام ، ص ٢٠٩ ؛ وينظر أبو الفرج الإصفهاني : الأغاني ، ج ١٦ ، ص ٤٠٨ .
- (٤) محمد عجينة : موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها ، ص ٢٨٣ .
- (٥) سمار : تقديس الحيوان عند العرب قبل الإسلام ، ص ٢٠٩ ؛ وينظر ياروسلاف ستيتكيفيتش : العرب والغصن الذهبي (إعادة بناء الأسطورة العربية) ، ترجمة سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ص ١٧ .
- (٦) الجاحظ : كتاب الحيوان ، ج ١ ، ص ٣٤ .
- (٧) النميري : حياة الحيوان الكبرى ، ص ٢٠ ؛ القزويني : زكريا بن محمد بن محمود الكوفي (ت ٦٨٢ هـ) ، عجائب المخلوقات و غرائب الموجودات ، ط ١ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت - لبنان ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ، ص ١٧٤ .
- (٨) النميري : حياة الحيوان الكبرى ، ص ٢٠ .
- (٩) عاشور : عبد اللطيف ، موسوعة الطير و الحيوان في الحديث النبوي ، القاهرة ، ص ٢٠ .

- ١ - الأرحبية : وهي التي تنسب إلى أرحب بن همدان ، وقيل هي من إبل اليمن .
- ٢ - الشذمية : وهي منسوبة إلى شذقم وهو فحل كريم كان للنعمان بن المنذر .
- ٣ - العيدية : وهي منسوبة إلى قوم من بني مهرة .
- ٤ - المجدية : وهي من إبل اليمن منسوبة إلى المجد والشرف .
- ٥ - الشذنية : وهي منسوبة إلى فحل أو بلد قد يكون بهذا الاسم .
- ٦ - المهرية : وهي منسوبة إلى مهرة بن حيدان^(١) .

ومن أهم التسميات التي أطلقها العرب قبل الإسلام على الإبل كألقاب لها إشارة إلى صفتها هي :

- ١ - العيس : وهي الشديدة الصلابة .
- ٢ - الشمال : وهي الخفيفة .
- ٣ - اليعملة : وهي التي تعمل .
- ٤ - الوخباء : وهي الشديدة أيضاً .
- ٥ - الناجية : وهي السريعة .
- ٦ - العوجاء : وهي الضامرة .
- ٧ - الشمرلة : وهي الطويلة .
- ٨ - الهجان : وهي الإبل الكريمة .
- ٩ - الكوماء : وهي الناقة العظيمة السنام .
- ١٠ - الحرف : وهي الناقة الضامرة^(٢) .

وفي مملكة الأنباط فقد كان العديد من مناطقها بيئة مناسبة للإبل التي تعيش عادة في المناطق الجافة وشبه الجافة ، فقد كانوا يأكلون لحوم الإبل لاحتوائها على قيم غذائية عالية ، إذ أن لحومها تتميز بقلّة نسبة الدهون فيها مقارنة بالأغنام والماعز ، كما استخدموها في مجالات أخرى مثل الاستفادة منها في النقل ، إضافة إلى الاستفادة من لحومها وحليبها ، واستخدام وبرها للصناعات اللازمة ، وروثها للوقود ، ويبدو أن وسيلة النقل الرئيسية كانت الجمل لديهم ، ومن المحتمل أن الحصان كان يُستخدم أيضاً خصوصاً للمسافات القصيرة ، حيث أكدت المصادر التاريخية استخدام الجمل وسيلة للمواصلات حيث يقول سترابو ما مفاده أن قوافل الجمال تسير بالليل مستخدمة النجوم أدلة مثل البحارة ، حيث يرى الباحثون أن استخدام الجمل لأغراض تجارية قد تم مباشرة بعد تدجينه^(٣) .

وقد كشفت الحفريات الأثرية التي أجريت في عدد من المواقع النبطية عن استهلاك الأنباط للحوم الجمال ، ولكن بكميات أقل من الأغنام والماعز ، إذ مثّلت عظام الجمال نسبة 4% من نسبة العظام التي عُثِر عليها في منطقة الزنطور في البتراء ، ولكن يبدو أن لحوم الجمال لم تكن تؤكل بكثرة ، وكان يُعتمد على منتجاتها كالحليب والوبر ، إضافة إلى استخدامها وسيلة نقل وعُثِر على

(١) الميري : حياة الحيوان الكبرى ، ص ٢١ .
 (٢) النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ) ، نهاية الإرب ، ت. إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ج ١١ ، ص ٦٥ .
 (٣) السلامين : زياد مهدي ، استهلاك وإنتاج الطعام والشراب في الأنباط ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٦م ، ص ٢٩ .

عظام جمال عليها آثار تقطيع في منطقة مدائن صالح ، ولكن بكميات أقل من غيرها من الحيوانات التي عُثر عليها هناك ، كما عُثر على بقايا عظمية لجمال في خربة النوافله في وادي موسى ، وكُشف أيضاً عن عظام مشغولة لجمال ، مما يؤكّد استخدامها لصناعة بعض الأدوات العظمية كذلك التي عُثر عليها في الزنطور حيث استخدم الأنباط الجمل بأوقات الحرب والنقل^(١).

وتشير مخربشات من صحراء النقب إلى وجود جمّالين ، وقد صوّر الأنباط الجمل بسنام وبسنامين في رسوماتهم ، ويبدو أن تكريم الجمل هذا كان موجوداً عند الأنباط ، حيث يُشير أحد النقوش النبطية إلى تقديم جمليّن للإله ذي الشرى ، ولا نعرف فيما إذا كان هذان الجملان حقيقيين أم تماثيل فخارية صغيرة ، كما عُثر على كفن من خربة الذريح عليه صورة لجمال ، فكانت للجمال مكانة مميزة عند العرب قبل الإسلام ، فنكروه في أشعارهم مراراً ، وتنوعت أسماؤه عندهم حتى تعددت وتنوعت الكلمات في اللغة العربية التي تتعلق بالجمال وتصف شكله وخلقته حتى بلغت ١٠٠٤٦ كلمة^(٢).

ثانياً: الثور والبقر :

قال تعالى في كتابه العزيز (يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَعْيِ بَقَرَاتٍ ...)^(٣) ، وقد ورد ذكر البقر في نصوص أخرى متعددة سنوردها تباعاً خلال الدراسة .

البقر جنس من فصيلة البقريات يشمل الثور والجاموس ، ويطلق على الذكر والأنثى ، والبقيّر و البقران ، والباقر : جماعة البقر مع رعاتها ، والبيقور الجماعة ، وأهل اليمن يسمون البقرة (باقورة) ، ومنه المستأنس الذي يتخذ للبن والحرث ، ومنه البقر المتوحش^(٤) ؛ وقد يطلق على البقر تسمية (الأرخ) وهي الانثى الثنية من البقر التي لم ينز عليها الفحل ، وقيل هو وحش البقر^(٥) ؛ وقد يطلق على البقر الوحشية اسم المها وهي أشبه بالمعز الأهلية و قرونها صلبة جداً^(٦).

والبقر حيوان شديد القوة كثير المنفعة ، خلقه الله ذلولاً ولم يخلق له سلاح لأنه في رعاية الإنسان ، والإنسان هو الذي يدفع عنه عدوّه ، وذلك لأن حاجة الإنسان له ماسة ، فلو كان صعب المراس لصعب على الإنسان تربيته وتدجينه^(٧).

Albert E . Dien, Palmyra as Caravan City . Stanford University . Pp 8 .

(١)

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠ .

(٣) القرآن الكريم : سورة يوسف (٤٦) .

(٤) عاشور : موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي ، ص ١٠٦ .

(٥) الميري : حياة الحيوان الكبرى ، ص ٢٢ .

(٦) الميري : حياة الحيوان الكبرى ، ص ١٥٤ .

(٧) القزويني : عجائب المخلوقات و غرائب الموجودات ، ص ١٧٤ .

والثور : الذكر من البقر وجمعه ثيران و ثيرة ، و ولد البقر يسمى (عجل) والجمع عجول وعجاجيل^(١).

وللبقر أهمية كبيرة في حياة الإنسان ، فمنذ بداية الخلق والبقر صديق الإنسان ، ويقدم له المنفعة على الدوام ، فهو يشرب لبنه و يأكل لحمه و يصنع من لبنه الزبد والجبن ، ويستخدمه في ري الأرض و زراعتها إذ لا يستغني الفلاح عن روث البقر ليكون سماداً لأرضه و وقوداً لخيزه ، حتى أطلق عليها اسم البقرة الحلوب التي أصبحت أشهر من نار على علم ، وذكرها القرآن الكريم في مواضع كثيرة من آياته في قصة بقرة بني إسرائيل^(٢) ، كما في قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً... قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ... قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ... قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ)^(٣).

يتضح من الآثار القديمة أن العرب قدسوا الثور في شبه الجزيرة العربية سواء في شمالها أو جنوبها ، إذ نلاحظ قدسية الثور عند العرب قبل الإسلام في بلاد اليمن ، فقد لوحظ في النقوش التصويرية و موائد القرابين و المباخر والمذابح و الأواني الفخارية والمعدنية و المسكوكات ، وكذلك على جدران المعابد ، كما عثر على تماثيل و صور لثيران في مأرب في معابد الإله المقه^(٤) ، فقد حظي الثور بعناية فائقة بالبحث لأن الثور يعد الرمز الرئيس للإله القمر ، ويُعتقد أن قرون الثور على شكل هلال هي التي أوحى لليمني القديم باتخاذ رمزا مقدساً ، لذلك كان تشخيصه و إظهاره بأدق التفاصيل بصفته رمزا للإله القمر^(٥).

واتخذ أهل اليمن رأس الثور رمزا للعاصمة الحميرية ، وكثر وجوده في مدينة ظفار^(٦) في بلاطات حجرية طويلة مجسدة لرؤوس ثيران ، صور فيها رأس الثور بقرون طويلة وتندلا على جانبي الرأس بشكل أفقي أغصانا شجرية تم تثبيتها على رأس الثور وقرونيه ، حيث لم يعثر عليه في مواقع أخرى^(٧).

(١) عاشور : موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي ، ص ١٠٦.

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٦.

(٣) القرآن الكريم : سورة البقرة (٦٧ - ٧١) .

(٤) المقه : صنم عبدة السبنيون وهو إلههم الكبير ويعد في منزلة "ود" عند المعينيين ، ويرمز إلى " القمر " وهو المقدم عندهم على سائر الآلهة واليه تقرب " المكربون " والملوك بالأدعية والهدايا ، واليه توسل الشعب في كل ملمة تنزل به ، ونجد اسمه مدونا في كثير من النصوص السبئية بل تعبد له أهل الحبشة كذلك ، فنجد له معبداً عند "بحا" أو "بها" انتقلت عبادته اليهم من السبئيين الذين كان لهم نفوذ سياسي وثقافي على الساحل الأفريقي المقابل لليمن ، ويظهر أثر ذلك في الخط الحبشي حتى اليوم . ينظر جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج ٣ ، ص ٥٤ . القحطاني : محمد سعد عبده ، آلهة اليمن و رموزها حتى القرن الرابع الميلادي ، اطروحة دكتوراه ، جامعة صنعاء ، كلية الآداب ، ١٩٩٧م ، ص ١٦٣ ؛ بركلت : أبو العيون ، لمحة عامة عن الفن اليمني القديم ، مجلة الإكليل ، عددا ، السنة السادسة ، ١٤٠٨هـ ، ص ٨٢ .

(٥) مدينة باليمن بالقرب من صنعاء وهي التي ينسب لها الجزع الظفاري ، وبها مسكن ملوك حمير . ينظر الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٦٠ .

(٦) العميسي : فضل محمد ، التجسيديات الحيوانية على الآثار في جنوب غرب الجزيرة العربية (اليمن) فترة ما قبل الإسلام ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب والعلوم للدراسات الإنسانية ، جامعة الحسن الثاني المحمدية ، الدار البيضاء ، ٢٠١٣م ، ص ١٨٥ .

وتتجلى قدسية الثور كونه من الوسائل التي تعين الإنسان العربي قبل الإسلام في إدراك الغيب ، فإن تعبيره يدل على سيد شديد البأس ، كثير النفع و العون ، موافق مطواع ، وربما دل على الشباب الجميل لأنه من أسماءه ، وتدل رؤيته على ثوران الفتنة ، أو العون على ما يذلل الأمور الصعاب لا سيما لأرباب الحرف و الزراعة والإنشاء ، و ربما دلت رؤيته على الذهول ، و رؤية الثور الأبلق فرح وسرور ، والأسود سوؤد أو شفاء للمريض ، و ربما دل على الجنون لأنه من أسماءه^(١).

وحفلت قدسية الثور برموز كثيرة تمثلت بقدرته على إخصاب الأرض وجلب المطر ، وذلك في طقس الاستسقاء عند العرب قبل الإسلام ، الذي يجسد اقتران الثور بالمياه حينما يتطلب الأمر استدعاء الآلهة لها طلباً للمطر ، فقد عدت طقوس دينية مقدسة تمثلت بحرصهم على ممارستها ، وذلك حينما يصيبهم الجذب و ينقطع عنهم المطر مدة ويجعلهم يعانون من ذلك لذا عمدوا إلى ما يسمى صلاة الاستسقاء ، و وصف أحد المؤرخين^(٢) طقوس الاستسقاء بقوله : " كانوا إذا استمطروا عمدوا إلى السلع والعشر فعقدوها في أذنان البقر واضرموا فيها النار وأصعدوها في جبل وعر وتبعوها يدعون الإله ليستسقيهم ، ويضرمون النار تفاؤلاً للبرق أو ليرحمها الإله وينزل المطر لإطفاء النار عنها ، وكانوا إذا فعلوا ذلك توجهوا بها نحو المغرب من بين الجهات وقصدوا عين الشمس^(٣) .

وكانوا يعدون نار الاستمطار استرضاءً للقوى الخفية التي كانت المتحكمة في سقوط المطر حسب اعتقادهم^(٤) ، ويرى أحد الباحثين هذا الطقس من أسبابه أن الإنسان كان ينظر إلى الآلهة نظرة نفعية ، فهم حين يصعدون البقر إلى الجبال يظنون أن الآلهة تسمع توسلاتهم وشكواهم ، لذا يضجون ويبتهلون ، فإذا لم تستجب الآلهة لتوسلاتهم اشعلوا بين عراقيبها النار ، كي يأتي المطر فتطفئ النيران ويذهب الجفاف و القحط وإن لم تأت بالمطر ، فهي تستحق ذلك المصير البشع^(٥).

ومن مظاهر طقوس الاستسقاء بالثور أنهم كانوا يحشون جلد الثور بالبذور الزراعية ويمزقون الجلد ليتدفق منه الحب فيمطرون ، وهذه الطقوس والممارسات السحرية بقايا طقوس واحتفالات قديمة تتصل بعبادة الثور وما يرمز إليه من الخصب والمطر ، لأن الثور يمثل قوة إلهية قادرة على التحكم في الرياح و السحب والمطر^(٦).

-
- (١) الدميري : حياة الحيوان الكبرى ، ص ٢٦٣ .
 - (٢) المرزوقي : أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٢١هـ) ، الأزمنة و الأمكنة ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٣٢هـ ، ج ٢ ، ص ١٢٣ .
 - (٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٢٣ .
 - (٤) النويري : نهاية الإرب ، ج ١ ، ص ١٠٩ ؛ القلقشندي : أبي العباس أحمد (ت ٨٢١هـ) ، صبح الأعشى ، دار الكتب السلطانية ، القاهرة ، ١٣٣٨هـ - ١٩١٩م ، ج ١ ، ص ٤٦٦ ؛ الجاحظ : كتاب الحيوان ، ج ٤ ، ص ٤٦٨ ؛ جواد علي : المفصل ، ج ١٢ ، ص ٣٩١ .
 - (٥) ابو سويلم : أنور عليان ، المطر في الشعر الجاهلي ، ط ٧ ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٧م ، ص ١٦٠ .
 - (٦) النوري : قيس ، الأساطير وعلم الأجناس ، دار الكتب ، الموصل ، ١٩٨١م ، ص ١٩٢ ؛ وينظر الشوري : مصطفى عبد الشافي ، صورة الثور الوحشي ، (د.م.ط) ، ص ٢١ .

وقد جسد الشعر الجاهلي اعتقاد العرب في إقران الثور بالمطر و اشعال النار في طقوس الاستسقاء ، حيث يقول الشاعر :

وانقضّ كالدرى يتبعه **** نفع يثور تخاله طنباً

يخفى وأحياناً يلوح كما **** رفع المنير بكفه لها^(١)

ويعتقد أحد الباحثين أن الكبش الذي ذبحه إبراهيم عليه السلام و فدى به ابنه اسماعيل عليه السلام كما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى : (وَادْبِئْهُ أَنْ يَأْتِيَهُمْ ، قَدْ صَدَّقَت الرُّؤْيَا بِأَنَّكَ كَذَلِكْ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، إِنَّ هَذَا لَهُ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ، وَادْبِئْهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ)^(٢) هو (ثور سماوي) و ذلك طلباً للخصب في منطقة جذبة يشح فيها الماء ، وأن هذه طقوس استسقاء مبكر مورست في الجزيرة العربية ، كما أن لهذه القصة ما يماثلها في اسطورة الإله ميثرا و ذبحه للثور طلباً للخصب ، وفي الشق الثاني من رواية الافتداء بالكبش هو ارتباط قدسية ذبح الكبش السماوي الذي افترضناه ثوراً بقرني الكبش (الثور) اللذان علقا في جدار الكعبة ، وبقياً إلى أيام فتنة ابن الزبير ، كما أن معتقد قداسة الثور قد يسري على جلد الثور الذي كان مقدساً في القدم أو أن الكهنة و السدنة كانوا هم أول من استعمله كونه جزء من الثور الإلهي المقدس^(٣) .

وقد ظهر الثور بشكل محدود في الفنون النبطية ، كما عُثر في البتراء على عددٍ من المنحوتات التي تُمثّل رؤوس ثيران ، كما ظهر الثور مرافقاً للإله قوس في منحوتة من خربة التنور وقد أشار سترابو في جغرافيته إلى أن (ثيران الأنباط كبيرة) ، وقد كشفت الحفريات الأثرية التي أجريت في البتراء عن أدلة تؤكد أكل سكانها لحوم الأبقار ، ولكن بنسبة قليلة جداً مما يُشير إلى استخدامها للاستفادة من منتجاتها بشكل رئيسي ، كما عُثر أيضاً على بقايا عظمية بقرية في خربة النوافلة في وادي موسى ، وبيّنت الدراسات أن البقر المستهلك كغذاء كان من الذكور ، ما يعني أن الإناث كانت تترك لفترة متقدمة من العمر لغايات الاستفادة من منتجاتها الأخرى ، وعُثر أيضاً على بقايا محدودة لأبقار في حفريات المعبد الجنوبي ، ولكنها تعود للعصرين الروماني والبيزنطي ، ويبدو أن الأبقار كانت تُربى لعدة غايات منها الاستفادة من لحومها وألبانها وأجبانها وجلودها ، إضافة إلى استخدامها في الأعمال الزراعية المختلفة ، فهي تحتاج لبيناتٍ خاصةٍ لتربيتها لم تكن متوفرة كثيراً في العديد من مناطق المملكة النبطية ، كحاجتها إلى كمياتٍ من الأعلاف وقد لا يُستهان به من الموارد المائية^(٤) .

(١) ابن حجر : أوس (ت٢ق.هـ) ، الديوان ، تحقيق: محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ١٩٦٧م ، ص٣-٤ .

(٢) القرآن الكريم : سورة الصافات (١٠٤ - ١٠٧) .

(٣) سَمَار : تقديس الحيوان ، ص٢٠٨ .

(٤) السلامين : استهلاك و انتاج الطعام والشراب في الأنباط ، ص٣٢ .

ثالثاً : الغرباب :

من الحيوانات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم كما في قوله تعالى : (بَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ بُوَارِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ)^(١) وذلك في قصة ابني آدم عندما قتل أحدهما الآخر و عجز عن اخفاء جثته فأرسل الله تعالى له غراباً يعلمه كيفية دفن الميت ، وستتضح لنا أحداث القصة في الفصل الثالث لاحقاً .

والغرباب جنس طير من الجواثم يطلق على أنواع كثيرة : منها الأسود ، والأبقع ، والزاغ ، والغداف ، والأعصم ، والعرب يتشاءمون به إذا نعق قبل الرحيل ، وقد أباح الإسلام لنا أن نتفائل ، ونهى عن التشاؤم^(٢) .

وكنيته : أبو حاتم ، وأبو جحادف ، وأبو الجراح ، وأبو حذر ، وأبو زيدان ، وأبو زاجر ، وأبو الشؤم ، وأبو غياث ، وأبو القعقاع ، وأبو المر ، وأبو المرقال ، ويقال له : ابن الأبرص ، وابن بريح ، وابن دأية^(٣) .

لقد كان الغرباب من بين الحيوانات التي لها رهبة في نفوس العرب قبل الإسلام فقد كانوا يتطيرون منه ويعدونه مشؤماً عندهم ، فكانوا كلما ذكروا شيئاً يتطيرون منه ذكروا الغرباب معه وقد يذكرون الغرباب وحده فقط^(٤) ، وسبب تطيرهم من الغرباب هو أما لونه الأسود لسواده كما يتطيرون من الأبقع لاختلاف لونه ، ولأنه غريب يقطع عليهم وليس من الحيوانات التي في موقع خيامهم^(٥) ، لذا كانت الرهبة منه دافعاً لتقديسه لكي يتفادوا شؤمه ، ويدل على ذلك تقديس قبيلة عك اليمانية له ، فكانت تعتمد إلى تقديم غلامين أسودين من غلمانهم أمام قوافلهم عند خروجها للحج قبل الإسلام ، فيقول الغلامان : " نحن غرابا عك " فتقول قبيلة عك من بعدهما :

عكّ إليك عانية **** عبادك اليمانية

كيما نحج الثانية **** على السداد الناجية^(٦)

كما وجدت جذور عبادة الغرباب عند الإغريق الذين ربطوا بينه وبين (أبولوا) إله النبوة ، وكذلك الرومان كانوا يعتقدون أنه يستدعي سقوط المطر إذا مشى على الرمال^(٧) ، كما ورد في الروايات أن الغرباب هو الذي دلّ عبد المطلب جد النبي (ﷺ) على موقع بئر زمزم

(١) القرآن الكريم : سورة المائدة (٣١) .

(٢) عبد اللطيف عاشور : موسوعة الطير ، ص ٢٨٩ .

(٣) الدميري : حياة الحيوان الكبرى ، ص ١٢٧ ؛ عبد اللطيف عاشور : موسوعة الطير ، ص ٢٩٠ .

(٤) الجاحظ : الحيوان ، ج ٣ ، ص ٤٢ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٤٣٨ .

(٦) الكلبي : الأصنام ، ص ٧ ؛ وينظر ابن حبيب : أبي جعفر محمد (ت ٢٤٥هـ) ، المحبر ، ت. إيلزة ليحنت شتيترا ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ١٣٦١هـ - ١٩٤٢م ، ص ٣١٣ .

(٧) جيمس فرز : الفلكلور في العهد القديم ، ترجمة. د. نبيلة ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ١٩٧٢م ، ج ٢ ، ص ١٣٣ .

، فقد روي أن عبد المطلب رأى في المنام " فأتى في المنام مرة أخرى فقبل له احفر زمزم بين الفرث والدم عند نقرة الغراب في قرية النمل مستقبلة الأنصاب الحمر ، فقام عبد المطلب فمشى حتى جلس في المسجد الحرام ينظر ما سمي له من الآيات ، فنحرت بقرة بالجزور فانفلتت من جازرها بحشابة نفسها حتى غلبها الموت في المسجد في موضع زمزم ، فجزرت تلك البقرة في مكانها حتى احتمل لحمها ، فاقبل غراب يهوي حتى وقع في الفرث "(١) .

وذكر في تسميته أنها من الغربة والاغتراب والغريب(٢) ، وذلك بسبب تشاؤم الناس منه ، فلا شيء مما يتشاع به العرب إلا والغراب عندهم أنكذ منه ، فهم يرون في صياحه أخباراً ، كما كان العرب يتعايرون بأكل لحم الغراب ، وقد ورد ذلك في شعرهم فيما روي عن وعلة الجرمي أنه قال :

فما بالعار ما غيرتمونا **** شواء الناهضات مع الخبيص

فما لحم الغراب لنا بزد **** ولا سرطان أنهار البريص(٣)

والغربان من الأجناس التي أمر بقتلها في الحل والحرم ، وسميت بالفسق وهي فواسق إذ اشتق لها من اسم إبليس ، كما لها تأويل في رؤيا المنامات إذ يؤول رؤيا الغراب بالرجل الفاسق ، فقد ورد أن أحد الأشخاص رأى فيما يرى النائم أنه يسقط أعظم صومعه بالمدينة غراب ، فقال سعيد بن المسيب : يتزوج أفسق الفاسقين امرأة من أهل المدينة ، فلم يلبثوا إلا أياماً حتى تحققت تلك الرؤيا(٤) .

ونظراً لما للغراب من وجود تشاؤمي ومذموم في ثقافة العرب قبل الإسلام فقد كان له وجود في أمثالهم التي يتمثلون بها ومنها قولهم في المثل " لا يرجع فلان حتى يرجع غراب نوح " وهو مثل يطلقونه على من يأسوا من عودته ؛ وقيل في مثل آخر " بكر بكور الغراب " وقولهم " فلان أحذر من الغراب " وقولهم "دون هذا شيب الغراب " ، ويقال : " طار غراب " بمعنى : شاب ، وقالوا " أرض لا يطير غرابها "(٥) أي إنها أرض مشؤمة ؛ وقد انجر هذا الهم للغراب حتى على فراخه فهم يعدون فرخ الغراب أقبح صورة وأبغض وأقذر وأنتن من كل الحيوانات ، ويبعدوا أن هذه النظرة مصدرها النظرة السلبية باتجاه هذا الحيوان والهالة الاسطورية التي تعيش في مخيلتهم من التطير والتشاؤم ، فقد ورد في أساطيرهم عن حيلة الغراب وكيف أنه انتصر على الديك ، إذ خدعه وتلاعب به ورهنه عند الخمار وتخلص من الغرم ، وأغلقه عند الخمار فصار له الغنم وعلى الديك الغرم ، ثم تركه تركاً ضرب به المثل ، و الرواية ظاهرة في اسطوريته ، ولكن سياقها يوضح مدى حيلة الغراب وكيف احتال على الديك وأن العرب كانوا يتطيرون منه بسبب قباحة أفعاله ولؤمها(٦) .

(١) الأزرقي : أخبار مكة ، ج٢ ، ص٤٢ .

(٢) الدميري : حياة الحيوان الكبرى ، ص١٢٨ .

(٣) الجاحظ : كتاب الحيوان ، ج٢ ، ص٣١٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣١٧ .

(٥) عبد اللطيف عاشور : الموسوعة ، ص٢٨٩ .

(٦) الجاحظ : كتاب الحيوان ، ج٢ ، ص١٧٨ .

حتى أنهم أطلقوا عليه اسم (الأور) مع أنه صحيح العينين ولكن ذلك إنما تعودا أو تحاشياً لعينه فقد عرف عنه أنه حديد البصر فكانما تسميتهم له بهذا الاسم من باب الدعاء عليه بالعمى لكي لا يرى إبلهم ، إذ عرف عنه أنه أشد الطير على إبلهم من ذوات الدبر^(١) ، وقيل سموه أعور تفاؤلاً بالسلامة منه^(٢).

والغراب على أنواع غريبة كلها ، تنم عن نظرة العربي التشاؤمية اتجاه هذا الحيوان وقد لا يكون لها أصل علمي معرفي وإنما منشأها الاسطورة التي تعيش في ذهن الإنسان العربي قبل الإسلام ومنها :

- ١- غراب الليل : وهو الذي ترك أخلاق الغربان وتشبه بأخلاق اليوم .
 - ٢- غراب البين : وهو على نوعين (الأول غراب صغير معروف بالضعف واللؤم ! ، و الثاني كل غراب يتشائم به) وقد أطلقوا عليه هذه التسمية لأن الغراب إذا بان أهل الدار للنجعة وقع في مرابض بيوتهم يلتمس و يتقمم ، فيتشائمون به ويتطيرون منه ، إذ كان لا يعترى منازلهم إلا إذا بانوا ، فسموه غراب البين .
 - ٣- الغدافان : وهو جنس من الغربان ، وهي لئام جدا^(٣).
 - ٤- الغراب الأعصم : عزيز الوجود ، ولذلك قالت العرب : " أعز من الغراب الأعصم " وهو الذي إحدى رجليه بيضاء^(٤).
- ومن طبائع الغربان أن الأنثى تبيض أربع بيضات وخمسا ، وإذا خرجت الفراخ من البيض طردتها ، وعلى الأنثى أن تحضن البيض ، وعلى الذكر أن يأتيها بالطعام ، وفي طبعه ألا يتعاطى الصيد ، بل إن وجد جيفة أكل منها وإلا مات جوعا ، ويتقمم كما يتقمم ضعاف الطير ، وفيه حذر شديد ، وتنافر ، والغداف منه يأكل اليوم ويخطف بيضها ويأكله ، وقالوا فيه أيضاً : الغراب من لئام الطير ، وليس من كرامها ، ولا من أحرارها ، ومن شأنه أكل الجيف والقمامات ، ولما كانت العرب تتشائم بالغراب اشتقوا من اسمه الغربة ، وغراب البين الأبقع قيل فيه : هو الذي فيه سواد وبياض ينوح نوح الحزين المصاب ، وينعق بين الخلان والأحباب ، إذا رأى شملا مجتمعا أنذر بشتاته^(٥) ؛ ويبدو أن مشكلة الغراب لها أثر حتى في الثقافة الإسلامية إذ أن الفقهاء اختلفوا في حكم أكله أهو حلال أم حرام ، وقد أجاز بعضهم أكله و حرّمه الآخرون^(٦) ، علماً أن منشأ التحريم عندهم معتمداً على نفس الثقافة التشاؤمية من هذا

(١) الجاحظ : كتاب الحيوان ، ج ٣ ، ص ٤٣٩ .
(٢) عبد اللطيف عاشور : الموسوعة ، ص ٢٩١ .
(٣) الجاحظ : كتاب الحيوان ، ج ٢ ، ص ٣١٦ .
(٤) عبد اللطيف عاشور : الموسوعة ، ص ٢٩٠ .
(٥) عبد اللطيف عاشور : الموسوعة ، ص ٢٩٠ .
(٦) قال الشيخ الطوسي : يكره أكل الغربان إطلاقاً ، وتبعه ابن البراج ، وقال أيضاً : الغراب كله حرام على الظاهر في الروايات ، وقد روي في بعضها رخص وهو (الزاغ) وهو : غراب الزرع ، والغداف وهو : أصغر منه أغبر اللون كالرماد ، وقال الشافعي : الأسود والأبقع حرام ، والزاغ والغداف على وجهين : أحدهما : حرام ، والثاني : حلال ، وبه قال أبو حنيفة ، ودليلنا : إجماع الفرقة وعموم الأخبار في تحريم الغراب ، وطريقة الاحتياط يقتضي ذلك أيضا ، وقال في المبسوط : ما لا مخلب له يعني (من الطير) مستخبث وغير مستخبث ، فالمستخبث ما يأكل الخبائث كالميتة ونحوها فكلها حرام وهو : النسر والرخم والبعاث والغراب ونحو ذلك عندنا وعند جماعة ، فروي أن النبي (ﷺ) أتى بغراب فسماه فاسقا فقال : ما هو والله من الطيبات ، والغراب على أربعة أضرب : الكبير الأسود الذي يسكن الجبال ويأكل الجيف ، والثاني : الأبقع ، فهذان حرامان ، والثالث الزاغ وهو : غراب الزرع ، والرابع الغداف وهو : أصغر منه أغبر اللون كالرماد قال قوم : هو حرام لظاهر الأخبار وقال آخرون : هو مباح ، وهو الذي ورد في روايتنا . ينظر العلامة الحلي : ابن المطهر الأسدي (ت ٧٢٦هـ) ، مختلف الشيعة ، ط ٢ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ج ٨ ، ص ٢٨٧ .

الطائر كما يتضح من الأحاديث المروية فيه ، فقد روى هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت : إنى لأعجب ممن يأكل الغراب ، وقد أذن النبي (ﷺ) في قتله للمحرم ، وسماه فاسقا ، والله ما هو من الطيبات^(١).

رابعاً : الخيل :

ورد ذكر الخيل في عدة نصوص قرآنية منها قوله تعالى (رَبِّ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَآئِ) (٢).

الخَيْلُ والخِيَلَاءُ والخِيَلَاءُ والأَخْيَلُ والخَيْلَةُ والمَخِيلَةُ ، كُلُّهُ : الكِبَرُ ، وقد اُخْتَالَ وهو ذو خِيَلَاءٍ وذو خَالٍ وذو مَخِيلَةٍ أي ذو كِبَرٍ^(٣) ، قال تعالى : (إِنِ اللَّهُ لَا يَجِبُ كُلَّ مِثْقَالِ فُخُورٍ)^(٤) والخَيْلُ : الفُرسَان^(٥) ، وفي التنزيل العزيز : (وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ)^(٦) ، أي بفرسانك ورجالتك^(٧) ، : الخِيُولُ ، وفي التنزيل العزيز : (وَالْخَيْلَ وَالْغِالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا)^(٨) ؛ وهو جماعة الأفراس ، لا واحد له من لفظه ، كالقوم والرهط والنفر ، وقيل مفرده خائل ، وهي مؤنثة والجمع خيول ، وتصغيرها خييل ، وسميت الخيل خيلاً لاختيالها في المشية فهو على هذا اسم للجمع عند سيبويه^(٩) ؛ وهي من الثدييات الحافرية فصيلة الخيل ، يسمى الذكر منها (حصان)^(١٠) ، وتسمى الأنثى (فرس) وقيل الفرس هو اسم يطلق على الذكر والأنثى على حدٍ سواء ، وقيل إن الأنثى تسمى فريسة بالهاء ولفظها مشتق من الافتراس ، لأنها تفترس الأرض بسرعة مشيها ، وراكب الفرس يدعى فارس^(١١) ، ويكفي في شرف الخيل أن الله تعالى أقسم بها في كتابه في قوله تعالى : (والعاديات ضبحاً)^(١٢) وهي خيل الغزو التي تعد فتضبح أي تصوت بأجوافها ، و يقول الشاعر :

أحبوا الخيل واصطبروا عليها **** فإن العز فيها والجمالا
إذا ما الخيل ضيعها أناس **** ربطناها فأشركت العيالا

(١) الهيثمي : مجمع الزوائد ، ج ٤ ، ص ٤٠ .

(٢) القرآن الكريم : سورة آل عمران (١٤) .

(٣) ابن منظور : لسان العرب ، ج ١١ ، ص ٢٢٨ .

(٤) القرآن الكريم : سورة لقمان (آية ١٨) .

(٥) مسعود : المعجم الرائد ، ص ٣٤٩ .

(٦) القرآن الكريم : سورة الإسراء (آية ٦٤) .

(٧) ابن منظور : لسان العرب ، ج ١١ ، ص ٢٣١ .

(٨) القرآن الكريم : سورة النحل (آية ٨) .

(٩) مسعود : المعجم الرائد ، ص ٣٤٩ .

(١٠) الدميري : حياة الحيوان الكبرى ، ص ٥٢ .

(١١) الدميري : حياة الحيوان الكبرى ، ص ١٣٣ .

(١٢) القرآن الكريم : سورة العاديات (آية ١) .

نقاسمها المعيشة كل يوم **** ونكسوها البراقع والجلالا^(١).

وروي أنه كان لحمزة بن عبد المطلب عم رسول الله (ﷺ) فرس يقال له (الورد) قال فيه :

ليس عندي إلا السلاح و ورد **** تارح من بنيات ذي العقال

أتقي دونه الحروب بنفسي **** وهو دوني يغشى صدور العوالي

جرشع ما أصابت الحرب منه **** حين تحمي أبطالها لا أبالي

وطرير كأنه قرن ثور **** ذاك لا غبر ذاكم جل مالي

وإذا ما هلكت كان تراثي **** وسجالاً محموداً من سجالي^(٢).

وتعد الخيل من الحيوانات التي تكرر ذكرها في أكثر من آية ولكل ذكر منها توظيف ومعنى مختلف عن غيره ففي قوله تعالى (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ)^(٣) أشار إلى رغبة الإنسان لها كونها من مظاهر الزينة ، أما في قوله تعالى (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ)^(٤) فقد أشار إلى أهمية استخدامها في الجوانب العسكرية لما لها من سرعة في الحركة و المباراة ، أما في قوله تعالى (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)^(٥) فقد أوردها لبيان أهميتها في الجوانب الخدمية من النقل و غيرها ، وفي قوله تعالى أيضاً (وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ)^(٦) فقد ورد ذكرها في بيان الحكم الشرعي للغنائم التي تصاب بدون قتال . وللخيل نصيب في المثل العربي فقد ورد في الأمثال : الخيل ميامين أي مباركات ، و قيل أيضاً : الخيل أعلم بفرسانها^(٧).

وزعم ابن سلام الجمحي أنه لم ير قط بلقاء ولا أبلق جاء سابقاً ، وقال الاصمعي : لم يسبق الحلبة أهضم قط ، لأنهم يمدحون المجفر من الخيل^(٨).

ويعد الفرس أحسن الحيوانات شكلاً بعد الإنسان و أرشد الدواب عدواً وذكاءً ، وله خصال حميدة وأخلاق مرضية ، وله صفاء اللون وحسن الصورة وتناسب الأعضاء ، وحسن

(١) الميمري : حياة الحيوان الكبرى ، ص ٥٢

(٢) ابن الأعرابي : أبي عبد الله محمد بن زياد (ت ٢٣١هـ) ، أسماء خيل العرب وفرسانها ، ط ١ ، شركة نوايع الفكر ، ٢٠٠٨م ، ص ٥ .

(٣) القرآن الكريم : سورة آل عمران (١٤) .

(٤) القرآن الكريم : سورة الأنفال (٦٠) .

(٥) القرآن الكريم : سورة النحل (٨) .

(٦) القرآن الكريم : سورة الحشر (٦) .

(٧) الميمري : حياة الحيوان الكبرى ، ص ٥٢ .

(٨) الجاحظ : كتاب الحيوان ، ج ٣ ، ص ٢٥٢ .

طاعته للفارس كيف شاء صرفه وانقاد له ، ومن الخيل ما لا يبول ولا يروث ما دام الراكب عليها^(١) ؛ ومن طبعها أيضاً الزهو والخيلاء والسرور بنفسه والمحبة لصاحبه ، ومن أخلاقه الدالة على شرف نفسه وكرمه أنه لا يأكل بقية علف غيره^(٢) ؛ وقيل الفرس أشبه الحيوان بالإنسان ، لما يوجد فيه من الكرم وشرف النفس وعلو الهمة^(٣) ، ويقول الهميري : " وترعم العرب أنه كان وحشياً ، وأن أول من روضه وركبه إسماعيل عليه السلام " ^(٤) .

ونتيجة لما تحمله الخيل من مزايا جميلة في طبيعتها فقد كان نبي الله سليمان عليه السلام يحبها بشكل كبير ، فقد ذكر أن جماعة من الأزديين من أهل عمان قدموا عليه بعد زواجه من بلقيس ملكة سبأ فسأله عما يحتاجون إليه في أمر دينهم ودنياهم حتى قضوا من ذلك ما أرادوا ، وعندما توجهوا للانصراف قالوا له : " يا نبي الله إن بلدنا شاسع وقد أنفضنا من الزاد ، مر لنا بزاد يبلغنا إلى بلادنا ، فدفع إليهم سليمان فرساً من خيله ، من خيل داود ، قال : هذا زادكم ، فإذا نزلتم فاحملوا عليه رجلاً ، وأعطوه مطرداً ، وأوروا ناركهم ، فإنكم لن تجمعوا حطبكم و توروا ناركهم حتى يأتاكم بالصيد ، فجعل القوم لا ينزلون منزلاً إلا حملوا على فرسهم رجلاً بيده مطردٌ واحتطبوا وأوروا ناركهم فلا يلبث أن يأتيتهم بصيد من الطباء والحرمر فيكون معهم منه ما يكفيهم ويشبعهم ويفضل إلى المنزل الآخر ، فقال الأزديون : ما لفرسنا هذا اسم إلا (زاد الراكب) فكان ذلك أول فرس انتشر في العرب من تلك الخيل " ، فلما سمعت قبيلة تغلب به أتوهم فاستطرقوهم فأولدوا من زاد الراكب فرس عرف بـ (الهجيس) فكان أفضل من زاد الراكب ، فما سمع بنو بكر بن وائل بذلك ، أتوا تغلب فاستطرقوهم أيضاً فأولدوا من الهجيس (الديناري) فكان أجود من الهجيس ، وهكذا بقية القبائل العربية كانوا كلما سمعوا بخيل أصيل في مكان ما قصدوه ليولدوا منه خيولهم لكي يتحسن النوع ، ومن خلال ذلك انتشرت الأنواع الجيدة من الخيل و التي أطلق عليها العرب تسميات متعددة وصار ينسب لها مجموعة الخيل المنحدرة منها ، ومن أبرزها أيضاً (سَلَّ وسودة و فياض و قسامة)^(٥) ، ومن أراد التفصيل أكثر عن أنواع واسماء الخيل يراجع كتاب نسب الخيل لابن الكلبي المتوفي (٢٠٦ هـ - ٨٢٦ م) وكتاب الخيل لأبي عبيدة المتوفي (٢٠٩ هـ - ٨٣٠ م) .

وقد ذكر ابن الإعرابي (ت ٢٣١ هـ - ٨٤٥ م) أسماء الخيل لكل قبيلة ومنطقة بحسبها فقد ذكر من خيل قريش (اليعسوب و معروف و ذو الخمار) وهن للزبير بن العوام (ت ٣٦ هـ - ٦٥٦ م) ، و (ذو العنق) وهو للمقداد بن عمرو (ت ٣٣ هـ - ٦٥٣ م) ، وفرس اسمه (الأجل) لأبي ذر الغفاري (ت ٣٢ هـ - ٦٥٢ م) ، وفرس يدعى (العود) لسراقة بن مالك (ت ٢٤ هـ - ٦٤٥ م) وقيل لأبي بن خلف (ت ٣ هـ - ٦٢٥ م) ، وفرس يقال له (مجاح) وهو لأبي جهل بن

(١) القزويني : عجائب المخلوقات و غرائب الموجودات ، ص ١٧٤ .
(٢) الهميري : حياة الحيوان الكبرى ، ص ١٣٤ ؛ النويري : نهاية الإرب ، ج ١١ ، ص ١٤ .
(٣) عبد اللطيف عاشور : موسوعة الطير والحيوان ، ص ١٧٣ .
(٤) أبو هلال العسكري : الحسن بن عبد الله بن سهل (ت) ، كتاب الأوائل ، ت. د. محمد السيد الوكيل ، ط ١ ، دار البشير ، طنطا - مصر ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م ، ص ٢٠٨ .
(٥) ابن الكلبي : هشام محمد بن السائب (ت ٢٠٦ هـ) ، نسب الخيل ، ت. د. نوري حمودي القيسي و د. حاتم صالح الضامن ، المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م ، ص ٢٦-٢٧ .

هشام (ت ٢هـ - ٦٢٤م) ، وفرس يقال له (النعامه) وهو لمسافع بن عبد العزى (ت ٣٦هـ - ٦٥٦م)^(١)، فضلاً عن أسماء كثيرة لا مجال لذكرها هنا .
ومما ذكر من خيل الأنصار فرس يقال لها (لماع) لعباد بن بشر (ت ١٢هـ - ٦٣٣م) ،
ومن خيل بني أسد فرس يقال لها (المنيحة) لدثار بن فقّس^(٢) والتي قال فيها :
قرباً مربط المنيحة مني **** شبت الحرب للصلاء سعاراً
ومن خيل بني ضبة فرس يقال له (الفينان) وهي لقراة بن عوية الضبي^(٣) والذي قال
فيه :

إذا الفينان ألحقني يقوم **** فلم أطعن فشلت إذاً بناني
وذكر من خيل بني سعد بن زيد مائة بن تميم فرس يقال له (الرقيب) للزبرقان بن بدر (ت ٤٤هـ - ٦٦٥م) قال فيه :

إن الرقيب أدأويه وأصنعه **** عاري النواحق لا جاف ولا قفر
وكذلك ورد اسم فرس يقال له (سكاب) وهو من خيل بني عمرو بن تميم ، و(ذو العقال)
وهو من خيل بني حنظلة ، و(الفهدة) وهي لبني باهلة ، و(الفرافر ، العضوض) وهما من خيل
غطفان ، و(الزعران) وهي من خيل بني سليم ، و(أعوج) وهو من خيل بني هلال من هوازن
، و(الصفراء) وهي من خيل ضبيعة بن نزار ، و(الحمالة) وهي من خيل عنزة بن أسد ،
و(الكامل) وهو من خيل بني شيبان ، ومن خيل اليمن ذكر (المعلّى) وهو فرس الأسعر بن مالك
الجعفي^(٤) ، و(رعشن) وهو لسلمة بن يزيد الجعفي^(٥) ، ومن خيل همدان (سكاب) وهو للأجدع
بن مالك^(٦) ، وغير ذلك الكثير من أسماء الخيول عند العرب قبل الإسلام والتي انصرف
بعضها إلى العصر الإسلامي ، ومن أراد التفصيل في ذلك فليراجع^(٧) .
ومما قالته العرب في اتخاذ الخيل وصيانتها وأثرتها لما كانت لهم فيها من المكرمة والعز
والجمال قول الأسعر بن حمران يذكر فضل الخيل :

- (١) ابن الإعرابي : أسماء الخيل وفرسانها ، ص ٥-٦ .
- (٢) هو راعي امرئ القيس ، وهو دثار بن فقّس بن طريف من بني أسد . ينظر البغدادي : عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ) ، خزائن الأدب ، ت. محمد نبيل طريفي وأمّيل بدیع يعقوب ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٨م ، ج ١١ ، ص ١٨٨ .
- (٣) أحد بني ضبة ، لم نقف على ترجمته .
- (٤) شاعر : هو أبو زهير محمد وهو من القلائل الذين كان اسمهم محمد ، وقيل هو مَرْتَد بن حمران بن أبي حُمُران ، بن معاوية بن الحارث بن مالك بن عوف بن سعد بن عوف بن حَرِيم بن جُعْفَى ابن الشاجي بن سعد العشيرة بن مالك بن أد ، ومعنى الأسعر : القليل اللحم ، الظاهر العصب ، الشاحب اللون ، لم يدرك الإسلام ولقبه امرؤ القيس بالشويعر ببيت قاله . ينظر الصاغاني : الحسن بن محمد بن الحسن (ت ٦٥٠هـ) ، الشوارد ما تفرد به بعض أئمة اللغة ، ت. مصطفى حجازي ومحمد مهدي علام ، ط ١ ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ص ١٣١ .
- (٥) سلمة بن يزيد الجعفي ويقال : يزيد بن سلمة ، والأول أصح ، كوفي له صحبة. المزي : جمال الدين أبي الحجاج (ت ٧٤٢هـ) ، تهذيب الكمال ، ت. د. بشار عواد معروف ، ط ٤ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م ، ج ١١ ، ص ٣٢٩ .
- (٦) الأجدع بن مالك بن أمية الهمداني الوداعي : ذكر بن مأكولا أنه مخضرم وذكر أبو عبيد البكري في شرح أمالي القاضي أنه شاعر جاهلي إسلامي وفد على عمر بن الخطاب وكان من الفرسان المذكورين وهو والد مسروق بن الأجدع فسماه عمر عبد الرحمن قال بن الكلبي جده أمية هو بن عبد الله بن جزء بن سلمان بن يعمر بن الحارث بن سعد عبد الله بن وادعة بن عمرو بن عامر بن ناشج بن قانع بن مالك بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان كان شاعراً وقد رأس وفد على عمر وهلك في أيامه . ينظر ابن حجر : الإصابة ، ج ١ ، ص ١٠٨ .
- (٧) ابن الإعرابي : أسماء الخيل وفرسانها ، ص ١٢-٤٥ .

راحوا بصائرهم على أكتافهم **** وبصيرتي يعدو بها عتد وأى
أما إذا استقبلته فكأنه **** بازٍ يكفكف أن يصير وقد رأى
أما إذا استدبرته فترى له **** ساقاً قموص الوقع عارية النسا
أما إذا استعرضته متمطراً **** فتقول هذا مثل سرحان الغضا
إني رأيت الخيل عزاً ظاهراً **** تنجي من الغمّا ويكشفن الدجى
ويبتن بالثغر المخوف طلائعاً **** ويثبن للصعلوك جمّة ذي الغنى
يخرجن من ظلل الغبار عوابساً **** كأصابع المقرور أفعى فاصطلى
ولقد علمت على تجنبني الردى **** أن الحصون الخيل لا مدرّ القرى^(١)

وذكر أن الخيل نوعان (عتيق و هجين) والفرق بينهما أن الهجين عظمه أضخم من عظم
الفرس الأصيل ، ولكن عظم الفرس أصلب و أثقل ، وهناك فرق آخر أيضاً وهو أن الهجين
أحمل من الفرس الأصيل ولكن الفرس أسرع من الهجين ، أما العتيق فهو من كان أبواه فرسين
أصيلين عربيين ، فقليل أن الفرس الأصيل بمنزلة الغزال ، أما الهجين فهو بمنزلة الشاة^(٢) .

ولللخيل منافع كثيرة يذكر الجاحظ بعضها بقوله : " ... الخيل والإبل ، وفيها من خصال
الشرف والمنافع الغناء في السفر والحضر ، وفي الحرب والسلام ، وفي الزينة والبهاء ، وفي
العدد والعتاد ... " ^(٣) ، وهذا الأمر يلحظ بوضوح سواء في العصر قبل الإسلام والعصر
الإسلامي .

وذكر أن أنواع الخيل عشرة وهي (المجلى ، المصلّى ، التّالي ، البارح ، المرتاح ،
الحظي ، العاطف ، المؤمل ، السكيت ، الفسكل) ^(٤) .

وكانت خيل رسول الله (ﷺ) هي : (السّكب ، المرتجز ، اللّحيف ، اللّزاز ،
ملاوح ، الضّرّس ، الورد) ، كما كان للخيّل وجوداً في ثقافة العربي الماورائية ، وهي قضية
تفسير الأحلام ، حيث قيل أن رؤية الخيل في المنام تفسر بالقوة و الزينة و العز ، وهي أشرف
ما ركب من الدواب^(٥) .

(١) أبي عبيدة : معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ) ، كتاب الخيل ، ط١ ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد
- الهند ، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٦م ، ص ١١ .

(٢) النويري : نهاية الإرب ، ج ١١ ، ص ١٤ ؛ عبد اللطيف عاشور : موسوعة الطير والحيوان ،
ص ١٧٣ .

(٣) كتاب الحيوان ، ج ٧ ، ص ١٢٠ .

(٤) النويري : نهاية الإرب ، ج ١١ ، ص ٧ - ١٥ .

(٥) عبد اللطيف عاشور : موسوعة الطير والحيوان ، ص ١٧٤ .

وأما علامات الأصالة لدى الخيل بشكل عام فهي : طول الأذن والعنق و الذراع ، وقصر الساق والظهر و العسيب ، وعرض الجبهة والمنخر والجوف ، وصفاء الأديم و العينان والحافر^(١) .

ونتيجة لحب العربي للخيـل سواء أكان ذلك قبل الإسلام أم بعده فقد أعطـا الخيل مكانة في حياته الاجتماعية و الأدبية ، وبالخصوص في الشعر العربي ، فقد كانت الفروسية تحتل مكانة عالية عند العرب ، والفارس مقدم على الشاعر عندهم ، فالفروسية كانت ولا زالت معينا عذبا للشعراء يستقون منه موضوعاتهم ومعانيهم^(٢) ، وهذا التقدم نابع من طبيعة النفس البشرية المجبولة على حب الشجاعة والاقدام^(٣) ، ولعل عنتره بن شداد من أبرز مصاديق الفروسية قبل الإسلام^(٤) .

لقد عرف عن العصر الجاهلي كثرة الشعراء الفرسان ، وهذه الكثرة تعود بالدرجة الأولى إلى طبيعة الحياة ، فحياة الجاهلي قائمة على الحروب ، ولقد قرن ابن سلام كثرة الشعر بالحروب بقوله " : وإنما كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء ، نحو حرب الأوس والخزرج ، أو قوم يغيرون ويغار عليهم ، والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم ثائر ، ولم يحاربوا ، وذلك الذي قلل شعر عمان وأهل الطائف^(٥) .

لهذا كان العرب في العصر الجاهلي يعلفون خيولهم اللحم والتمر والنوى بدلاً من العشب ويسقونها اللبن عوضاً عن الماء وقد حافظ العرب على هذا التقليد عبر القرون فكان مربو الخيل في منطقة نجد يطعمونها اللحم بدل العشب ، وعن سوء موافقة أكل اللحم للخيـل ، قال النمر بن تـولـب :

من آياته هذا القمر *** والشمس والليل وآيات أخر

إنا أتيناك على بعد السفر *** نقود خيلاً ضمراً فيها ضرر

نطعمها اللحم إذا عز الشجر *** والخيـل في إطعامها اللحم عسر^(٦)

أقدم الشواهد على وجود الحصان المدجن في اليمن ، فترجع إلى مرحلة عصور ما قبل التاريخ ، وهي عبارة عن رسوم صخرية كشف عنها في مواقع شعب عمير في كتاف من نواحي صعدة ، ومنها منظر يصور خيول يعتليها فرسان في مشهد حرب أو صيد ، ومنظر آخر يبدو أنه أقدم يمثل معركة يظهر فيها فرسان يحملون الرماح ، وترجعه مديحه رشاد بناء

-
- (١) النويري : نهاية الإرب ، ج ١١ ، ص ١٥ .
 - (٢) اللهبي : منى بنت بخيت بن عوييد ، الفروسية في الشعر العربي ، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، السعودية ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ، ص ٥ .
 - (٣) اللهبي : الفروسية في الشعر العربي ، ص ١٠ .
 - (٤) الطيب : عبد الله ، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٠ هـ ، ج ٣ ، ص ٨٥٦ .
 - (٥) الجمحي : محمد بن سلام (ت ٢٣٢ هـ) ، طبقات فحول الشعراء ، قرأه وشرحه : محمود محمد شاكر ، (د.م.ط) ، ج ١ ، ص ٢٥٩ .
 - (٦) باعليان : محمد عوض منصور ، حيوانات النقل والحرب في اليمن القديم ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب - جامعة عدن ، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م ، ص ١٣٣ .

على أسلوب ونمط الرسم إلى فترة العصر البرونزي المبكر أو الوسيط في جنوب الجزيرة ، الذي يؤرخ بين الألف الثالث والثاني ق.م^(١).

وفيما يخص المصادر التاريخية ، فقد تضاربت في تحديد الزمن الذي ظهر فيه الخيل في العربية الجنوبية ، وأقدم إشارة إليه ترجع إلى القرن العاشر ق.م. ، فأول إشارة صريحة إلى الحصان في العربية الجنوبية جاءت في نص مسماري مؤرخ بسنة ٧٣٨ ق.م. ، أما معرفة الخيل في اليمن القديم فلا تسبق القرن الأول الميلادي ، أو بين نهاية القرن الثالث إلى القرن الأول ق.م. فإن دخول الخيل إلى جنوب الجزيرة يعود إلى منتصف القرن الأول الميلادي^(٢).

بمعنى آخر أن تاريخ دخول الخيول عبر البحر يسبق تاريخ ظهور أقدم ذكر لها في النقوش كحيوان حرب في الجيش اليمني القديم ، وذلك على الأقل بـ ٣٠ أو ٤٠ سنة ، وهي فترة لا بد وأنه تم خلالها تربية وتنمية أعداد الخيول وتأهيلها قبل دخولها في خدمة قوات جنوب الجزيرة العربية في نهاية القرن الأول الميلادي ، وقد شهدت فترة القرنين الثالث والرابع توسع رقعة الدولة الحميرية جغرافياً وسياسياً ، ما أدى كما يبدو إلى زيادة الطلب على الخيول لتلبية الحاجة الملحة لسلاح الفرسان ، لهذا لا يستبعد حدوث عمليات استيراد أخرى للخيول من خارج البلاد خلال تلك الفترة ، ففي سياق ذي صلة ، ذكرت مصادر منتصف القرن الرابع ان ملك حمير- يرجح انه إما ثاران يهنعم بن زما علي يهبر او ابنه ملكيكر ب يهامن الذي كان على عرش المملكة سنة (٣٥٠ - ٣٨٥م) استقبل وفداً من الامبراطور قسطنطين الثاني سنة ٣٦١م محملاً بهدايا كان من بينها "مئتا حصان... نقلت إليه في مراكب مخصصة للخيول"^(٣).

ومن ناحية أخرى ، أظهرت إحدى المنحوتات الفارسية على الصخر الملك بهرام الثاني سنة (٢٧٥ - ٢٨٣م) وهو يستقبل في بيشاور وفداً عربياً حميرياً ، ويصور المشهد الملك واقفاً يمسك بلجام حصان إلى جواره ويتقدم نحو وفد عربي يرتدي الملابس اليمنية ويخطم عددًا من الخيول تشبه حصان الملك ، وهو ما يوحي بأنها ربما تكون مهداة من بهرام إلى أعضاء الوفد ، وقد يكون العكس صحيحاً ، حيث يرى البعض أن المنظر يصور البعثة التي أرسلها ملك حمير شمر يهرعش - الذي حكم في نفس الفترة - إلى البلاط الساساني والتي ذكرتها نقوش المسند^(٤).

يبدو أن تربية الخيل كانت مكلفة ، لهذا اقتصر ملكيتها على الموسرين من العرب وهو ما يفسر تدني أعداد الخيل في وسط بلاد العرب ، ففي بداية القرن السابع الميلادي مثلاً ، نجد أن المسلمين اشتركوا في معركة بدر بفرسين مقابل مئتي فرس في قوة قريش^(٥).

(١) رشاد و اينزان : مديحة وماري ، التسلسل الزمني وأنماط فن الرسوم الصخرية ، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء ، ٢٠٠٧م ، ص ١١٢ .

(٢) الحداد : فتحي عبد العزيز ، الخيل في نصوص وآثار شبه الجزيرة العربية القديمة ، مجلة كلية الآثار ، عدد ١٤ ، جامعة القاهرة ، ٢٠١٠م ، ص ٨٦ .

(٣) Robin. Et. Theyab. (2002) Arabie antique: aux origines d'une passion, in Chevaux et Arabes dans les Arts d'Orient et d'Occident, Institut du monde arabe .
Cavaliers et Éditions Gallimard, P.29 .

4) Overlaet. B., 2009: A Himyarite Diplomatic Mission to the Sasanian Court of Bahram II, Depicted at Bishap , AAE.20, P.118 .

(٥) باعليان : حيوانات النقل في اليمن القديم ، ص ١٣٤ .

أما عن عبادة الخيول فلم تكن معروفة في البلاد العربية إلا ما ندر ، فقد ذكر أن قوما في البحرين يعرفون بالأسبديين^(١) كانوا يعبدون الخيل ، وقيل أنعم ليسوا عرب وإنما هم من المجوس الذين استوطنوا البحرين عندما كانت البحرين تحت نفوذهم ، فكان هؤلاء يعدون مسلحة عسكرية للدولة الفارسية آنذاك^(٢).

أما عن الأنباط فلم تكن هناك إشارات واضحة عن اهتمامهم بالخيول إلا أن ملوكها وصفوا بقدرتهم على تجييش الآلاف من الفرسان ، وإن كانت هذه الإشارة تتعارض مع ما أورده أسترابون عن بلاد الأنباط عندما وصفها قائلاً : " لا تنتج الخيول " ، إلا أن هذا الوصف قد لا يعني عدم وجود الخيل في الأنباط وإنما قد يقصد بذلك أنها لا تهتم بتربية الخيول ، أما وجودها فيمكن أن يأتي من خلال المتاجرة مع البلدان المجاورة للأنباط ، خصوصاً أن منطقة الأنباط كانت قائمة على التجارة أساساً بسبب موقعها الجغرافي^(٣).

خامساً : الحمير و البغال :

قال تعالى في كتابه الكريم : (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)^(٤) ، إشارة إلى أهميتها الخدمية للإنسان في كل زمان .

عرفت منطقة الشرق القديم^(٥) الحمار البري والحمار المستأنس ، ويرى العديد من الباحثين أن الحمار قد استئسن في أفريقيا خلال الألف الخامسة قبل الميلاد ، وكان يُستخدم بشكل أساسي في النقل ، وكان حليب الأتُن (إناث الحمير) يشرب في العديد من الدول ، حيث تُصنع أغلى الأجبان في العالم من حليب الأتُن ، واستخدم حليب الحمير قديماً لغايات جمالية ، حيث كانت تستخدم هذا الحليب للحفاظ على جمال البشرة ، فقد استخدمته كليوباترا^(٦) للحفاظ على نظارة وجهها ، وكانت بوبيا زوجة الإمبراطور الروماني المشهور نيرو تستخدم وتغسل وجهها بحليب

(١) هم ولد عبد الله زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وقيل لهم " الأسبديون " لأنهم كانوا يعبدون فرساً ، والفرس بالفارسية اسمه أسب زادوا فيه ذالاً تعريباً ، وقيل كانوا يسكنون مدينة يقال لها " أسبذ " بُعْمان فُتُسِبوا إليها ، وقيل معنى " الأسبديون " أي : الجماع ، وهم من بني عبد الله بن دارم منهم المنذر بن ساوى صاحب هَجَرَ الذي كاتبه رسول الله . ينظر الحموي : ياقوت ، ج ١ ، ص ١٧١ .

(٢) جواد علي : المفصل ، ج ١١ ، ص ٦١ .

(٣) باعليان : حيوانات النقل في اليمن القديم ، ص ١٢٥ .

(٤) القرآن الكريم : سورة النحل (٨) .

5) Karlovsky and Jeremy A. Sabloff. Benjamin-Cummings: Ancient Civilizations, The Near East and Mesoamerica. C. C. Lamberg-, Menlo Park, California, (1979) Pp 4 .

(٦) هي آخر ملوك البطالسة و ابنة بطليموس الثاني عشر . وقد خلفته كملكة سنة ٥١ ق.م مشاطرة العرش أخاها بطليموس الثالث عشر . وقد وُصِفَتْ بأنها كانت جميلة وساحرة . على تقيض ماتبرزها الصور التي وصلت إلينا . أما الرجال الذين وقعوا في غرامها فقد أسرتهم بشخصيتها القوية الطريفة وبنكائها ودهائها ، ولكنها انتحرت عام ٣٠ ق.م بعد سقوط دولتها بيد الرومان في معركة أكتيوم . مجمع الكنائس الشرقية : قاموس الكتاب المقدس ، ط ٦ ، مكتبة المشغل ، بيروت ، ١٩٨١ م ، ص ٩٠١ .

الأثن ، ووصفه أبو قراط لعلاج عدد من الأمراض ، ويذكر بليني أن لحم الحمار كان يؤكل في العصر الروماني ، كما كان حليب الأثن يُشرب خلال تلك الفترة ، ولكنه لم يكن شائعاً كثيراً ، حيث كان يفضل استخدام الحمير في النقل والأعمال الزراعية المختلفة كالحرثة^(١) ، ولعل ما تقدم يفسر لنا سبب كثرة وجود الحمير في البلاد العربية ، فقد ذكرت النقوش المسندية أن الملك (وافي أنرح)^(٢) عندما غزا قبائل البدو غنم منهم ثلاث مائة بعير وألف وثلاث مائة من البقر ومنتين وسبعين من الحمير وعشرة آلاف من الغنم^(٣) .

ينتمي الحمار إلى عائلة الخيليات وعرفت منه فصيلتان أساسيتان في منطقة الشرق القديم ، هما (الحمار البري و الحمار الأهلي) ، وعرف الحمار البري باسم (الاخدر)^(٤) نسبة إلى فحل من سلالته ، كما عرفت لها أسماء أخرى مثل (النوص و الفراء^(٥) ؛ و بنات صعدة و الأتان و بنات الاخدر) ، ونسبت بعض الحمير إلى مواطنها الأصلية مثل (الحمار الفارسي) الذي يجلبونه من بلاد إيران^(٦) .

وقد أطلق على الحمار في اللغة العربية العديد من الأسماء والتي يوحى أغلبها إلى صفاته التي تختلف من حمار إلى آخر ، فقد أطلق بعضها على الحمير الأهلية و أطلق البعض الآخر على الحمير الوحشية ، فيقال مثلاً (حمار أخدري و جمعه : حمر أخدرية) ، وهناك صفات أخرى منها (مصك و جلعد^(٧) و علج و بهصل و مهصل^(٨) و قنادل و صنادل^(٩) و أعر^(١٠) و الزهلق^(١١) و قلهبس^(١٢) و السحاج^(١٣) و الأحقب^(١٤) و الأخطب^(١٥) و الادخن^(١٦) و الأقمر^(١٧)) ومن الصفات التي اقتصت بالحمار الوحشي هي (مكدح و كعسم^(١٨))^(١٩) ، كما يلحظ أن هناك

- (١) السلامين : استهلاك وإنتاج الطعام والشراب في المملكة النبطية ، ص ٣٩ .
- (٢) لم تقع على ترجمته .
- (٣) الأرياني : مطهر علي ، نقوش مسندية ، ط ٢ ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ١٩٩٠م ، ص ١٠٤ .
- (٤) الحمر الأخدرية : هي نتاج الأخدر وهو فرس كان لأردشير بن بابك صار وحشياً فحمى عدة عانات فضرِب فيها ، فجاء أولاده منها أعظم من سائر الحمر و أحسن ، وخرجت أعمارها عن أعمار الخيل و سائر الحمر ، فإن أعمارها تزيد على الأهلية مراراً عدة . ينظر الجاحظ : كتاب الحيوان ، ج ١ ، ص ١٣٩ .
- (٥) ابن سيدة : المحكم ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .
- (٦) السبيعي : سند بن مطلق ، الخيل معقود في نواصيها الخير ، تقديم منصور بن فارس بن حسين ، ط ١ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م ، ص ٤٤ .
- (٧) بمعنى شديد أو القوي . ينظر الفراهيدي : كتاب العين ، ج ٢ ، ص ٣١٧ .
- (٨) وتعني غليظ . ينظر الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، ج ٤ ، ص ٥٣ .
- (٩) بمعنى الضخم الرأس . الجوهري : الصحاح ، ج ٥ ، ص ١٧٤٤ .
- (١٠) تعني الأجرب . ينظر ابن منظور : لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٥٥٥ .
- (١١) تعني الحمار الخفيف . ينظر الزبيدي : تاج العروس ، ج ١٣ ، ص ٢٠٦ .
- (١٢) معناها مُسن . ينظر ابن منظور : لسان العرب ، ج ٦ ، ص ١٨٢ .
- (١٣) وتعني جري الدواب دون الشديد . ينظر الفراهيدي : كتاب العين ، ج ٣ ، ص ٦٩ .
- (١٤) وتعني الأبيض . ينظر ابن فارس : أبو الحسين أحمد (ت ٣٩٥هـ) ، معجم مقاييس اللغة ، ت. عبد السلام محمد هارون ، مكتب الاعلام الإسلامي ، قم ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ج ٢ ، ص ٨٩ .
- (١٥) وتعني الأتان التي لها خط أسود على متنها . ينظر المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٩٩ .
- (١٦) تعني لون فيه كدرة في سواد الدخان . ينظر الفراهيدي : كتاب العين ، ج ٤ ، ص ٢٣٣ .
- (١٧) تعني الشديد البياض . ينظر ابن منظور : لسان العرب ، ج ٥ ، ص ١١٣ .
- (١٨) وتعني (حمار مكدح : قد عضضته الحمُر ، كعسم الحمار : ولى هارباً) . ينظر الزبيدي : تاج العروس ، ج ١٧ ، ص ٦٢٣ .
- (١٩) شاكر : شاكر هادي ، الحيوان في الأدب العربي ، ط ١ ، مكتبة النهضة العربية ، ١٩٨٥م ، ص ٣٠٣ .

فرق واضح في العمر بين الحمير الأهلية و الحمير الوحشية ، فقد ذكر أن الحمير الوحشية هي أطول أعماراً من الحمير الأهلية ، و قد دلت الروايات أن حماراً وحشياً عاش أكثر من ٤٠ عاماً وهو حمار أبي سيارة عميلة بن أعزل فقد دفع بأهل الموسم أربعين عاماً^(١) .

ومن صفات الحمير الجسمية غلظ لحمه و ظماً فصوصه وسراته وتمحص عصبه و تمكن أرساغه و عرض صهوته وضيق ابطينه^(٢) ، ونظراً لتشابه كثير من الصفات بين الحمير والخيل زعم البعض أن الخيل حمراء^(٣) ، بينما الباحثين المحدثين يعدون الحمير من العائلة الخيلية^(٤) ، كما يعد صوته من أشد الأصوات وأبعدها ومن الطرائف التي تروى في ذلك أن رجلاً حلف إن الحمار لا ينام ، فقيل له : وما ذاك ؟ قال : لأنني أجد صياحه ليس بصياح شيء انتبه تلك الساعة ولا هو صياح من يريد أن ينام بعد انقضاء صياحه ، وقد ضرب بصوته المثل في القرآن الكريم في قوله تعالى : (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير)^(٥) ، كما ضرب القرآن به المثل في الجهل ، فقال تعالى : (كمثل الحمار يحمل أسفارا)^(٦) قيل : لو كان شيء من الحيوان أجهل بما في بطون الأسفار من الحمار لضرب الله المثل به دونه^(٧) .

وقد كنى العرب الحمار بعدة كنى و أطلقوا عليه الألقاب التي لا يعرف أصلها ومصدرها ، فقد كنى الحمار بـ (أبو صابر و أبو زياد) وقد ورد في ذلك قول الشاعر :

زيادٌ لست أدري من أبوه **** ولكن الحمار أبو زياد

ويقال للحمارة (أم محمود و أم تولب و أم جحش و أم نافع ، و أم وهب)^(٨) .

ويرجع وجود الحمير في شبه الجزيرة العربية منذ القدم ، فقد عثر في عدد من المواقع في شرق الربع الخالي على عظام حمير برية تعود إلى عصر الهولوسين (الفترة الرطبة) الأوسط (٨٠٠٠ - ٦٠٠٠ ق.م) ، كما حدد الأثاريون مجموعة من المواقع على سواحل الخليج العربي تعود إلى العصر الحجري الحديث مثل موقع الميسار و رأس الحمراء في عمان ، وهيلي في الإمارات ، والظهران شرق السعودية ، والتي تضمنت جميعها بقايا عظام لحمير صغيرة الحجم كان يعتقد أنها كانت تعيش في المنطقة^(٩) .

والملاحظ أن الحمار لم يحظ بقدر كاف من اهتمام المجتمع في جنوب بلاد العرب كالجمل والحصان ، ويبدو أن السبب وراء ذلك نابع من تدني مكانة الحمار في ديانة اليمن قبل الإسلام ،

(١) الجاحظ : كتاب الحيوان ، ج ١ ، ص ١٣٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٧٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٨٢ .

(٤) الصالحي : العائلة الخيلية ، ص ٦٥ .

(٥) القرآن الكريم : سورة لقمان ، الآية ١٩ .

(٦) القرآن الكريم : سورة الجمعة ، الآية ٥ .

(٧) الجاحظ : الحيوان ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ .

(٨) الميري : حياة الحيوان الكبرى ، ص ٤٠ .

(٩) حجوي : جيلالي ، الحيوانات الثديية الرئيسية في فن الرسوم الصخرية واستيطان اليمن في عصور ما قبل التاريخ ، مركز أبحاث شبه الجزيرة العربية الفرنسية ، ص ٧٩ .

إلا أنه كان حاضراً في آثار و نقوش منطقة جنوب الجزيرة العربية^(١) ، فقد عثر في وادي حريب على الدلائل الأولى لصيد الحمار البري الأفريقي الذي يعود تاريخه إلى (٧٠٠٠ ق.م) (٢) ، كما جمعت بقايا عظام حيوانية من موقعي الشومة والحجابه في تهامة تعود لخيليات أو حمير برية ، تعود إلى (٦٠٠٠ ق.م) ، كما عثر في موقع رملة السبعيتين على عينة لعظم حمار تبين من صفاتها أنها تتطابق مع عظام الحمار الوحشي الآسيوي أكثر من تطابقها مع عظام الحمار الأهلي^(٣) .

ويرى أحد الباحثين أن الحمار البري هو الوحيد من فصيلة الخيليات الذي كان حاضراً إلى جانب الحصان في الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية خلال عصور ما قبل التاريخ^(٤) ؛ حيث تؤكد الرسوم الصخرية في صعدة أن الحمير اليمينية تنسب إلى سلالة من الحمير الأفريقية عرفت بـ (حمار النوبة) وهو ذو لون رمادي ويكثر انتشاره في السودان ويعتقد أنه السلف الذي انحدر منه الحمار المدجن في اليمن^(٥) ، وقد عثر على بعض من بقاياها في وادي غبير في صعدة وفي جبل أحرم في رداع وهي (أسنان عدد ١٦ و أضراس عدد ٣ وأجزاء من العضد و القصبة و مشط اليد)^(٦) .

إن وجود الحمار الأفريقي في جنوب شبه الجزيرة العربية يدل على توزيعه الجغرافي وانتقاله من مكان إلى آخر في عصور ما قبل التاريخ من موطنه الأصلي في أثيوبيا إلى شمال أفريقيا ومصر و غرب آسيا والجزيرة العربية^(٧) ، وقد دلت على ذلك البقايا الأثرية التي عثر عليها كما أشرنا سلفاً ؛ وعلى الرغم من عملية تدجين الحمار البري إلا أنه بقي محافظاً على طبيعته البرية حتى عصور متأخرة ، وذلك طبقاً لما ورد في بعض الكتابات الكلاسيكية التي أشارت إلى وجود الحمار الوحشي في جزيرة العرب في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد^(٨) .

لقد اشتهرت في اليمن أنواع جيدة من الحمير الأهلية مثل (الحضرمية و المعافرية)^(٩) . وقد اكتسبت على مر العصور أهمية كبرى كوسيلة للنقل خاصة في مناطق جنوب خط الاستواء ، فقد شكل الحمار أقدم وسيلة نقل و ركوب أساسية في منطقة الشرق القديم^(١٠) .

أما في جانب العقائد والعبادات لأهل اليمن قبل الإسلام فلم يكن للحمار أثر ديني بارز في عباداتهم ويبدو ذلك بسبب تدني أهميته لديهم فيما يتعلق بأمور العبادة ، وقد أشارت إلى ذلك نقوش المسند ، لذلك كان تمثيل الحمار نادراً في الانتاج الفني لجنوب الجزيرة العربية ،

- (١) باعليان : حيوانات النقل والحرب في اليمن ، ص ١٨٧ .
- (٢) حجوي : الحيوانات الثديية الرئيسية ، ص ٧٩ .
- (٣) باعليان : حيوانات النقل والحرب في اليمن ، ص ١٨٨ .
- (٤) اينزان : فن الرسوم الصخرية واستيطان اليمن في عصور ما قبل التاريخ ، مركز أبحاث شبه الجزيرة العربية الفرنسية ، ص ٣٤ .
- (٥) السبيعي : الخيل معقود في نواصيها الخير ، ص ٤٣ .
- (٦) حجوي : الحيوانات الثديية الرئيسية ، ص ٧٩ .
- (٧) باعليان : حيوانات النقل والحرب في اليمن ، ص ١٨٩ .
- (٨) الحداد : الخيل في نصوص و آثار شبه الجزيرة العربية القديمة ، ص ٢٧ .
- (٩) الهمداني : أبو محمد الحسن بن أحمد (ت ٣٣٤هـ) ، صفة جزيرة العرب ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٨٤م ، ص ٣٦٣ .
- (١٠) يحيى : لطف عبد الوهاب ، العرب في العصور القديمة ، دار النهضة ، ١٩٧٩م ، ص ١١٤ .

واقصر على عدد من الرسوم الصخرية العائدة لفترة ما قبل التاريخ التي شكل فيها موضوع صيد الحمار جزءاً من مادة فن الرسوم الصخرية في موقع غبير في صعدة ، حيث رسمت بأسلوب الحز صور عدد من الحمير الوحشية بعضها محاطة بكلاب صيد ، وإن أشارت بعض الدراسات إلى أنها ذات أصل أفريقي بناءً على بعض صفاتها مثل الرأس المثلث والفم المفتوح إلى جانب وجود أخاديد على قوائمها^(١) ، كما تم الكشف في موقع الامسان برداع عن نحت صخري يمثل قطيعاً من الحمير مع صغارها وبجوارها بعض الخيول مع صغارها أيضاً^(٢) .

وفيما يتعلق بالنحت المجسم للحمار ، فقد عثر على تمثال صنع من البرونز يؤرخ للقرن الثاني الميلادي ، ويمثل حماراً واقفاً بالقرب من فرس ، وقد أجاد النحات في ضبط التجسيم لهذا التمثال ، فيلاحظ بشكل جيد تقوس البطن والعرف والأذنين والأنف ومفاصل الأرجل فبدا تناسق الأعضاء جيداً ، وغطي الجانب الأيسر للتمثال بنقش غائر بخط المسند الشعبي لم يتم تفسيره ونشره بعد ، وهو من نوع الخط الذي عرف على أعواد عسيب النخل التي نجح العلماء مؤخراً في فك رموزها ، ويحتمل أن هذا التمثال يصور أحد البغال قائماً نظراً لقرب هيئته من هيئة الفرس^(٣) .

كما لم يغيب الحمار عن الثقافة الأدبية العربية ، فقد ورد ذكره في مجموعة من الأمثال العربية الموروثة ومنها ما ورد في قول الرسول (ﷺ) : " كل الصيد في جوف الفرا"^(٤) ، والفرا هو من أسماء الحمار كما تقدم ذكره ، وكذلك المثل في قول الشاعر :

بضرب كآذان الفراء فضوله **** وطعن كإيزاغ المخاض تبورها^(٥)

وقالوا أيضاً " أصبر من حمار أبي سيارة " ، لأنه كان دفع بأهل الموسم على ذلك الحمار أربعين عاماً ، وقالوا : " إن ذهب حمار ، فحمار في الرباط ، وقالوا في المديح " جحيش وحده " وقالوا " أضل من حمار أهله " و " أخزى الله الحمار لا يزكى ولا يذكي " ، وغيرها من الأمثال التي تعكس لنا ثقافة المجتمع العربي آنذاك سواء قبل الإسلام أو بعده^(٦) .

كما كان للحمار حضوراً في أساطير العرب القديمة ، فقد روي أن إبليس دخل جوف حمار مرةً وذلك أن نبي الله نوح (ﷺ) لما دخل السفينة امتنع الحمار عن ركوب السفينة وكان إبليس قد أخذ بذنبه ، وقال آخرون : بل كان في جوفه فلما قال نوح للحمار : ادخل يا ملعون ، دخل الحمار وإبليس معه لأنه كان في جوفه ، فلما رآه نوح (ﷺ) قال : يا ملعون من أدخلك السفينة ؟ قال : أنت أمرتني ! قال : ومتى أمرتك ؟ قال : حين قلت ادخل يا ملعون ولم يكن ثم ملعون غيري^(٧) .

- (١) رشاد واينزان : فن الرسوم الصخرية واستيطان اليمن في عصور ما قبل التاريخ ، ص ١٢٠ .
- (٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦٩ .
- (٣) باعليان : حيوانات النقل والحرب في اليمن القديم ، ص ١٩٠ .
- (٤) الميداني : الإمام أبو الفضل أحمد بن محمد (ت ٥١٨هـ) ، مجمع الأمثال ، مكتبة مشكاة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٦ .
- (٥) ابن السكيت : أبو يوسف يعقوب بن اسحاق (ت ٢٤٤هـ) ، الكنز اللغوي ، ت. أوغست هنفر ، مكتبة المتنبى ، القاهرة - مصر ، ص ٦٩ .
- (٦) الجاحظ : الحيوان ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ .
- (٧) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ .

وقد ظهر الحمار ضمن مجموعات التماثيل الفخارية النبطية ، ولكن من الصعب التمييز بينها وبين تماثيل الخيول ، فقد كشفت التنقيبات الأثرية في منطقة زنطور و منطقة المعبد الجنوبي في البتراء عن عظام حمير تعود للعصر النبطي تحمل إشارات تقطيع ، وعثر في مدائن صالح أيضاً على بقايا لحمير عليها آثار تقطيع ، وقد يشير ذلك إلى أكل لحومها أو لاستخدامها في صناعة بعض الأدوات أو قد يشير إلى استخدامها في بعض الأعمال السحرية^(١).

وأما البغال فقد ذكر النويري أنها مراكب الرؤساء والسادة النجباء والقضاة والعلماء ، ويرجح العرب أناثها على ذكورها ، حتى أن المغاربة لا يركبون ذكر البغل وإنما يجعلونها لحمل الزبل ، وأعظم ما تفضل به أناث البغال على ذكورها أن رسول الله (ﷺ) ركبها وملكها ولم يذكر أنه ملك بغلاً أو ركبه^(٢).

سادساً : الغزال :

ويمكن أن يندرج الغزال في القرآن الكريم تحت قوله تعالى (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)^(٣) ، وذلك أنها من الدواب ذوات الأربع وهو عنوان يندرج تحته مصاديق متعددة و متكررة ، لذا فإن الإشارة في القرآن الكريم إلى الغزال واردة ضمناً وليس تصريحاً كما هو الحال في الخيل وغيرها .
والغزال : هو ولد الظبية إلى أن يقوى ويطلع قرنائه ، والجمع غزلة وغزلان ، مثل غلمة وغلمان والأنثى غزالة^(٤).

عُرف الغزال عند شعوب الشرق القديم منذ مرحلة موغلة في القدم ، وانتشرت صورته في فنون الشرق القديم بدءاً من الألف الرابع قبل الميلاد ، حيث كان يُقدّم كقرابين للآلهة الأم ، وقد بيّنت دراسة البقايا العظمية الحيوانية التي عُثر عليها في منطقة بيضا^(٥) أن الغزال كانت من الحيوانات التي كان يتم اصطيادها في هذه المنطقة خلال العصر الحجري الحديث (١٠٠٠٠ - ٤٠٠٠ ق.م).

ارتبط الغزال والوعل بمعتقدات عرب جنوب الجزيرة العربية ، وظهر في فنونهم ورسومهم الصخرية بدءاً من العصر الحجري النحاسي (٤٥٠٠ - ٣٦٠٠ ق.م) ، وتمت ممارسة طقس الصيد المقدس أو ما يعرف بصيد الوعول في جنوب الجزيرة خلال الألف الأول

(١) السلامين : استهلاك وإنتاج الطعام والشراب في المملكة النبطية ، ص ٤٠ .

(٢) النويري : نهاية الإرب ، ج ١١ ، ص ٤٨ .

(٣) القرآن الكريم : سورة النور (٤٥) .

(٤) الميري : حياة الحيوان الكبرى ، ص ١٢٩ .

(٥) البيضا : منطقة تقع في لواء البتراء ، محافظة معان في الأردن تنتمي المنطقة لقضاء البتراء .
ويكيبيديا

قبل الميلاد ، وكان هذا الصيد يُمارس في مناطق معينة ، ويشارك فيه فئات معينة من المجتمع^(١) . وقد أكدت النقوش العربية الجنوبية انتشار هذه الشعيرة الدينية في العديد من مناطق جنوب الجزيرة العربية ، وكان هذا الصيد يتم باسم آلهة متعددة ، وكانت هناك احتفالات تقام عند صيد الوعول ، كما ظهر الوعل بكثرة في فنون هذه المناطق ضمن سياقات دينية ، فكثيرا ما نجده يزين تقدمات وقرابين كانت تقدم للآلهة^(٢) .

وقد كان العرب يستخدمون في صيد الغزال أو الظبي أو الوعل طرق متعددة منها نصب الحبال أو النار التي توقد للظباء لتعشى إذا أدامت النظر إليها وقد ورد ذكر هذه الطريقة في أشعار العرب^(٣) ، قال طفيل الغنوي :

عواذب لم تسمع نبوح مقامة **** ولم تر ناراً تَمَّ حَوْلٍ مجرَّم

سوى نارٍ بيض أو غزال بقفرة **** أغلَّ من الخنس المناخر تؤأم^(٤)

ومن الطرق الأخرى استخدام الكلب في صيده ، فقد ذكر الجاحظ قوله " اعلم أن الكلب إذا عاين الظباء قريبة منه أو بعيدة ، عرف المعتلَّ وغير المعتلَّ وعرف العنز من التيس ، وهو إذا أبصر القطيع لم يقصد إلا قصد التيس ، وإن علم أنه أشدَّ حُضراً ، وأطول وثبةً ، وأبعد شوطاً ، ويدع العنز وهو يرى ما فيها من نقصان حُضرها وقصر قاب خطوها ، ولكنه يعلم أن التيس إذا عدا شوطاً أو شوطين حقب ببوله " ، وروي أن أحد الأعراب كان قد ربي ذئباً فاصطاد به الظباء صيداً ذريعاً حتى عدَّ هذا من حذقه في تدريب الجوارح ، إلا أن الذئب لا يصيد الظبي إذا دخل الحرم^(٥) .

ويبدو أن الغزال قد حظي بقدسية عند الأنباط ، كما هو حال بعض الحيوانات الأخرى التي كانت تُقدَّم كقرابين محروقة وغير محروقة ، إذ عُثر في سيناء على معبدٍ نبطيٍّ يؤرخ للقرن الثاني قبل الميلاد ، واشتملت المعثورات التي وجدت هناك على عظام محروقة داخل المعبد لنوع من الغزلان مما يُشير إلى أن هذا الحيوان كان أحد القرابين التي تقدم للآلهة في المعابد النبطية ، كما بيَّنت الحفريات التي أجريت في منطقة الزنطور أن الغزال كان يُمثل أحد الخيارات الغذائية في منطقة البتراء ، وعُثر أيضاً على بقايا عظام غزلان ، وحُمُر ، وبقر وحشي ، في مدائن صالح ، مما يؤكِّد استهلاكها كغذاء خلال الفترة النبطية^(٦) .

(١) طعيمان : علي بن مبارك : صيد الوعول نشاط مقدس في ديانة جنوب الجزيرة العربية قديماً ، مجلة جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون الخليج العربية ، عدد ١٥٥ ، سلسلة مداولات علمية محكمة ، السعودية - الرياض ، ٢٠١٤م ، ص ١٤٢ .

(٢) باسلامه : محمد ، صيد الوعل في الحضارة اليمينية القديمة ، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية - جامعة صنعاء ، ٢٠١٠م ، ج ١ ، ص ٣٣ .

(٣) الجاحظ : كتاب الحيوان ، ص ٤٢٨ و ٤٨٤ .

(٤) الأصمعي : عبد الملك بن قريش بن عبد الملك بن علي (ت ٢١٦هـ) ديوان طفيل الغنوي ، ت. حسان فلاح أوغلي ، ط ١ ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٧م ، ص ١٠٧ ؛ الدينوري : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، المعاني الكبير في أبيات المعاني ت. د. سالم الكرنكوي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م ، ج ١ ، ص ٣٦١ .

(٥) كتاب الحيوان ، ج ٣ ، ص ١٣٩ .

(٦) السلامين : استهلاك وإنتاج الطعام في المملكة النبطية ، ص ٣١ .

ومما يجدر ذكره أن الغزال قد ظهر ضمن مجموعات التماثيل الفخارية النبطية التي عُثر عليها، ويبدو أن بعضها ينتمي إلى سلالة الوعل النوبي^(١) .

وفضلاً عما تقدم فقد كان للغزال وجوداً في أرض مكة أيضاً ويبدو أنه ارتبط بفكرة التقديس في تلك البقعة أيضاً ، فقد أشارت الروايات أنه كان يحرم صيد الغزال عند مكة وأنها من الحيوانات الآمنة في تلك المنطقة حتى قيل في المثل المشهور (آمن من حمام مكة ومن غزلان مكة) ، وهذا شائع على جميع الألسنة ، لا يرد ذلك أحد ممن يعرف الأمثال والشواهد^(٢) ، قال النابغة في الغزلان و أمنها :

لا والذي آمن الغزلان تمسحها **** ركبان مكة بين الغيل و السعد^(٣) .

قال الجاحظ : " ولو أن الأطباء ابتليت ممن يتخذها بمثل الذي ابتليت به الحمام ثم ركبوا المسلمين في الغزلان بمثل ما ركبوا به في الحمام ، لساووا في ذبح الغزلان كسيرتهم في ذبح الحمام "^(٤) ، قال الشاعر مشيراً إلى أمن الطيبي و الحمام :

لعن الله من يسب علياً **** وحسيناً من سوقة وإمام
أيسب المطيبون جدوداً **** والكرام الأخوال و الأعمام
يأمن الطيبي والحمام ولا **** يأمن آل الرسول عند المقام
رحمة الله والسلام عليهم **** كلما قام قائم بسلام^(٥) .

أما في اليمن القديم فقد كان للوعول دوراً بارزاً في حياة المجتمع اليمني وصل إلى حد التقديس و العبادة ، وذلك بسبب وفرة هذا الحيوان و مشاركته الإنسان اليمني القديم في حياته العامة ، الأمر الذي جعله رمزاً لمعبوداته فزين به جدران المعابد بشكل أفاريز أو صور منفردة ونحت له تماثيل و لوحات نقشية وتصويرية و موائد القرابين والأواني وغيره ، فقد أظهرت الآثار اليمنية القديمة الوعل بأوضاع مختلفة دلت على تمثيله لمجموعة من آلهة اليمن منها أنه كان رمزاً للإله (المقه) و الإله (سامع) و الإله (تالب) وكان رمزاً مشتركاً للإله (عتتر) ، وفي قتبان كان رمزاً خاصاً للإله (عم) الذي يذكر اسمه بجانب الوعل ، وفي معين كان رمزاً للإله (ود) ، وفي حضرموت وجدت رسومه على تاج عمود من " حصن العر " بشكل يلفت النظر في منطقة المعبد الأثرية ، كما تظهر في النقوش صورة إنسان وهو يحمل قرون الوعل و عصا وقناعاً على رأسه يمثل الوعل ، ويظن أحد الباحثين أن ذلك له ارتباط برقصة الوعول التي لا زال أهل حضرموت يمارسونها حتى اليوم حيث يضعون قرون الوعل على رؤوسهم ، ولعل في ذلك إشارة لممارسة نوع من الطقوس الدينية القديمة التي صورت على تاج العمود^(٦) .

(١) السلامين : استهلاك وإنتاج الطعام في المملكة النبطية ، ص ٣١ .

(٢) الجاحظ : كتاب الحيوان ، ج ٣ ، ص ١٩٢ .

(٣) عبد السّاتر : عباس ، ديوان النابغة الذبياني ، ط ٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م ، ص ١٥ .

(٤) كتاب الحيوان ، ج ٣ ، ص ١٩٤ .

(٥) ابن أبي الحديد : عز الدين عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦ هـ) ، شرح نهج البلاغة ، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١ ، دار إحياء الكتب العربية ، سوريا ، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م ، ج ١٥ ، ص ٢٥٦ .

(٦) سالم : دراسة مقارنة لرموز الآلهة في كل من مصر الفرعونية و اليمن القديم ، ص ٣٥٣ .

كما أن رسوم قرون الوعل كانت شائعة كوسيلة لطلب الحماية الإلهية ، كما أنهم رمزوا للآلهة عتثر بالوعل لربط ذلك بشعيرة الاستسقاء و المطر ، و لأن هذا الحيوان يتنبأ بالبرق وأماكن هطول المطر في القمم العالية التي يعيش فيها ، ولهذا اختار اليمينيون الوعل كرمز للإله عتثر إله المطر لديهم^(١) ، ولم يكن إلهاً خاصاً بجهة معينة أو قبيلة من القبائل ، و ترجع عموميته هذه لعلاقته بالمطر والسقي ، لأن المطر كان دعامة الحياة الاقتصادية في اليمن القديم ، ويعتبر هذا الإله للمطر و الري وبالتالي فإنه يشترك مع الإله ست في صفة إله الرعد و العواصف^(٢) .

ومن مظاهر التقديس للوعل عند اليمينيين القدماء هو ربطهم بينه و بين القمر ، فقد اعتقدوا أن كلاهما يشتركون في نفس الصفات والمتمثلة بالجواهر وهو العلو والارتفاع ، و المظهر وهو الشكل الهلالي ، فالقمر يرتفع عالياً في السماء فوق القمم العالية في الجبال بشكله المميز وهو الهلال ، والوعل يظهر فوق قمم الجبال و التلال بقرونه الهلالية مشكلاً بذلك صورة مهيبه في نفس اليمني القديم ، فاتخذوا الوعل رمزاً أرضياً ملموساً وتجسيدا لإله القمر الكوني البعيد^(٣) .

سابعاً : الأرنب :

ويمكن أن يندرج الأرنب أيضاً في القرآن الكريم تحت قوله تعالى (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَشْرَبُ عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْرَبُ عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْرَبُ عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)^(٤) ، وذلك أنها من الدواب ذوات الأربع وهو عنوان يندرج تحته مصاديق متعددة و متكررة كما ذكرنا آنفاً ، لذا فإن الإشارة في القرآن الكريم إلى الأرنب واردة ضمناً وليس تصريحاً كما هو الحال في الغزال والخيول وغيرها من الحيوانات . فهو حيوان قصير اليدين طويل الرجلين يطأ الأرض على مؤخرة قوائمه وهو اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى ، ذكر الأرنب يقال له (الخزر) والأنثى تسمى (عكرشة) ، و ولد الأرنب يسمى (الخرنق)^(٥) .

ظهرت الأرناب بكثرة في الفنون الصخرية التي تنتشر في الجزيرة العربية وبلاد الشام ، وكانت تُمثل على ما يبدو أحد الخيارات الغذائية النبطية ، وهي أنواع عدة ، وقد كشفت الحفريات الأثرية التي أجريت في البتراء عن بقايا عظمية تؤكد استهلاك سكان البتراء خلال الفترة النبطية للأرناب الوحشي البري الذي كان يعيش في هذه المنطقة ، وهذا النوع من الأرناب

(١) الأرياني : مطهر ، نقوش منطقة يلا (المجموعة المعمارية الأثرية السبئية في وادي يلا) ،

الجمهورية العربية اليمنية ، ١٩٨٨م ، ص ٥٢-٥٣ .

(٢) سالم : دراسة مقارنة لرموز الآلهة في كل من مصر الفرعونية و اليمن القديم ، ص ٣٥٤ .

(٣) عبد الحليم : دراسة تاريخية للصلوات والمؤثرات الحضارية بين حضارة مصر الفرعونية وحضارات

البحر الأحمر ، ص ٢٨٤ .

(٤) القرآن الكريم : سورة النور (٤٥) .

(٥) الدميري : حياة الحيوان الكبرى ، ص ٢٢ .

المألوفة التي تنتشر في كل أرجاء بلاد الشام ، كما عُثر في مدائن صالح على بقايا عظام لأرانب وحشية ولكن بكميات قليلة ، وربما كان الأرنب المستأنس موجوداً ولكن لم يُعثر على دليل على استهلاكه ، وعُثر أيضاً على بقايا من نوع الأرانب المعروفة بالطبسون الوبر الصخري ، المنتشر في جميع الجبال والمُرتفعات الشامية سواء المُتوسطية أو الصحراوية ، ولكن لا نعرف هل كان هذا النوع من الأرانب يؤكل أم لا^(١) .

وحظيت الأرنب بالقداسة عند العرب أيضاً ، لأنها تبعد القوى الشريرة بدليل كانت من عاداتهم تعليق كعب الأرنب ، قال ابن الإعرابي : "إنهم يقولون من علق كعب أرنب لم تقربه جنان الدار ولا عمّار الحي ، ولا شيطان الحماطة ، ولا جار العشيرة ، ولا غول القفر"^(٢) ، واعتقدوا أن من علق كعب أرنب لم تصبه عين ولا سحر ، لأن الجن تهرب من الأرنب ، لأنها تحيض وليست من مطايا الجن^(٣) .

ولم يرغب الأرنب عن التراث الأدبي وأمثال العرب فقد كان له حض وافر في المثل العربي و من ذلك ما قيل " ما الدنيا في الآخرة الا كنفجة أرنب "^(٤) ويقال أيضاً " حذفته بالعصا كما تحذف الأرنب "^(٥) وقيل أيضاً " لو كانت والله الضبة دجاجة لكانت الأرنب دراجة "^(٦) وفي ذلك إشارة إلى أن الأرانب و الدراج لا تستحيل لحومها ولا تنقلب شحوماً ، وإنما سمّنها بكثرة اللحم ، كما وصف الأرنب بطول العمر حتى تمثل بذلك الشعراء فقل في ذلك :

بأغضف الأذن الطويل العمر **** وأرنب الخلّة تلؤُ الدهر^(٧)

كما وصفت أنثى الأرنب بقلة لبنها ولذلك يضرب بدها المثل ، قال شاعر :

حاضر شركم وخيركم درُ **** خروس من الأرانب بكر^(٨)

كما وصف العرب الأرنب بخواصه الجسمية البدنية فنكروا قصر يديه وسبب ذلك ، وقالوا أن علة ذلك يخفف عليه الصعود والتوغل في الجبال ، فيسهل عليه الهرب و إرهاب الكلاب عند ملاحقته ، لذلك حاول البعض ترويض كلاب قصيرة اليمين لأنها أجدر أن تلحقها ، ومن صفاتها أيضاً أنها تحيض وأنها لا تسمن وتنام وعينيها مفتوحة ، أما منافع الأرنب فقد ذكرها الجاحظ بقوله " وللأرنب جلد و وبر ينتفع به ولحمه طيب ، ولا سيما محسباً ، لأنه يجمع حسن المنظر ، واستفادة العلم مما يرون من تدبيرها وتدبير الكلاب ، والانتفاع بالجلد وبأكل اللحم ، وما أقل ما تجتمع هذه الأمور في شيء من الطير "^(٩) .

(١) السلامين : استهلاك وانتاج الطعام في المملكة النبطية ، ص ٣٢ .

(٢) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ج ١٩ ، ص ٤٠٣ .

(٣) سمار : تقديس الحيوان ، ص ٢١٠ .

(٤) ابن أبي الدنيا : أبو بكر عبد الله بن محمد (ت ٢٨١هـ) ، كتاب الزهد ، ط ١ ، دار ابن كثير ، دمشق - سوريا ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ص ١٣ .

(٥) الأزدي : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ) ، جمهرة اللغة ، ت. رمزي منير بعلبكي ، ط ١ ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٧م ، ج ١ ، ص ٥٨٦ .

(٦) الجاحظ : الحيوان ، ج ٦ ، ص ٣٥٣ .

(٧) الزمخشري : جار الله (ت ٥٨٣هـ) ، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ، ط ١ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت - لبنان ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، ج ٢ ، ص ٩٧ .

(٨) الدينوري : المعاني الكبير في أبيات المعاني ، ج ١ ، ص ٢٠٩ ؛ الجوهرى : الصحاح ، ج ٣ ، ص ٩٢٢ .

(٩) الحيوان ، ج ٦ ، ص ٣٥٣-٣٥٩ .

ثامناً : النعام :

يعد النعام من أكثر الحيوانات غرابة في العالم وذلك بسبب شكلها العجيب فهي طائر ضخمة لا يستطيع الطيران و في نفس الوقت من أكثر الحيوانات ظرافة في العالم ، ولم يرد ذكرها في القرآن الكريم بشكل صريح لذا هي تندرج تحت النصوص القرآنية التي ذكرت الطيور بشكل عام كما في قوله تعالى : (وَمِنْ دَائِيهِ فِي الْأَرْضِ وَالطَّائِرُ بِحَنَائِهِ إِلَّا أُمُّ أَمْثَالِكُمْ)^(١) . و غيرها من الآيات .

فالنعام حيوان مركب من خلقة الطير والجمل ، يسمى بالفارسية (استرموع) أخذ من البعير العنق والوظيف والمنسم ، ومن الطير المنقار والجناح والريش^(٢) .

وتشبيه النعامة بالطائر والبعير اعتقاد وفكرة سادت منذ القدم ليس عند العرب فحسب بل حتى في بلاد فارس فقد سميت بـ (استرموع) أو (اشترمرغ) للدلالة على كليهما (الطائر والبعير) ، فما كان فيها من شكل الطائر أخرجها ونقلها إلى البيض ، وما كان فيها من شكل البعير لم يخرجها ولم ينقلها إلى الولد^(٣) ، ومما يدل على رسوخ هذه الفكرة عند العرب القدماء هو تمثلهم بها في شعرهم ، قال الشاعر :

فأنت كساقطٍ بين الحشايا **** تصير إلى الخبيث من المصير

ومثل نعامة تدعى بعيراً **** تعاضمها إذا ما قيل طيري

فإن قيل احملني قالت فإني **** من الطير المربة بالوكور^(٤)

وإنما قيل ذلك في النعامة ، لأن الناس يضربون بها المثل للرجل إذا كان ممن يعتل في كل شيء يكلفونه بعةً ، وهو قولهم " إنما أنت نعامة ، إذا قيل لها احملني قالت : أنا طائر ، وإذا قيل لها طيري قالت : أنا بعير "^(٥) ، ويبدو أن النعامة أخذت جانباً اسطورياً في ثقافة الفرد العربي قديماً ولم تتوقف على الأمثال فحسب ، فقد ورد في ذكرها أنها ذهبت تطلب لها قرنين ، فرجعت مقطوعة الأذنين ، فلذلك يسمونها (الظليم)^(٦) ويصفونها بذلك^(٧) ، وهذه الرواية الأسطورية لم تحدد جهة الذهاب التي قصدتها النعامة ولا سبب ذهابها لأنها قد تكون مرتبطة بالأمثال ولم يراد بها القصة أو الإخبار ، خصوصاً إذا علمنا أن النعامة ليس لها صيوان أذن .

(١) القرآن الكريم : سورة الأنعام (٣٨) .

(٢) الدميري : حياة الحيوان الكبرى ، ص ١٨٣ .

(٣) الدميري : حياة الحيوان الكبرى ، ص ١٥٨ .

(٤) الدينوري : المعاني الكبير ، ج ١ ، ص ٣٣٦ .

(٥) الدسوقي : مصطفى محمد عرفة (ت ١٢٣٠هـ) ، حاشية الدسوقي على مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ت. عبد السلام محمد هارون ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٩٧١م ، ج ١ ، ص ٢٤٨ .

(٦) حتي : د. حنا نصر ، قاموس المعاني والأسماء ، ط ٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، ص ٥٠ .

(٧) الجاحظ : كتاب الحيوان ، ج ٤ ، ص ٣٢٣ .

ظهر النعام بكثرة في فنون الشرق القديم ، خصوصاً الصخرية منها ، وقد عاش النعام في العديد من مناطق الشرق القديم لفترة طويلة ، وإلا أنه كان نادراً في منطقة جنوب الجزيرة العربية و غربها (اليمن و الحجاز وما جاورها) ، إذ يذكر جون فيليبس في مقالة له نشرها عام ١٩١٥ م أن بيض النعام كان شائعاً بين العرب في معان على طريق الحج ، حيث يتم إحضارها من الصحراء على مسافة يومين سفر من شمال وشمال شرق المدينة^(١) ؛ ويقال أنه انقرض النعام على ما يبدو في الثلاثينيات من القرن العشرين^(٢) .

لقد كُشف عن بيض النعام في العديد من المواقع الأثرية التي تعود لفترات مختلفة ، أما فيما يتعلق بالفترة النبطية ، فقد عُثر في مدائن صالح على بقايا بيض نعام بعضه مزخرف ، كما كُشف عن بيض نعام غير مزخرف في البتراء^(٣) .

تاسعاً : الخنزير :

ذكر الخنزير في القرآن الكريم في أكثر من موضع في سوره المباركات منها في قوله تعالى (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)^(٤) وفي آيات أخرى كلها تشير إلى تحريم أكل الخنزير في الشريعة الإسلامية .

الخنزير حيوان بري ، وفي تسميته قال الدميري : أنه مشتق من خزر العين لأنه كذلك ينظر ، يقال : تخازر الرجل إذا ضيق جفنه ليحدد النظر ، وكنية الخنزير أبو جهم وأبو زرعة وأبو دلف وأبو عتبة وأبو عليّة وأبو قادم ، وهو يشترك بين البهيمة و السبعية ، فمن صفات السباع فيه الناب و أكل الجيف ، أما من صفات البهيمة فالظلف وأكل العشب و العلف ، ومن صفاتها أيضاً أنها إذا هاجت طأطأت رؤوسها وحركت أذنانها وتغيرت أصواتها ، وتضع الخنزيرة عشرين خنوصاً وتحمل من نزوة واحدة وذلك عندما تبلغ ستة أشهر أما الذكر فإنه ينزو إذا بلغ ثمانية أشهر ، ومن صفاته أكل الحيات إذ لا تؤثر فيه سمومها ، وإذا جاع ثلاثة أيام ثم أكل فإنه يسمن بسرعه ، ومما ورد فيه من الأمثال قول العرب (أطيش من عفر^(٥)) و (أقبح من خنزير)^(٦) .

ويعد الخنزير من المسوخ التي ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى : (وجعل منهم القردة والخنازير)^(٧) ، وله مجموعة من الصفات الخبيثة والقبيحة التي تدل على نذالة النفس ، فهو قبيح المنظر ، وقبيح الصوت ، ويأكل العذرة ، وقيل أنه يمارس اللواط ، وأخلاقه سمجة ، حتى

(١) السلامين : استهلاك وإنتاج الطعام في المملكة النبطية ، ص ٣٥ .

(٢) إينزان : فن الرسوم الصخرية في اليمن القديم ، ص ٢٤ .

(٣) السلامين : استهلاك وإنتاج الطعام في المملكة النبطية ، ص ٣٥ .

(٤) القرآن الكريم : سورة البقرة (١٧٣) .

(٥) العفر : ذكر الخنزير . ينظر الجوهري : الصحاح ، ج ٢ ، ص ٧٥٢ .

(٦) الدميري : حياة الحيوان الكبرى ، ص ٥١ .

(٧) القرآن الكريم : سورة المائدة ، آية (٦٠) .

صرح الله تعالى بحرمة أكله ، لأن كثير من الناس باختلاف طبقاتهم كانوا يأكلونه ويستطيبون لحمه على الرغم مما ذكر من صفاته^(١) .

لم يكن الخنزير ذاك الحيوان العادي، بل كان دائماً ما يوصف بالسوء والتوحش ، كان له مُحَبِّون وكارهون ، والطرفان يصلان حدَّ التقديس أو التدنيس^(٢) ، ولعل سبب الكراهية هو وصفه بالنجاسة في الكتب المقدسة^(٣) ، وسبب حبه من البعض هو طيب لحمه كما يصفه البعض^(٤) .

فقد كشفت الحفريات الأثرية التي أجريت في العديد من مناطق الهلال الخصيب عن بقايا عظمية لخنزير تؤرخ للألفين الرابعة والخامسة قبل الميلاد ، ونظراً لعدم إنتاج الخنازير منتجات ثنائية عدا اللحوم ، مقارنة بالماعز والأغنام ، فلم تكن تُربى كثيراً ، كما أنها لم تكن مناسبة للنمط الاستيطاني المتنقل للعديد من الأقوام التي سكنت منطقة المشرق القديم ، وقد وُجد نوعان من الخنازير في بلاد الشام : نوع مدجن ، وآخر بري ، ويعرف الخنزير البري في العربية باسم العُفر ، وكان يعيش في العديد من دول حوض البحر الأبيض المتوسط وبلاد الشام^(٥) .

كما انها لا تتواجد عادة في المناطق الصحراوية الجافة ، ولما كان لحم الخنزير أحد المصادر الغذائية بالنسبة للأنباط كما تُبين نتائج الحفريات الأثرية التي أجريت في الزنطور في البتراء ، إذ مثَّلت عظام الخنازير نسبة 20 % من نسبة العظام المكتشفة ، ويبدو من خلال دراسة هذه البقايا العظمية أن الخنازير كانت تُربى محلياً لغايات الاستفادة من لحومها ، كما كشفت الحفريات الأثرية عن بقايا عظمية لخنزير بري كان يعيش في المنطقة ، وعُثر في مدائن صالح على بقايا لخنزير عمره 12 - 10 شهراً ، ويؤرخ لنهاية القرن الأول قبل الميلاد وبداية القرن الأول الميلادي ، ولا نعرف هل كان هذا الخنزير محلياً أم مستورداً ، لأن مدائن صالح لم تكن ملائمة لعيش الخنازير ، كما وُجدت بقايا عظام خنازير في المعبد الجنوبي في البتراء ، إذ مثَّلت أعمار 54 % من البقايا المكتشفة منها سنة واحدة ، مما يعني أن الخنازير كانت تُستهلك في مرحلة مبكرة من عمرها كونها لا تنتج منتجات ثانوية مقارنة بالأغنام والماعز^(٦) .

أما بقايا الخنازير التي عُثر عليها في العقبة فهي محدودة جداً ، وسبب ذلك مرتبط بالبيئة ، لأن تربية الخنازير لم تكن ممكنة في المناطق التي تتراوح معدلات التساقط فيها بين 100 - 300 ملم إلا إذا كان هناك مورد مائي آخر^(٧) .

(١) الجاحظ : كتاب الحيوان ، ج٤ ، ص٣٩ - ٤١ .

(٢) غالب : وليد ، الخنزير رسول الآلهة ، مقال منشور في موقع ألترا عراق ، شهر آب - ٢٠١٩ .

(٣) سفر اللاويين : ١١ .

(٤) الجاحظ : كتاب الحيوان ، ج٤ ، ص٤٠ .

(٥) السلامين : استهلاك وإنتاج الطعام في المملكة النبطية ، ص٣٦ .

(٦) Alfred B. A history of Hebrew civilization, T. A.K Dallas . Wipf and Stock .

Pubishers (1926) Pp 40 .

(٧) السلامين : استهلاك وإنتاج الطعام في المملكة النبطية ، ص٣٧ .

عاشراً : الماعز والأغنام :

تعد الأغنام من أكثر الحيوانات التي ركز على ذكرها القرآن الكريم في سورة المباركات و في مواضع مختلفة و بأسماء متعددة فمرة ذكرها باسمها (الغنم) كما في قوله تعالى (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى)^(١) ، ومرة ذكرها باسم النعجة ، قال تعالى (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ)^(٢) و مرة ذكرها باسم الضأن في قوله تعالى (نَمَاتِيَّةً أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ)^(٣) ، ويبدو من خلال التكرار مدى أهميتها في الإسلام بالنسبة للإنسان إذ أنها تشكل مورداً اقتصادياً مهماً في حياته .

وعرفت أيضاً باسم الشاة وقيل الشاء ، وهو جمع ، لا واحد له من لفظه ، والجمع أغنام و غنوم و أغنام و غنم ، مغنمة أي كثيرة^(٤) ، قال الشافعي :

سأكنتم علمي عن ذوي الجهل طاقتي **** ولا أنثر الدر النفيس على الغنم

فمن منح الجهال علماً أضاعه **** ومن منع المستوجبين فقد ضلّم^(٥)

ويطلق على بعضها (بنات حذف) وهي غنم سود صغار يكون تواجدها في الحجاز و اليمن ، وقد ورد ذكرها في حديث النبي (ﷺ) بقوله : " تراصوا بينكم في الصلاة ، لا تتخللكم الشياطين كأنها بنات حذف "^(٦) ، ويطلق عليها اسم (اليعر) أيضاً وعرفت بالغنم المكية ، وقد عرفت الغنم المكية في الحكاية و التعلم من الإنسان و اللعب مثلها في ذلك مثل الغنم الحبشية^(٧) .

وتعد منطقة شبه الجزيرة العربية مصدر انتشار الأغنام لجميع أرجاء البلاد العربية سواء في مصر وما جاورها أو شمال العراق و بلاد الشام قديماً ، وهذا ما يعتقده كثير من الباحثين الذين ثبت لديهم من خلال دراساتهم للآثار المتعلقة بالحيوانات أن موطن تواجد وانتشار الأغنام والماعز هو غرب وجنوب آسيا وإيران ، وهذه الحيوانات كانت منشرة في بلاد

(١) القرآن الكريم : سورة طه (١٨) .

(٢) القرآن الكريم : سورة ص (٢٣) .

(٣) القرآن الكريم : سورة الأنعام (١٤٣) .

(٤) مسعود : المعجم الرائد ، ص ٤٥٩ ؛ عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، ج ١ ، ص ١٢٤٣ ؛ وينظر

عاشور : موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي الشريف ، ص ٢٦١ .

(٥) الشافعي : أبي عبد الله محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ) ، ديوان الإمام الشافعي ، ت. د. أيمن السيد

الصيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٩٧١م ، ص ٧١ .

(٦) الزمخشري : الفايق في غريب الحديث ، ج ١ ، ص ٢٣٥ .

(٧) الجاحظ : كتاب الحيوان ، ج ٦ ، ص ٣١٦ .

الحجاز و اليمن و العراق و الانباط ، حتى عرف بعضها باسم المنطقة التي يعيش فيها وذلك لما له من صفات خاصة به تختلف عن أنواع الأغنام في بقية مناطق الجزيرة العربية^(١) .

فقد ذكرت بلومجارتل أن لا سبيل إلى تحديد نوع سلالة الأغنام الأولى والماعز في ما قبل التاريخ ، وأكدت أن إيران هي الوطن الأصلي لهذه الأغنام وأنها لم تكن مستأنسة ، وأثبتت أن أصحاب الحضارة المصرية استأنسوها من غرب آسيا القريبة آنذاك ، وأيدت في رأيها عن أصل هجرة قطعان الأغنام من غرب آسيا إلى مصر على ما ذكره كل من (آدمتر و هيلز هيمر) وأثبتت أن أقدم سلالة عرفت في الشمال الأفريقي عامة كانت من النوع ذو الأصل الإيراني معتمدة على وجودها حتى الآن في وسط أفريقيا^(٢) .

وذكر أيضاً أن الماعز قد تم تدجينه في منطقة الشرق القديم خلال العصر الحجري الحديث ، وكانت من أكثر الحيوانات المُستهلكة في تلك المنطقة ، بدءاً من العصر الحجري الحديث ، إذ بيّنت التنقيبات الأثرية التي أجريت في جوار البتراء أن الماعز البري كان من أكثر الحيوانات التي كانت تُصطاد في منطقة بيبضا خلال العصر الحجري الحديث^(٣) .

وترتبط تربية الأغنام والماعز ، بشكل عام بنمط الاستيطان المتنقل ، ويبدو أن تربية الأنباط لهذه الحيوانات ورعيها قد بدأ في مرحلة مبكرة من تاريخهم ، فقد مثّلت الماعز والأغنام أكثر أنواع الحيوانات التي كانت تُؤكل في منطقة البتراء خلال الفترة النبطية^(٤) ، وبيّنت الدراسة التي أجريت للبقايا العظمية الخاصة بالنعاج والأغنام التي وُجِدَت في منطقة الزنطور وفي منطقة المعبد الجنوبي في البتراء ، ما يلي :

١- مثّلت العظام الخاصة بالماعز ، والتي تعود للعصر النبطي ، نسبة أكبر من العظام الخاصة بالأغنام ، مما يُشير إلى نسبة استهلاك غذائي أكبر من الماعز مقارنة بالأغنام . وعلى النقيض تماماً نجد أن البقايا العظمية التي عُثِرَ عليها في البتراء التي تعود للعصرين الروماني والبيزنطي ، تُشير إلى أن نسبة الأغنام المكتشفة قد فاقت نسبة الماعز^(٥) .

٢- أن نسبة 20 % من بقايا هذه الحيوانات العظمية كانت أعمارها عند ذبحها من سنة إلى سنتين ، في حين مثّلت نسبة 40 % عظام لنعاج وماعز أعمارها عند تناولها أكثر من ثلاث سنوات ، مما يؤكّد رغبة الأنباط في الاستفادة القصوى من منتجاتها من الألبان والصوف قبل ذبحها^(٦) .

كانت الأغنام والماعز من أكثر الحيوانات التي تُؤكل في مدائن صالح ، إذ تُمثّل بقاياها النسبة الكبرى من كمية العظام التي عُثِرَ عليها ، كما تعتبر الماعز والأغنام من أكثر الحيوانات

(١) الجزار : الأغنام و دورها في الحياة الاقتصادية في مصر القديمة ، ص ٧٢ .
(٢) Baumgartel, E.J., The Cultures of Prehistoric Egypt, (London 1947), p. 23 .

(٣) السلامين : استهلاك الطعام في المملكة النبطية ، ص ٢٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٨ .

(٥) Kansa, S. Whitcher (forthcoming): Food Production. P 32

(٦) السلامين : استهلاك الطعام في المملكة النبطية ، ص ٢٨ .

التي عُثِرَ على عظامها في العقبة ، كشفت الحفريات الأثرية التي أجريت في خربة النوافلة في وادي موسى عن بقايا عظمية لماعز وأغنام تعود للعصر النبطي ، وتمثل نسبة عظام هذه الحيوانات النسبة الأكبر من العظام المكتشفة ، ويبدو أن كمية العظام تعود في أغلبها لذكور ، مما يعني أن الإناث كانت تترك لفترة متقدمة من العمر لغايات الاستفادة من منتجاتها الأخرى^(١) ؛ خصوصاً إذا عرفنا أنها تحمل وتضع في فترات قصيرة نسبياً تقدر بخمسة أشهر تقريباً^(٢) ؛ وعادة ما تتم تربية الماعز والأغنام معاً ، ولكن ما يُميّز الماعز قدرتها على العيش في المناطق ذات البيئات الجافة^(٣) .

وفضلاً عما تقدم من استخدام الأغنام و الماعز في الحياة العامة و الاستفادة منها في الجوانب الاقتصادية فإنها لم تسلم من الطقوس الدينية التي كانت يمارسها العرب قبل الإسلام فقد قدمت الأغنام في كثير من الأحيان ضحايا للآلهة التي كانوا يعبدونها العرب سواء في الحجاز أو اليمن أو الأنباط ، وكانوا يسمونها العتائر وتعني الذبائح وقد استشهد بذلك ؛ كما في قول زهير بن أبي سلمى :

فزلَّ عنها وأوفى رأس مرقبةٍ **** كمنصب العتر دُمى رأسه النسك^(٤)

أحدى عشرة : الكلب :

ومن الحيوانات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم بمضامين مختلفة هو الكلب ، فقد ورد ذكره في قصة أصحاب الكهف تعبيراً عن الوفاء لهم ، كما في قوله تعالى (وَخَسِمُوهُمْ أَقْبَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنَقَلْنَاهُم ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ)^(٥) . و ورد في آيات أخرى للمثل والموعظة ، كما في قوله تعالى (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ)^(٦) .

والكلب حيوان معروف ، وربما وصف به فقيل للرجل كلب وللمرأة كلبة ، والجمع أكلب وكلاب وكليب والأكلاب جمع أكلب ، وهو نوعان : أهلي وسلوقي نسبة إلى سلوق ، وهي مدينة باليمن تنسب إليها الكلاب السلوقية ، وكلا النوعين في الطبع سواء ، وفي الكلب من اقتناء الأثر وشم الرائحة ما ليس لغيره من الحيوانات وبينه وبين الضبع عداوة شديدة ؛ ومن طبعه أنه

1) Studer, J. (2010): Preliminary Report on Faunal Remains. In: L. Nehmé et al (editors): Report on the Third Excavation Season. of the Madâ'in Sâlih Archaeological Project, Paris, p 284 .

(٢) الجاحظ : كتاب الحيوان ، ج٧ ، ص ١١١ .

(٣) السلاطين : استهلاك الطعام في المملكة النبطية ، ص ٢٨ .

(٤) الكلب : كتاب الأصنام ، ص ٣٤ .

(٥) فاعور : علي حسن ، ديوان زهير بن أبي سلمى ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ،

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، ص ٨١ .

(٦) القرآن الكريم : سورة الكهف (١٨) .

(٧) القرآن الكريم : سورة الأعراف (١٧٦) .

يحرس ربه ويحمي حرمه شاهداً وغائباً^(١)؛ وهو أيقظ الحيوان عيناً ، وهو في نومه أسمع من فرس وأحذر من عقق ، وإذا نام كسر أجفان عينيه ولا يطبقها وذلك لخفة نومه^(٢).

ومن بعض الكلاب ما لها أسماء معروفة وألقاب مشهورة وأنساب قائمة و دواوين مخلدة وأعراق محفوظة و مواليد محصاة مثل (كلب جذعان وهو السلهب بن البراق بن يحيى بن وثاب بن مظفر بن محارث) ، ومن أسماءها المشهورة أيضاً (سخام و مقلاء القنيص و جلاء والسرхан والمتناول)^(٣).

ونظراً لأهمية الكلب في حياة العرب قبل الإسلام فإنه حاز مكاناً في شعرهم الفصيح وقصائدهم الطويلة ، وكان من عادة الشعراء إذا كان الشعر مرثيةً أو موعظةً أن تكون الكلاب التي تقتل بقر الوحش ، وإذا كان الشعر مديحاً وقال كأن ناقتي بقرة من صفتها كذا ، أن تكون الكلاب هي المقتولة ، ليس على أن ذلك حكاية عن قصة بعينها ، ولكن الثيران ربما جرحت الكلاب وربما قتلتها ، وأما في أكثر ذلك فإنها تكون هي المصابة ، والكلاب هي السالمة والظافرة وصاحبها الغانم^(٤) ، قال الشاعر :

بتنا وبات جليد الليل يضربنا **** بين البيوت قرانا نبج درواس.

إذا ملا بطنه ألبانها حلباً **** باتت تغنيه وضرى ذات إجراس^(٥).

ولعل الفائدة من استخدام الكلب قديماً وبالدرجة الأولى هي الحراسة سواء كانت حراسة البيوت أو الماشية أو غيرها مما يخشون عليه من السرقة إذ أنه يعد من السباع وإن كان حيواناً أنيساً^(٦) ، فضلاً عن ذلك كانوا يدرّبون الكلاب للصيد ، فيصطادون به ويحلّون صيده^(٧) ، فهو حيوان كثير الرياضة وشديد المجاهدة وكثير الوفاء ومن وفاءه أنه دائم الجوع والسهو ومع ذلك فإنه يخدم بأدنى مراعاة خدمة كثيرة من الملازمة والحراسة ودفع اللصوص فضلاً عن استخدام بعض أعضائه و أحشائه كدواء في العلاجات الطبية قديماً^(٨).

ولم تخلُ أيام العرب من تسمية أحد أيامهم بيوم الكلاب ، فقد عند العرب قبل الإسلام أنهم أسموا أحد أيامهم (يوم الكلاب) وهو من الأيام التي وقعت بين القحطانية والعدنانية ، وخلصته : أن بني تميم خافوا بعد أن أوقع بهم الملك الفارسي ، وضعفوا أن تطمع العرب بأموالهم ، وتستغل ضعفهم فتفاجئهم بغزو ، فاجتمع سبعة من ذوي الرأي فيهم ، وأبرزهم وأسْنهم : أكتّم بن صيفي الأسدي الذي نيف على التسعين ، وقيس بن عاصم المنقري ، والزبرقان بن بدر السعدي ، واتفقوا على خطة حكيمة ، هي أن يجتمعوا على ماء ، ولا يعلم

(١) ينظر العمري : ابن فضل الله (ت٧٤٩هـ) ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، ت. عبد الحميد صالح حمدان ، ط٢ ، مكتبة مدبولي ، ١٩٩٦م ، ص٦٦ .

(٢) الدميري : حياة الحيوان الكبرى ، ص١٤٨ .

(٣) الجاحظ : كتاب الحيوان ، ج٢ ، ص١٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٢٠ .

(٥) الجرجاني : أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي (ت٣٩٢) ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد الجاوي ، مطبعة عيسى البابي ، حلب - سوريا ، ص٤٠٠ .

(٦) الجاحظ : كتاب الحيوان ، ج١ ، ص٢١٥ .

(٧) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٣٠٩ .

(٨) العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، ص٦٦ .

الناس أين هم مجتمعون ، حتى يقوى ظهرهم وتصلح أحوالهم ، فارتحلوا ونزلوا على ماء بين الكوفة والبصرة يدعى "الكلاب" وتفرقت بطونهم : الرباب وسعد وحنظلة في مختلف أطراف الوادي ، والواقع أن إحدى قبائل العرب الجنوبية من نجران "بنو الحارث بن كعب" قد بلغهم ما حل بتميم ، فطمعوا بخيلهم وإبلهم ونسائهم ، فأرادوا اغتنام الفرصة للسطو عليهم ، فجمعوا جمعهم وساروا ومعهم مذبح وقضاعة ، في عسكر عظيم إذ بلغوا ثمانية آلاف " لا يعلم في الجاهلية جيش أكثر منه ، ومن جيش كسرى بذي قار ، ومن يوم جبلة - "كما يقول ابن الأثير- يريدون بني تميم ، ولما سمع بهم هؤلاء امتثلوا لمشورة أكثم بن صيفي ، ورتبوا أنفسهم بشكل جعل لهم الغلبة حين وقعت المعركة ، فأنزلوا بمذبح ومن معها من قضاعة هزيمة شنيعة ، وكسروهم شر كسرة^(١) ، وقتلوا كبار زعمائهم ، وأسروا رئيس مذبح عبد يغوث بن وقاص الحارثي ، وقتلوه لقاء مقتل النعمان بن مالك بن جساس من زعماء تميم ، وقد برز في هذا اليوم قيس بن عاصم المنقري الذي صارت إليه الرياسة في تميم^(٢) .

كما لم تخل عقائد العرب من تقديس بعض الكلاب و وصفها بأنها نواب الآلهة ، وبالأخص آلهة الشفاء ، خصوصا في بلاد الشام و العراق القديم كما بين ذلك أحد الباحثين^(٣) .

إثنى عشرة - أنواع أخرى من الحيوانات المختلفة :

وفضلاً عما تقدم فإن البحث في الحيوان في عصر عرب قبل الإسلام أمر مستفيض ويحتاج إلى موسوعات كبيرة جداً ولعل الكتب التي ألفت في هذا المجال في العصور الإسلامية تدل على ذلك بوضوح أمثال كتاب حياة الحيوان الكبرى للميرى و كتاب الحيوان للجاحظ و غيرها من المصادر التي اهتمت بذكر الحيوانات ، وما ذكر في هذه الرسالة إنما هي نماذج مختارة من بين كل الحيوانات الموجودة آنذاك ، فلم نتطرق في هذه الدراسة بشكل تفصيلي للحيوانات المائية والطيور و الحشرات و الزواحف والمفصليات وغيرها كثير ، فهذا لا يعني عدم وجودها بل إنها تحتاج إلى دراسات مستقلة لكل منها ، وذلك أنها كانت تساهم بشكل كبير في حياة العرب الاقتصادية ، فالطيور كالدجاج بكل أنواعه (المنزلي و البري) و الحمام بأنواعه (الزاجل و طيور الزينة) و الطواويس و الصقور و الوز و غيرها كلها كانت مستخدمة في شؤون الحياة المختلفة^(٤) ، فقد استخدموا الدجاج و الوز والبط كمورد غذائي للسكان فضلاً عن المتاجرة بها في الأسواق ، وهذا يعزز وجودها والاهتمام بها وتربيتها ، وقد دلت على ذلك البقايا الأثرية التي عثر عليها في مناطق الأنباط وغيرها^(٥) .

أما الحمام بأنواعه المختلفة (الأهلي : ومنه الرواعب و المراعيش و العداد والسادد والمضرب و القلاب والمنسوب ، والبري وهو الحمام الذي لا يألف البيوت)^(٦) فقد استخدمه العرب في مجالات شتى بحسب النوع فالأنواع التي تتسم بالجمال استخدمت للتربية في البيوت

-
- (١) توفيق برو : تاريخ العرب القديم ، ط٢ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت - لبنان ، ١٩٦٦م ، ص٢٢٤ .
 - (٢) الأصفهاني : كتاب الأغاني ، ج ١١ ، ص٣٩١٧ ؛ جواد علي : المفصل ، ج ٤ ، ص٣٦٧ .
 - (٣) الصالحي : صلاح رشيد ، الكلب رسول آلهة الشفاء في حضارة العراق القديم ، مركز احياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، ٢٠١٩م ، ص ٥ .
 - (٤) عاشور : موسوعة الطير والحيوان في الحديث النبوي الشريف ، ص ٢٦١ .
 - (٥) ينظر السلامين : استهلاك وانتاج الطعام في الأنباط ، ص ٣٣ .
 - (٦) الميرى : حياة الحيوان الكبرى ، ص ٤١ .

و الهداية ، أما الحمام الرسائل فقد استخدموه لنقل الرسائل والمكاتبات بين الولايات التابعة للممالك و كذلك بين قادة الجيوش و الملوك ، لأنه حيوان يمتاز بقدرة فائقة في حفظ ومعرفة الطريق^(١) .

أما الصقور فكانت تستخدم للصيد من خلال ترويضها وتدريبها على ذلك^(٢) ، وذكر أحد الباحثين أن الصقور كانت لها "منزلة مقدسة تضاهي منزلة الإله"^(٣) ، ففي جزيرة بورنيو في الشرق الأقصى كان يُعتقد أن الصقر هو رسول من الله ، ويطلب الناس منه المعونة قبل الدخول في الحروب ، وكانوا يصنعون له تماثيل لطرد الأرواح الشريرة^(٤) .

ووردت أسماء الطير في الأساطير القديمة ، وتراث الشعوب وثقافتها لما لها من رموز دينية ودينيوية عميقة ترتبط بحياتهم اليومية وما بعد الموت ، ويعتبر عالم الطير مصدرا خصباً للأدباء والشعراء واستلهم رمزية أصواتها التي تحاكي مشاعر الإنسان ونفسيته ، ودلالات سلوكها الموحى والمعبر عن عوالم ملنا بالأسرار والغموض^(٥) .

ظهرت الطيور في الأساطير والديانات في العديد من الثقافات منذ الحضارة السومرية القديمة ، فعلى سبيل المثال ، كانت الحمامة رمزا للآلهة القديمة لبلاد الرافدين إنانا ، وللآلهة الأم الكنعانية عشير ، وكذلك للآلهة اليونانية أفروديت ، و كانت أثينا، آلهة الحكمة اليونانية تتخذ من البومة رمزا لها ، أما في الهند القديمة ، فقد كان الطاووس يمثل أرض الأم ، لطالما اعتبرت الطيور رموزا سواء أكانت جالبة للحظ السيئ والموت ، أو كشيء مقدس ، أو كشعار للنبلية ومن حيث التسلية ، استعملت الطيور الجارحة لصيد الصقور بينما تم الاحتفاظ بطيور الأقفاص لأجل نغماتها واستعملت الطيور الأخرى في الرياضات التقليدية كمصارعة الديوك وسباق الحمام كما تطورت مشاهدة الطيور أيضا لتصبح نشاطا ترفيهيا تظهر الطيور في مجموعة متنوعة من أشكال الفن مثل الرسم والنحت والشعر والنثر^(٦) .

ومن حيث الاستخدامات الاقتصادية ، تم اصطياد الطيور من أجل الغذاء منذ العصر الحجري القديم حيث تم إمساكهم وتربيتهم كدواجن لتوفير اللحم والبيض كما استعملت بعض الأنواع أيضا لتحديد مكان الطعام واستعمال مرشحات العسل واستخدم الريش منذ فترة طويلة لصنع الأفرشة وأقلام الريشة وقذرة السهام أيضا^(٧) .

كما كان السمك أحد الأصناف الغذائية الأكثر شيوعاً في العصور الكلاسيكية ، وانتشرت تصويراته كثيراً في فنون الشرق القديم منذ مرحلة مبكرة ، كما ظهر السمك في الفن النبطي ، حيث نجده في لوحة الأبراج السماوية التي عُثر عليها في خربة التنور ، ويبدو أن الكائنات

(١) الجاحظ : كتاب الحيوان ، ج٣ ، ص٢١٦ .

(٢) الديميري : حياة الحيوان الكبرى ، ص١٠٠ .

(٣) السامرائي : محمد رجب ، صيد الصقور في الحضارة العربية ، ط١ ، نادي التراث الإماراتي ، ٢٠١٣م ، ص٥٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٥٥ .

(٥) ينظر الجاحظ : كتاب الحيوان ، ج٣ ، ص١٦٥ .

(٦) ينظر سمار : تقديس الحيوان عند العرب قبل الإسلام ، ص٢٠٨ ؛ وينظر ابو خضير : الرمزية في الفكر الديني ، ص٤٦٨ .

(٧) سعيد : الثروة الحيوانية في العراق القديم ، ص٩٣ .

البحرية كانت مدرجة ضمن الخيارات الغذائية النبطية ، إذ كشفت الحفريات الأثرية التي أجريت في منطقة الزنطور في البتراء عن بقايا تؤكد أكل السمك من قبل سكان البتراء خلال الفترة النبطية ، واشتملت الأنواع السمكية المستهلكة من قبل الأنباط على سمك التونا وسمك الماكريل وسمك القُشر والتي كانت تُجلب من البحر الأحمر ، كما بيّنت الدراسات التي أجريت للمادة الأثرية المكتشفة في العقبة أن سكانها قد تناولوا المأكولات البحرية وصدّروا السمك المجفف ، كما صنعوا أيضاً صلصة من بقايا الأسماك عرفت باسم جاروم ، وعُثر على ما يُشير إلى صناعتهم لهذه المادة في العقبة والبتراء ، وأكدت الدراسات الأثرية الميدانية أن الأنباط قد استهلكوا أنواعاً عديدة من الأسماك ، إذ بيّنت هذه الدراسات أن جميع الأنواع التي عُثر عليها في كل من البتراء ومداين صالح تنتمي للمجموعات السمكية المتواجدة في البحر الأحمر^(١).

أما بخصوص الأسماك التي عُثر عليها في مداين صالح فنسبتها أقل مقارنة مع البقايا العظمية من الحيوانات الأخرى ، كما أن الأنواع التي عُثر عليها في هذه المنطقة محدودة ، ومن أبرز الأنواع السمكية التي كانت تؤكل في مداين صالح سمك الباروت والسرانيدا ، وبالإضافة إلى أنواع الأسماك البحرية التي عُثر عليها في كل من البتراء ومداين صالح ، فقد كشفت الحفريات الأثرية التي أجريت في الزنطور عن أدلة على وجود سمكة عاشت في مياه عذبة من فصيلة سمك القط ، مما يُشير إلى احتمال تجارة مع مناطق بلاد الشام ومصر ، كما كشفت أيضاً عن أدلة على استخدام الصدفيات والمحار ومن المعروف أن نقل السمك من مكانٍ لآخر يتطلب حفظه حتى لا يتعفن ، ويبدو أن الأنباط كانوا على دراية بتقنيات الحفظ هذه ، وقد بيّنت الدراسات اتباع القدماء عدة طرق لحفظ الأسماك ، ومن أقدم هذه الطرق التمليح ، حيث يؤخّر الملح التحلل البكتيري للسمكة ، ويساعد على احتفاظها بقيمتها الغذائية وعدم تعفنها ، إضافة إلى الحفظ بالتجفيف باستخدام أشعة الشمس ، حيث يمكن حفظ الأسماك بهذه الطريقة لعدة أشهر^(٢).

ومما تقدم يتضح أن سكان الجزيرة العربية قبل الإسلام كانوا يعدون الأسماك من الوجبات الأساسية في الطعام ، خصوصاً وأن أغلب مدنها هي محاذية لسواحل البحار أو الخليج العربي أو المضائق المائية الأمر الذي يجعلهم بتماس مباشر مع المياه طوال الوقت ، وهذه المياه كانت مصدر أساسي لاقتصاد البلاد العربية إذ كانوا يتعاملون من خلالها بالتجارة مع الشرق الهندي والغرب الأوروبي .

كما لا يخفى عنا أيضاً في مجال الحيوان وجود الأنواع الكثيرة من الحشرات المعروفة قبل الإسلام و التي تكلم عنها القرآن الكريم في نصوصه الشريفة ، ومنها الجراد و القمل و الصراصير وغيرها .

ولعل سائل يسأل عن أهمية دراسة الحشرات في عصر العرب قبل الإسلام أو العصور القديمة وما هو تأثيرها على الإنسان ، والجواب على هذا السؤال يشير إليه الجاحظ بقوله : " فأما خلق البعوضة والنملة والفراشة والذرة والذبان والجعلان ، واليعاسيب والجراد فأياك أن تتهاون بشأن هذا الجند ، وتستخف بالآلة التي في هذا الذرة ، فربّت أمة قد أجلاها عن بلادها

1) Glueck, N. (1966): The Story of the Nabataeans, P. 49 .

(٢) السلامين : استهلاك وإنتاج الطعام في الأنباط ، ص ٣٩-٤٠ .

النمل ، ونقلها عن مساقط رؤوسها الذر ، وأهلك بالفرار ، وجردت بالجراد ، وعذبت بالبعوض ، وأفسد عيشها الذبان ، فهي جند إن أراد الله عز وجل أن يهلك بها قوماً بعد طغيانهم وتجبرهم وعتوهم ، ليعرفوا أو ليعرف بهم أن كثير أمرهم لا يقوم بالقليل من أمر الله عز وجل...^(١) ، و يفهم من هذا النص الحكمة من وجود هذه الكائنات الحية الصغيرة في أحجامها الكبيرة في فعاليتها الحياتية ، فضلاً عن أن بعضها مما يأكله العرب منذ القدم وهو الجراد^(٢) ، وكذا الحال بالنسبة للزواحف والمفصليات^(٣).

وفي ختام هذا الفصل نود الإشارة إلى أن الحيوانات المتقدم ذكرها بعمومها كانت تعيش جنباً إلى جنب مع الفرد العربي قبل الإسلام ، وهي تشكل جانباً مشرقاً في حياته التي تقوم بمجملها على تربية الحيوانات و الزراعة ، فهي تشكل محورين مهمين هما محور الاقتصاد المتمثل بالطعام و التجارة ، ومحور آخر هو الأُنس بها في ساعات راحته فهي تثير البهجة كما يقال ، وهو يشعر بالراحة والمتعة عندما يشاهد جمالها وما تتمتع به من ألوان جذابة وسحر يسر النفوس ويدخل عليها الهدوء^(٤) ، أو يمارس الصيد بها أو استخدامها في المسابقات ومثال ذلك مسابقات الخيل التي كانت تقام قبل الإسلام بين أبناء القبائل^(٥) ، حتى صارت الحيوانات جزء من المنظومة الثقافية للعربي قبل الإسلام فدخلت في قصائده الشعرية و المقطوعات النثرية فقد أصبحت جزء من الأدب العربي^(٦).

وفضلاً عن ذلك فإن وجود الآثار المادية من عظام وجلود وبقايا الطعام الذي يدل على وجود الحيوانات في مكان ما ، لا يعني عدم وجودها في أماكن أخرى لا توجد فيها آثار حيوانية.

-
- (١) كتاب الحيوان ، ج٣ ، ص٣٠٣-٣٠٤ .
 - (٢) الجاحظ : كتاب الحيوان ، ج٤ ، ص٥٦٥ .
 - (٣) ينظر الدميري : حياة الحيوان الكبرى ، ص٣٢ و ٣٣ و ٨٢ و ١٢٢ .
 - (٤) للمزيد ينظر بيرتون : د. موريس ، حياة الطير ، ترجمة د. عطا الله خلف الدويني .
 - (٥) للمزيد ينظر الأعرابي : أسماء خيل العرب وفرسانها ؛ الكلبى : كتاب أنساب الخيل .
 - (٦) للمزيد ينظر الهبيبي : الفروسية في الشعر بين أبي فراس الحمداني وأسامة بن منقذ (رسالة ماجستير).

اثنین ومن البقر اثنین قل الذکرین حرم أم الاثنین أما اشمکت علیہ ارحام الاثنین أم کنتم شهداء إذ وصاکم اللہ بهذا فمن اظلم ممن اقترى علی اللہ کذباً لیضل الناس بغير علم إن اللہ لا یهدی القوم الظالمین ، قل لا أجد فی ما أوحی الیّ محرماً علی طاعیم یلعمہ إلا أن یتکون میتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزیر فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير اللہ به فمن اضطر غیر باغ ولا عاد فإن ربک غفور رحیم ، وعلى الذین هادوا حرمنا کل ذی ظفر ومن البقر والغنم حرمنا علیہم شحومہما إلا ما حملت ظهورہما أو الحویا أو ما اختلط بعظم ذلك جزئناہم ببعیہم وإننا لصادقون (۱) .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآيات : " وهذا بيان لجهل العرب قبل الإسلام فيما كانوا حرموا من الأنعام ، وجعلوها أجزاءً وأنواعاً : بحيرة ، وسائبة ، ووصيلة وحاما ، وغير ذلك من الأنواع التي ابتدعوها في الأنعام والزرور والثمار ، فبين أنه تعالى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات ، وأنه أنشأ من الأنعام حمولة وفرشا . ثم بين أصناف الأنعام إلى غنم وهو بياض وهو الضأن ، وسواد وهو المعز ، ذكره وأنثاه ، وإلى إبل ذكورها وإنثاءها ، والبقر كذلك . وأنه تعالى لم يحرم شيئاً من ذلك ولا شيئاً من أولاده . بل كلها مخلوقة لبني آدم ، أكلا وركوبا ، وحمولة ، وحلبا ، وغير ذلك من وجوه المنافع ، كما قال تعالى (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) (۲) .

وقوله : (أما اشمکت علیہ ارحام الاثنین) رد عليهم في قولهم : ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ، وقوله : (نبئوني بعلم إن كنتم صادقين) أي : أخبروني عن يقين : كيف حرم الله عليكم ما زعمتم تحريمه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك؟ (۳) .

و روي عن ابن عباس قوله : ثمانية أزواج من الضأن اثنین ومن المعز اثنین ، فهذه أربعة أزواج ، (ومن الإبل اثنین ومن البقر اثنین قل الذکرین حرم أم الاثنین) يقول : لم أحرم شيئاً من ذلك ، أما اشمکت علیہ ارحام الاثنین ، يعني : هل يشمل الرحم إلا على ذكر أو أنثى فلم تحرمون بعضاً وتحلون بعضاً ؟ نبئوني بعلم إن كنتم صادقين ، يقول : كله حلال وأول

(۱) القرآن الكريم : سورة الأنعام (۱۴۳ - ۱۴۶) .

(۲) ابن كثير : التفسير ، ج ۲ ، ص ۱۹۰ ؛ ومجاهد : تفسير مجاهد ، ج ۱ ، ص ۲۲۶ ؛ وينظر الطوسي : أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (ت ۴۶۰هـ) ، الرسائل العشر ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم - إيران ، ص ۳۱۹ ؛ النراقي : أحمد بن محمد مهدي (ت ۱۲۴۵هـ) ، مستند الشيعة ، ت. مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) ، ط ۱ ، ستارة ، قم - إيران ، ۱۴۱۵هـ - ۱۹۹۵م ، ج ۱۵ ، ص ۱۱۰ .

(۳) ابن كثير : التفسير ، ج ۲ ، ص ۱۹۱ ؛ ينظر الطبري : تفسير جامع البيان ، ج ۸ ، ص ۸۷ .

من دخل في هذه الآية : عمرو بن لحي بن قمعة ، فإنه أول من غير دين الأنبياء ، وأول من سيب السوائب ، ووصل الوصيلة ، وحمى الحامي ، كما ثبت ذلك في الصحيح^(١) .

ومرة ذكرها لبيان أهميتها في حياة الانسان العملية والاقتصادية ومثال ذلك الخيل والحمير والبغال وغيرها كما في قوله تعالى : (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)^(٢) ، فقد روى الطبري عن ابن عباس ، قوله (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا) قال : هذه للركوب ، (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ) قال : هذه للأكل ، وروى أيضا أن ابن عباس كان يكره لحوم الخيل والبغال والحمير ، وكان يقول : قال الله (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) فهذه للأكل (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا) فهذه للركوب^(٣) .

و روي عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أنه سئل عن لحوم الخيل ، فقال : اقرأ التي قبلها (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً) فجعل هذه للأكل ، وهذه للركوب ، و روي عن الحكم في قوله تعالى (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) فجعل منه الأكل ، ثم قرأ حتى بلغ (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا) قال : لم يجعل لكم فيها أكلا ، قال : وكان الحكم يقول : والخيل والبغال والحمير حرام في كتاب الله^(٤) ، وكان البعض يخالفونه في هذا التأويل ، ويرون أن ذلك غير دالّ على تحريم شيء ، وأن الله جلّ ثناؤه إنما عرف عباده بهذه الآية وسائر ما في أوائل هذه السورة نعمه عليهم ونبيهم به على حججه عليهم ، وأدلته على وحدانيته ، وخطأ فعل من يشرك به من أهل الشرك " ^(٥) .

و ذكر في تفسير النص أن القرآن الكريم أشار إلى الإبل و البقر و الغنم و الفائدة المتوخاة من أوبارها و أصوافها و أشعارها في صناعة الملابس و الأقمشة المستخدمة في الدفء ، وفائدتها من خلال النسل و الحليب و الركوب و الحمل ، و الفائدة من لحومها كطعام لهم ، و فائدتها في توفير الراحة النفسية لمن يعمل على العناية بها ، وذلك لما تملكه من جمال صنع الخالق في أشكالها و أفعالها و الأسرار المكنونة فيها ، فضلا عن استخدامها كوسيلة نقل من بلد

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ١٩١ ؛ ابن أبي حاتم : أبو محمد بن محمد بن إدريس الرازي (ت ٣٢٧هـ) ، تفسير ابن أبي حاتم ، ت. أسعد محمد الطيب ، المكتبة العصرية ، صيدا ، ج ٥ ؛ ص ١٤٠٢ ؛ النحاس : أبي جعفر (ت ٣٣٨هـ) ، معاني القرآن الكريم ، ت. محمد علي الصابوني ، ط ١ ، جامعة أم القرى ، السعودية ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، ج ٢ ، ص ٥٠٥ .

(٢) القرآن الكريم : سورة النحل (الآية ٨) .

(٣) الطبري : جامع البيان ، ج ١٤ ، ص ١١٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ١٤ ، ص ١١١ ؛ السمرقندي : التفسير ، ج ٢ ، ص ٢٦٦ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ج ١٤ ، ص ١١٢ .

إلى آخر قد يكون بعيد نسبياً على أهل ذلك الزمان ، حتى وصفه القرآن بقوله : (لم تكونوا بالغية إلا بشق الأنفس)^(١) .

وجاء ذكرها للإشارة إلى أهمية العلم والمعرفة كما في قوله تعالى : (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ)^(٢) ، ففي مواضع متعددة من القرآن الكريم ورد ذكر بعض الحيوانات لبيان عظمة الله تعالى وإبداعه في خلقه ، والاعجاز المتناهي في الخلق والتصوير الدقيق للحيوانات التي نراها اليوم وجمال تلك المخلوقات في المظهر والتنسيق الخارجي للجسم والانسجام في الألوان المختلفة والاختلاف بينها في الحجم والجسم وعدد الأرجل ومنها الطائر ومنها ما يدب على الأرض ومنها ما يمشي ومنها ما يزحف ومنها ما يسبح في الماء وغير ذلك من مظاهر الحياة المختلفة ، فقد ورد في قوله تعالى : (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)^(٣) ، في هذه الآية الكريمة يخص الله سبحانه وتعالى الإبل من بين مخلوقاته الحية ، ويجعل النظر إلى كيفية خلقها أسبق من التأمل في كيفية رفع السماوات ونصب الجبال وتسطيح الأرض ، ويدعو إلى أن يكون النظر والتأمل في هذه المخلوقات مدخلاً إلى الإيمان الخالص بقدرة الخالق وبديع صنعه ، والآية الكريمة " أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ " أفلا صيغة استفهام إنكاري ، وهي أفضل صور الحث على النظر ، وعلى إعمال البصر ، والعقل والقلب للوصول إلى ما عليه الإبل من خلق بديع وفيها دعوة للنظر إلى الإبل بما هي عليه من الخلق البديع من عظم جثتها ومزيد قوتها وبديع أوصافها ، فقد خلقت جميلة جداً ، فهي تبهرك حين تمشي وحين ترد الماء وحين تبرك^(٤) .

قال الطوسي : " ثم نبه تعالى على الأدلة التي يستدل بها على توحيده ووجوب إخلاص العبادة له فقال (أَفَلَا يَنْظُرُونَ) أي أفلا يتفكرون بنظرهم (إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) ويعتبرون بما خلقه الله عليه من عجب الخلق ، ومع عظمتهم وقوته يذلل من قبل الصبي الصغير فينقاد له بتسخير الله ويبركه ويحمل عليه ثم يقوم ، وليس ذلك في شئ من الحيوان ، بتسخير الله لعباده ونعمته به على خلقه " ^(٥) ، أضف إلى ذلك أنَّ لهذا الحيوان خصائص عجيبة قد تفرّد بها عن بقية الحيوانات ، ويعتبر بحق آية من آيات خلق الله الباهرة ، فمن خصائصها ما يأتي :

- (١) الثعلبي : أبو اسحاق أحمد (ت ٤٢٧ هـ) ، الكشف والبيان في تفسير القرآن ، ت. أبي محمد بن عاشور ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م ، ج ٦ ، ص ٥ ؛ الواحدي : أبي الحسن (ت ٤٦٨ هـ) ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ت. صفوان عدنان داوودي ، ط ١ ، دار القلم ، بيروت ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ، ج ١ ، ص ٦٠١ ؛ السمعاني : أبو المظفر منصور بن محمد (ت ٤٨٩ هـ) ، تفسير القرآن ، ت. ياسر بن إبراهيم ، ط ١ ، دار الوطن ، السعودية ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ، ج ٣ ، ص ١٦١ ؛ المشهدي : كنز الدقائق ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ ؛ ابن العربي : أبو بكر المالكي (ت ٥٤٣ هـ) ، أحكام القرآن ، ت. محمد عب القادر عطا ، دار الفكر ، بيروت ، ج ٣ ، ص ١٢١ ؛ الفخر الرازي : محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي (ت ٦٠٦ هـ) ، التفسير الكبير ، ط ٣ ، (د.م.ط) ، ج ٢ ، ص ١٠٥ .
- (٢) القرآن الكريم : سورة الغاشية (الآيات ١٧ - ٢٠) .
- (٣) القرآن الكريم : سورة الغاشية (١٧) .
- (٤) الصلابي : د. علي محمد محمد ، المعجزة الخالدة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (براهين ساطعة وأدلة قاطعة) ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ٢٠١٣ م ، ص ١٥٧ - ١٥١ ؛ الحاج : يوسف ، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ط ٢ ، مكتبة ابن حجر ، دمشق ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، ص ٤٧٨ .
- (٥) التبيان ، ج ١٠ ، ص ٣٣٥ ؛ الزمخشري : الكشف ، ج ٤ ، ص ٢٤٧ .

١ - لو نظرنا إلى موارد الإستفادة من الحيوانات الأليفة ، فسنرى أنّ قسماً منها لا يستفاد إلا من لحومها ، والقسم الآخر يستفاد من ألبانها على الأغلب ، وقسم لا يستفاد منه إلا في الركوب ، وقسم قد تخصص في حمل ونقل الأثقال ، ولكن الإبل تقدم كلّ هذه الخدمات (اللحم ، اللبن ، الركوب والحمل) .

٢ - قدرة حمل وتحمل الإبل أكثر بكثير من بقية الحيوانات الأهلية ، حتى أنّها لتبرك على الأرض فتوضع الأثقال عليها ثم تنهض بها ، وهذا ما لا تستطيع فعله بقية الحيوانات الأهلية .

٣ - تتحمل العطش لأيام متتالية (بين السبعة إلى عشرة أيام) ، وقابليتها على تحمل الجوع مذهلة .

٤ - يطلق عليها اسم (سفينة الصحراء) ، لما لها من قابلية فائقة على طي مسافات طويلة في اليوم الواحد ، رغم الظروف الصحراوية الصعبة ، فلا يعرقل حركتها صعوبة الأرض أو كثرة المنخفضات الرملية ، وهذا ما لا نجده في أي حيوان آخر وبهذه الموصافات .

٥ - مع إنّها تتغذى على أي شوك وأي نبات ، فهي تشبع بالقليل أيضاً^(١) .

ومرة ذكر الحيوانات اشارة الى عظمة خلقه وابداعه في الكون ومثال ذلك الذباب والبعوض ، قال تعالى (**إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيٰ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضُهُ فَوْقَ مَا آتَا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَهُ**

الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ)^(٢) .

، إن إشارة القرآن الكريم إلى البعوض وما يعبر عنه هذا الكائن البسيط من عظمة متناهية في الخلق و الإبداع و كيف أن الإنسان عاجز عن الإتيان بمثله مع بساطته و صغره إلا أنه يعكس إبداعية الله تعالى في الكون و ما يحويه من كائنات عجيبة ، وهذه الآيات تدل على أنه تعالى لا يستحي من بيان العلوم النفيسة عن طريق ضرب الأمثال بالأشياء الحغيرة^(٣) ، وقد صرح بهذا المدلول في قوله : (**إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيٰ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعْضُهُ فَوْقَ مَا آتَا**) ، وقد يبدو في بادئ النظر

عدم التناسب بين مساق الآيات السالفة ومساق هذه الآية ، فبينما كانت الآية السابقة ثناء على هذا الكتاب المبين ، ووصف حالي المهتدين بهديه والناكبين عن صراطه وبيان إعجازه والتحدي به مع ما تخلل وأعقب ذلك من المواعظ والزواجر النافعة والبيانات البالغة والتمثيلات الرائعة ، إذا بالكلام قد جاء يخبر بأن الله تعالى لا يعبأ أن يضرب مثلاً بشيء حقير أو غير حقير ، فحقيق بالناظر عند التأمل أن تظهر له المناسبة لهذا الانتقال ، ذلك أن الآيات السابقة اشتملت على تحدي البلغاء بأن يأتوا بسورة مثل القرآن ، فلما عجزوا عن معارضة النظم سلخوا في المعارضة طريقة الطعن في المعاني فلبسوا على الناس بأن في القرآن من سخيّف المعنى ما

(١) مكارم الشيرازي : الشيخ ناصر ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ط ١ ، الناشر مدرسة الإمام علي بن ابي طالب (ع) ، قم - إيران ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م ، ج ٢٠ ، ص ١٥٨ .

(٢) القرآن الكريم : سورة القدر (الآية ٢٦) .

(٣) الشنقيطي : محمد الأمين (ت ١٣٩٣هـ) ، أضواء البيان في تفسير القرآن ، ت. مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، ج ٢ ، ص ١٤٥ .

ينزه عنه كلام الله ليصلوا بذلك إلى إبطال أن يكون القرآن من عند الله بإلقاء الشك في نفوس المؤمنين وبذر الخصب في تنفير المشركين والمنافقين^(١) .

وعلى نحو ما تقدم قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)^(٢) ، فقد روى الواحدي عن ابن عباس أن الله تعالى لما أنزل قوله : (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ)^(٣) ، وقوله : (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً)^(٤) ، قال المشركون أريتم أي شيء يصنع بهذا^(٥) ، فأُنزل الله : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا) .

وإن قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ) هو تحدي واضح للذين يحاربون الله ورسوله و في نفس الوقت هو بيان لقدرة و عظمة الله تعالى في خلقه لكائنات يعجز غيره عن خلقها و إيجادها ، إذن فهذا يقع في بيان قدرة الله على الخلق و الإبداع^(٦) .

وجاء ذكرها لاستعراض صور الهلاك التي تعرض لها الاقوام السابقين مثال ذلك القمل والجراد والضفادع وغيرها كما في قوله تعالى (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ)^(٧) ، وذلك في زمن موسى عليه السلام لما عصاه قومه بني إسرائيل^(٨) .

وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم استعرض الخالق تبارك وتعالى حياة بعض الحيوانات التي تمتاز بنظام متناسق و لها أهمية في صناعة الأطعمة المفيدة التي تستخدم في الأكل و الدواء ، وأوضح ذلك بأنه من تدبير الله تعالى فقد ورد في قوله تعالى عن النحل إذ قال تعالى : (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ)^(٩) ، وقوله تعالى : (ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ)

- (١) ابن عاشور : التحرير و التنوير ، ج ١ ، ص ١٨٠ .
- (٢) القرآن الكريم : سورة الحج (آية ٧٣) .
- (٣) القرآن الكريم : سورة الحج (٧٣) .
- (٤) القرآن الكريم : سورة العنكبوت (٤١) .
- (٥) الواحدي : أبي الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ) ، أسباب نزول الآيات ، مؤسسة الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م ، ج ١ ، ص ٩ .
- (٦) ينظر الشيرازي : تفسير الأمثل ، ج ١ ، ص ١٣٥ .
- (٧) القرآن الكريم : سورة الأعراف (الآية ١٣٣) .
- (٨) ينظر الطبرسي : مجمع البيان ، ج ٩ ، ص ٨٥ .
- (٩) القرآن الكريم : سورة النحل (٦٨) .

فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ^(١) ، و يبدو من قوله (لقوم يتفكرون) أن الخطاب موجه للعقلاء الذين يتأملون في خلق الله تعالى وما فيه من عجائب الملكوت العظيم ، و كمية الإبداع في هذا الخلق ، فقد ذكر المفسرون في تفسير الآية السالفة " ... ومعنى " ذللا " إنه قد ذللها لك وسهل عليك سلوكها وفي ذلك اعظم العبر واطهر الدلالة على توحيدة تعالى وأنه لا يقدر عليه سواه ، ثم قال " يخرج من بطونها " يعني بطون النحل " شراب مختلف ألوانه " من أصفر وأبيض وأحمر ، مع أنها تأكل الحامض والمر فيحيله الله عسلا حلوا لذيذا " فيه شفاء للناس " لما شفاؤها فيه ، واكثر المفسرين على ان (الهاء) راجعة إلى العسل ، وهو الشراب الذي ذكره ، وأن فيه شفاء من كثير من الامراض ، وفيه منافع جمّة ، وقال مجاهد (الهاء) راجعة إلى القرآن " وفيه شفاء للناس " ، لما فيه من بيان الحلال ، والحرام ، والفتيا ، والاحكام ، والاول أوثق ، ثم اخبر تعالى ان فيما ذكره آيات واضحات ، ودلالات بينات ، لمن يتفكر فيه ويهتدي بهديه ، وانما قال " من بطونها " وهو خارج من فيها ، لان العسل يخلقه الله في بطون النحل ويخرجه إلى فيه^(٢) .

وقد روي عن أبو عبد الله عليه السلام { قال : لقد أخبرني أبي عن جدّي عليه السلام } ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن قتل ستة : النحلة والنملة والضفدع والصرده والهدده والخطاف ، فأما النحلة فأنها تأكل طيبا وتضع طيبا وهي التي أوحى الله اليها ليست من الجن ولا من الانس^(٣) .

وروي أيضا عن أبي عبد الله عن أبيه عليه السلام { قال : جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين بي وجع في بطني فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : ألك زوجة ؟ قال : نعم قال استوهب منها شيئا طيبة به نفسها من مالها ثم اشتر به عسلا ثم اسكب عليه من ماء السماء ثم اشربه فإني سمعت الله يقول في كتابه : و نزلنا من السماء ماء مباركا ، و قال : يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، و قال : فإن طبن لكم منه شيئا فكلوه هنيئا مريئا ، شفيت إن شاء الله تعالى ، قال : ففعل ذلك فشفي^(٤) ، وفي الرواية إشارة واضحة على استخدام العسل للتداوي في المجتمع قديما وهذا ما جعل العسل من مظاهر الغنى و الترف في القديم ، و النحل من الحيوانات التي تربي في أجواء خاصة و من أصحاب الحرف المهمة .

-
- (١) القرآن الكريم : سورة النحل (٦٩) .
 - (٢) الطوسي : التبيان في تفسير القرآن ، ج ٦ ، ص ٣٩٩ ؛ الزمخشري : الكشاف ، ج ٢ ، ص ٤١٨ ؛ المجلسي : بحار الأنوار ، ج ٦١ ، ص ٢٣٤ .
 - (٣) الحويزي : الشيخ عبد علي بن جمعة (ت ١١١٢هـ) ، تفسير نور الثقلين ، ت. هاشم الرسولي المحلاتي ، ط ٤ ، مؤسسة اسماعيليان ، قم ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، ج ٥ ، ص ٦٩ ؛ وينظر الخطيب البغدادي : أبي بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ) ، تاريخ بغداد ، ت. مصطفى عبد القادر عطا ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، ج ٤ ، ص ١٤٢ .
 - (٤) الطباطبائي : تفسير الميزان ، ج ٤ ، ص ٢٥ ؛ العياشي : محمد بن مسعود (ت ٣٢٠هـ) ، تفسير العياشي ، ت. هاشم الرسولي المحلاتي ، المكتبة العلمية الإسلامية ، طهران ، (د.ت) ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ .

يقول الطباطبائي : " و تفصيل القول في حياة النحلة هذه الحشرة الفطنة التي بنت حياتها على مدنية عجيبة فاضلة لا تكاد تحصى غرائبها و لا يحاط بدقائقها ثم الذي تهيبه ببالح مجاهدتها و ما يشتمل عليه من الخواص خارج عن وسع هذا الكتاب فليراجع في ذلك مظان تحقيقه ... و أمر النحل في حياتها يتضمن دقائق عجيبة لا تنكشف للإنسان إلا بالإمعان في التفكير فهو آية للمتفكرين "(١) .

ويقول الشيرازي : " وأخيراً يعرض القرآن المهمة الأخيرة للنحل كنتيجة لما قامت به من مهام سابقة (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) في ذلك الآية لقوم يتفكرون) في طبيعة حياتها وما تعطيه من غذاء للإنسان (فيه شفاء) ، وهو دليل على عظمة وقدرة الباري عز وجل "(٢) .

ومن هذا المنطلق للتكثيف القراني في ذكر الحيوانات في المجالات المختلفة في القرآن الكريم عمدت الى دراسة الحيوانات التي ورد ذكرها في القرآن دراسة تاريخية ، وسنوضح ذلك من خلال دراسة النصوص القرآنية المتضمنة ذكر الحيوان دراسة تفسيرية تاريخية معتمدين على التسلسل الزمني للحوادث التاريخية الواردة في القرآن الكريم وقصص الانبياء .

ثانياً - الحيوانات التي ذكرت في قصة النبي آدم عليه السلام :

لقد أشرنا سلفاً إلى أننا سنبحث في هذه الدراسة عن الحيوان في القرآن الكريم دراسة تاريخية ولعل أجدى الوسائل في الترتيب الزمني هو تتبعها من خلال قصص الأنبياء في القرآن الكريم ، و أولها قصة آدم عليه السلام ، ومن ثم الأنبياء الذين خلفوا من بعده .

قال تعالى في كتابه العزيز في قصة النبي آدم عليه السلام : (وَأَنذَرْتُ عَلَيْهِمْ نَارَ ابْنِي أَدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يَقْبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ أَأَقْبَلْتُكَ قَالَ إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ، لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ، فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ) (٣) ، وهنا يستعرض القرآن أول علاقة بين الحيوان و

الإنسان وأهميته الاقتصادية كونه يمثل مورداً أساسياً للطعام ، فقد أشارت المصادر إلى أن قربان المذكور في النص المتقدم هو من الأغنام وإن كان النص القرآني لم يحدد ذلك ، إلا أن الروايات تشير إلى أن هابيل ابن آدم كان يرعى الأغنام و أما قابيل فكان يعمل في زراعة

(١) تفسير الميزان : ج ١٢ ، ص ١٥٢ .

(٢) التفسير الأمثل ، ج ٨ ، ص ٢٤٠ .

(٣) القرآن الكريم : سورة المائدة (٢٧ - ٣١) .

الأرض ، ولذلك فإن القربان الذي قرباه الله تعالى كان بكر من أغنام هابيل و مجموعة من ثمار مزرعة قابيل^(١) .

وقد أشارت إلى تلك القصة الكتب السماوية الأخرى مثل التوراة ، فقد ورد فيها : (١ وعرف آدم امرأته فحبلت و ولدت قايين - يعني قابيل - و قالت اقتنيت رجلا من عند الرب ٢ ثم عادت فولدت أخاه هابيل و كان هابيل راعيا للغنم و كان قايين عاملا في الأرض ٣ و حدث من بعد أيام أن قايين قدم من أثمار الأرض قربانا للرب ٤ و قدم هابيل أيضا من أبقار غنمه و من سمانها فنظر الرب إلى هابيل و قربانه ٥ و لكن إلى قايين و قربانه لم ينظر فاعتاظ قايين جدا و سقط وجهه ٦ فقال الرب لقايين لماذا اغتظت و لماذا سقط وجهك ٧ إن أحسنت أفلا رفع وإن لم تحسن فعند الباب خطيئة رابضة وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها . ٨ وكلم قايين هابيل أخاه وحدث إذ كانا في الحقل أن قايين قام على هابيل أخيه وقتله ٩ فقال الرب لقايين أين هابيل أخوك فقال لا أعلم أحارس أنا لأخي ١٠ فقال ماذا فعلت صوت دم أخيك صارخ إلي من الأرض ١١ فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاتها لتقبل دم أخيك من يدك ١٢ متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها تائها و هاربا تكون في الأرض ١٣ فقال قايين للرب ذنبي أعظم من أن يتحمل ١٤ إنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض ومن وجهك أختفي وأكون تائها و هاربا في الأرض فيكون كل من وجدني يقتلني ١٥ فقال له الرب لذلك كل من قتله قايين فسبعة أضعاف ينتقم منه وجعل الرب لقايين علامة لكي لا يقتله كل من وجده ١٦ فخرج قايين من لدن الرب وسكن في أرض نود شرقي عدن)^(٢) .

والتقارب واضح في القصة بين القرآن الكريم و التوراة ، وإن كانت التوراة تطرقت الى بعض التفاصيل الدقيقة التي اغفلها القرآن والتي تتعلق بعملهما و طبيعة القربان الذي قدمه كل منهما و حال قابيل بعد قتل أخيه إلا أن الاطار العام للقصة نفسه ليس فيه اختلاف كبير وهذا الأمر يدل على أن القرآن والتوراة كلاهما من مصدر واحد ، و عليك أن تتدبر ما تشتمل عليه القصة على ما قصتها التوراة و على ما قصها القرآن ثم تطبق بينهما ثم تقضي ما أنت قاض ، وهذا إشكال يطرحه السيد الطباطبائي ثم يجيب عليه في فقرة أخرى حيث يرى أن " التوراة جعلت الرب تعالى موجوداً أرضياً على صورة إنسان يعاشر الناس يحكم لهم وعليهم كما يحكم احد الناس فيهم ... تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .. وأما القرآن فإنه يقص القصة على أساس تماثل الأفراد غير أنه يذيل قصة القتل بقصة بعث الغراب فيكشف عن حقيقة كون الانسان تدريجي الكمال بانياً استكماله في مدارج الكمال الحيوي على أساس الحس والفكر^(٣) .

وقد روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال : " قتل قابيل هابيل و تركه بالعراء لا يدرى ما يصنع به فقصده السباع فحمله في جراب على ظهره حتى أروح و عكفت عليه الطير و السباع تنتظر متى يرمي به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره و برجله ثم ألقاه في الحفيرة و واره و قابيل ينظر إليه فدفن أخاه "^(٤) ، و عن ابن

(١) التويري : نهاية الإرب ، ج ١٣ ، ص ٣٣ .

(٢) سفر التكوين ، الأصحاح الرابع (١ - ١٦) .

(٣) تفسير الميزان ، ج ٥ ، ص ٣٢٤ .

(٤) الطبرسي : أبي علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨ هـ) ، تفسير جوامع الجامع ، ت. مؤسسة النشر الإسلامي ، ط ١ ، جماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ، ج ١ ، ص ٤٩٣ ؛ الفيض الكاشاني : محسن =

عباس قال : " لما قتل قابيل هابيل أشاك الشجر و تغيرت الأطعمة و حمضت الفواكه و أمر الماء و اغبرت الأرض فقال آدم قد حدث في الأرض حدث فأتى الهند فإذا قابيل قد قتل هابيل فأنشأ يقول :

تغيرت البلاد و من عليها ***** فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون و طعم ***** و قل بشاشة الوجه الصبيح^(١)
و قال سالم بن أبي الجعد لما قتل هابيل مكث آدم سنة حزينا لا يضحك^(٢) .

كما روي عن الإمام السجاد (عليه السلام) { بعد ذكر قربانيهما قال : " فلم يدر كيف يقتله حتى جاء إبليس فعلمه فقال ضع رأسه بين حجرين ثم أشدخه فلما قتله لم يدر ما يصنع به فجاء غرابان فاقتتلا حتى قتل أحدهما صاحبه ثم حفر الأرض الذي بقي بمخالبه ودفن فيها صاحبه قال قابيل يا ويلتى .. الآية ، فحفر له حفيرة فدفنه فيها فصارت سنة يدفنون الموتى فرجع قابيل إلى أبيه فلم ير معه هابيل فقال له آدم : أين تركت ابني ؟ قال له قابيل : أرسلتني عليه راعيا ، فقال آدم : انطلق معي إلى مكان القربان ، وأوجس قلب آدم بالذي فعل قابيل فلما بلغ مكان القربان استبان قتله فلعن آدم الأرض التي قبلت دم هابيل وأمر آدم أن يلعن قابيل ونودي قابيل من السماء : لعنت كما قتلت أخاك ولذلك لا تشرب الأرض الدم ، فانصرف آدم فبكى على هابيل أربعين يوما وليلة فلما جزع عليه شكى ذلك إلى الله فأوحى إليه : أني واهب لك ذكرا يكون خلفا من هابيل ، فولدت حواء غلاما مباركا فلما كان اليوم السابع أوحى الله إليه : يا آدم إن هذا الغلام هبة مني لك فسمه هبة الله ، فسماه هبة الله " ^(٣) .

و روي في قتل قابيل لهابيل أن قابيل التمس الغرة في قتله حتى وجده نائما في غنمه فشدخ رأسه بحجر ، وروي أنه جهل كيف يقتله فجاء إبليس بطائر أو حيوان غيره فجعل يشدخ رأسه بين حجرين ليقتدي به قابيل ففعل ، فحزن آدم عليه مائة عام ، حتى أنه لم يبتسم خلالها إلى أن بعث الله له ملكا فأضحكه^(٤) .

كما روي أنه أول قتيل قتل على وجه الأرض ، ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به ، فخاف السباع فحملة في جراب على ظهره سنة حتى أروح ، وعكفت عليه السباع ، فبعث الله غرابين فاقتتلا ، فقتل أحدهما الآخر ، فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألغاه في الحفرة فقال : " يا

= (ت ١٠٩١ هـ) ، التفسير الصافي ، ت. حسين الأعلمي ، ط ٢ ، مؤسسة الهادي ، قم المقدسة ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م ، ج ٢ ، ص ٢٩ ؛ المجلسي : بحار الأنوار ، ج ١١ ، ص ٢١٩ .

(١) البغدادي : خزنة الأدب ، ج ١١ ، ص ٤٠٢ ؛ الصدوق : أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت ٣٨١ هـ) ، كتاب الخصال ، ت. علي أكبر غفاري ، جماعة المدرسين ، قم ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، ص ٢٠٩ ؛ ابن الأثير : عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ) ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م ، ج ١ ، ص ٤٥ .

(٢) الطبرسي : تفسير مجمع البيان ، ج ٣ ، ص ٣٢٠ ؛ وينظر تفسير الأمل ، ج ٣ ، ص ٦٧٤ .
(٣) تفسير الصافي ، ج ٢ ، ص ٢٩ ؛ وينظر المسعودي : أبي الحسن علي بن عبد الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ) ، أخبار الزمان ، ت. لجنة من الأساتذة ، دار الأندلس ، بيروت - لبنان ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م ، ص ٧٥ ؛ وابن عساکر : تاريخ مدينة دمشق ، ج ٦٤ ، ص ٥ .

(٤) ابن عطية الأندلسي : أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر (ت ٥٤٦ هـ) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ت. عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م ، ج ٢ ، ص ١٨٠ ؛ وينظر ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٩٠ ؛ و القرطبي : أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، تفسير الجامع لأحكام القرآن ، ت. أحمد عبد العليم البردوني ، ط ٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ج ٦ ، ص ١٣٩ ؛ والشوكاني : محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠ هـ) ، فتح القدير ، عالم الكتب ، (د.ت) ، ج ٢ ، ص ٣١ .

ويلتي أعجزت ... الآية" (١)، وقيل : حمله مائة سنة ، وقيل : طلب في ثاني يوم إخفاء قتل أخيه فلم يدر ما يصنع ، وقيل : بعث الله غراباً إلى غراب ميت ، فجعل يبحث في الأرض ويلقي التراب على الغراب الميت ، وقيل : بعث الله غراباً واحداً فجعل يبحث ويلقي التراب على هابيل (٢)، وروي أنه أول ميت مات على وجه الأرض ، وكذلك جهل سنة المواراة (٣)، والظاهر أنه غراب بعثه الله يبحث في الأرض ليرى قابيل كيف يوارى سوءة هابيل ، فاستفاد قابيل ببخته في الأرض أن يبحث هو في الأرض فيستر فيه أخاه ، والمراد بالسوءة هنا قيل : العورة ، وخصت بالذكر مع أن المراد مواراة جميع الجسد للاهتمام بها ، ولأن سترهاؤكد ، وقيل : جميع جيفته ، قيل : فإن الميت كله عورة ، ولذلك كفن بالأكفان (٤)، قال ابن عطية : ويحتمل أن يراد بالسوءة هذه الحالة التي تسوء الناظر بمجموعها ، وأضيفت إلى المقتول من حيث نزلت به النازلة ، لا على جهة الغض منه ، بل الغض لاحق للقاتل وهو الذي أتى بالسوءة ، والسوءة الفضيحة لقبحها قال الشاعر : " يا لقومي للسوءة السواء ... " ، أي للفضيحة العظيمة (٥).

و روى الطبري روايات عدة عن هذه الحادثة جلها يتفق على أن سبب القتل كان لأجل الزواج بين الأخوة و الأخوات ، وأن تكاثر النسل بين أولاد آدم كان من خلال الزواج بين كل ولد من بطن مع بنت من بطن أخرى ، لأن حواء كانت تلد في كل بطن توأم فعندما ولدت قابيل وأخته و من ثم ولدت هابيل وأخته ، أراد هابيل الزواج بأخت قابيل إلا أنه أبى عليه لحسنها وجمالها ، وقال له بأنها أخته وهو أحق بها ، فأعلمه أبوه آدم بحرمة الزواج من الأخت التوأم و أنها لا تحل له إلا أنه رفض الانصياع لذلك وأصر على الزواج من أخته ، فقال لهما أبوهما قربا قرباناً إلى الله تعالى و أيهما تقبل قربانه كان أحق بها ، فقرب هابيل كبشاً و قرب قابيل زرعاً ، فتقبل الله قربان هابيل ، فحسده قابيل على ذلك و قتله (٦).

وروي في سبب تقديم القربان ما ذكرته المصادر التاريخية ، فقد ذكر أنه ولد لآدم إثر عتاق قابيل فلما أدرك أظهر الله عز و جل جنية من ولد الجان يقال لها جهانة في صورة إنسية فلما رآها قابيل أحبها فأوحى الله إلى آدم أن يزوج جهانة من قابيل ثم ولد لآدم هابيل فلما أدرك أهبط الله إلى آدم حوراء و اسمها نزلة الحوراء فلما رآها هابيل أحبها فأوحى الله إلى آدم أن

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ١ ، ص ١٤٤ ؛ الشيخ الطبرسي : تفسير جوامع الجامع ، ج ١ ، ص ٤٩٣ ؛ وينظر الرازي : تفسير الرازي ، ج ١١ ، ص ٢٠٩ ؛ و ابن كثير : إسماعيل الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، ت. علي شيري ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٨م ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .

(٢) ابي حيان الأندلسي : تفسير البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٤٨٠ ؛ وينظر ابن كثير : ابي الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ) ، قصص الأنبياء ، ت. مصطفى عبد الواحد ، ط ١ ، دار التأليف ، مصر ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م ، ج ١ ، ص ٥٩ .

(٣) الثعالبي : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت ٨٧٥هـ) ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، ت. د. عبد الفتاح أبو سنة وآخرون ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ .

(٤) ابي حيان الأندلسي : تفسير البحر المحيط ، ج ٣ ، ص ٤٨٠ .

(٥) ابن عطية الأندلسي : المحرر الوجيز ، ج ٢ ، ص ١٨١ .

(٦) الطبري : تاريخ الأمم و الملوك ، ج ١ ، ص ١٣٧ - ١٤٤ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١ ، ص ٤٢ .

يزوجها من هابيل ففعل ذلك فكانت نزلة الحوراء زوجة لهابيل بن آدم ثم أوحى الله إلى آدم أن يضع ميراث النبوة والعلم ويدفعه إلى هابيل ففعل ذلك ، فلما علم قابيل غضب و قال لأبيه : " أأنت أكبر من أخي وأحق بما فعلت به " فقال : " يا بني إن الأمر بيد الله وإن الله خصه بما فعلت فإن لم تصدقني فقربا قربانا فأيكما قبل قربانه فهو أولى بالفضل " ، وكان القربان في ذلك الوقت تنزل النار فتأكله و كان قابيل صاحب زرع فقرب قمحا ردينا و كان هابيل صاحب غنم فقرب كبشا سميئا فأكلت النار قربان هابيل فأتاه إبليس فقال : " يا قابيل لو ولد لكما ولد و كثر نسلكما افتخر نسله على نسلك بما خصه به أبوك و لقبول النار قربانه و تركها قربانك و إنك إن قتلته لم يجد أبوك بدا من أن يخلصك بما دفعه إليه " ، فوثب قابيل إلى هابيل فقتله ، ثم قال إبليس : " إن النار التي قبلت القربان هي المعظمة فعظمها و اتخذ لها بيتا و اجعل لها أهلا و أحسن عبادتها و القيام عليها يقبل قربانك إذا أردت ذلك " ، ففعل قابيل ذلك فكان أول من عبد النار و اتخذ بيوت النيران^(١) .

ثالثاً - الحيوانات التي ذكرت في قصة نوح ﷺ :

ذكرت المصادر التاريخية أنه عندما أراد الله عز و جل إهلاك قوم نوح ﷺ عقم أرحام النساء أربعين عاما لم يولد فيهم مولود فلما فرغ من اتخاذ السفينة أمره الله تعالى أن ينادي فيهم بالسريانية فلا يبقى بهيمة و لا حيوان إلا حضر فأدخل من كل جنس من أجناس الحيوان زوجين في السفينة ، و كان الذين آمنوا به من جميع الدنيا ثمانون رجلا ، فقال الله تعالى : (اخْلُفْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ)^(٢) ، و كان نجر السفينة في مسجد الكوفة فلما كان اليوم الذي أراد الله إهلاكهم كانت امرأة نوح تخبز في الموضع الذي يعرف بـ (فار التنور) في مسجد الكوفة^(٣) ، و قد كان نوح ﷺ اتخذ لكل ضرب من أجناس الحيوان موضعا في السفينة و جمع لهم ما يحتاجون إليه من الغذاء و صاحبت امرأته لما فار التنور فجاء نوح إلى التنور فوضع طينا و ختمه حتى أدخل جميع الحيوانات في السفينة ثم جاء إلى التنور و فض الخاتم و رفع الطين و انكسفت الشمس و نزل من السماء ماء منهمر صب بلا قطر و تفجرت الأرض عيوناً^(٤) ، فقال الله عز و جل : " اركبوا فيها "^(٥) ، فدارت السفينة و نظر نوح ﷺ إلى ابنه يقع و يقوم فقال له : (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَادَى نُوحُ ابْنَهُ وَكَانَ فِي

(١) الثعالبي : تفسير الثعالبي ، ج ٤ ، ص ٤٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١ ، ص ٢١٧ ؛ المجلسي : بحار الأنوار ، ج ١١ ، ص ٢٢٧ ؛ الجزائري : نعمة الله (ت ١١١٢هـ) ، النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين ، منشورات الشريف الرضي ، قم - إيران ، ج ١ ، ص ٨٤ .

(٢) القرآن الكريم : سورة هود (٤٠) .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ١ ، ص ١٢٩ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٩٢ ؛ المجلسي : بحار الأنوار ، ج ١١ ، ص ٣١٢ ؛ النقي : محمد بن ابراهيم (ت ٢٨٣هـ) ، الغارات ، ت. جلال الدين الحسيني ، مطابع بهمن ، (د.ت) ، ج ٢ ، ص ٨٠٣ ؛ السيد البراقي : حسين بن أحمد النجفي (ت ١٣٣٢هـ) ، تاريخ الكوفة ، ت. ماجد أحمد العطية ، ط ١ ، شريعت ، ايران ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م ، ص ٢١ .

(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ١ ، ص ١٢٤ ؛ وينظر ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١ ، ص ٧١ .

(٥) القرآن الكريم : سورة هود (٤١) .

مَنْزِلَ يَأْتِيهِ رَاكِبٌ مَعْنًا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَائِرٌ إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ * وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَّمَاءُ اقْلَعِيْ غِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بَعْدَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ^(١) ، فدارت السفينة و ضربتها الأمواج حتى وافت مكة و طافت في البيت و غرق جميع الدنيا إلا موضع البيت العتيق ^(٢) ، وإنما سمي البيت العتيق لأنه أعتق من الغرق فبقي الماء ينصب من السماء أربعين صباحا و من الأرض العيون حتى ارتفعت السفينة فمست السماء فرفع نوح يده و قال : " يا رهمان أتعن " ^(٣) و تفسيرها يا رب أحسن فأمر الله الأرض أن تبلع ماءها فأراد ماء السماء أن يدخل في الأرض فامتنعت الأرض من قبوله و قالت إنما أمرني أن أبلع مائي فبقي ماء السماء على وجه الأرض و استوت السفينة على جبل الجودي و هو بالموصل ^(٤) . جبل عظيم فبعث الله جبرئيل { عَلَيْهِ السَّلَام } فساق إلى البحار حول الدنيا و أنزل الله على نوح : (يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّنْ مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُصَلِّيهِمْ لِنُغْنِيَهُمْ مِّنَّا عَذَابَ آلِيمٍ) ^(٥) فنزل نوح { عَلَيْهِ السَّلَام } بالموصل من السفينة مع الثمانين و بنوا مدينة الثمانين ^(٦) ، و كانت لنوح بنت ركبت معه السفينة فتناسل الناس منها ^(٧) .

وفي تفسير العياشي عن أبي عبد الله { عَلَيْهِ السَّلَام } قال : " صنعها في مائة سنة ثم أمره أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين الأزواج الثمانية التي خرج بها آدم من الجنة لتكون معيشة لعقب نوح { عَلَيْهِ السَّلَام } في الأرض كما عاش آدم { عَلَيْهِ السَّلَام } فإن الأرض تغرق و ما فيها إلا ما كان معه في السفينة " ، قال : فحمل نوح { عَلَيْهِ السَّلَام } في السفينة الأزواج الثمانية ^(٨) ، والتي ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى : (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلَّذِينَ حَرَّمَ آمُ الْأُنثَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ ثَبُوتِي بِعَلَمٍ إِنَّكُمْ صَادِقِينَ * وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلَّذِينَ حَرَّمَ آمُ الْأُنثَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ

- (١) القرآن الكريم : سورة هود (٤٢ - ٤٥) .
- (٢) البيت العتيق : هو الكعبة ، وقيل هو اسم من أسماء مكة ، سمي بذلك لعنقه من الجبارين أي لا يتجربون عنده بل يتذللون وقيل بل لأن جبارا لا يدعيه لنفسه ، وقد يكون العتيق بمعنى القديم ، وقد يكون معنى العتيق الكريم ، وكل شيء كرم وحسن قيل له عتيق . ينظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٢١ .
- (٣) الطبرسي : تفسير مجمع البيان ، ج ٥ ، ص ٢٨٢ .
- (٤) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٧٩ .
- (٥) القرآن الكريم : سورة هود (٤٨) .
- (٦) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٦٢ ؛ وينظر ابن كثير : البداية و النهاية ، ج ١ ، ص ٢٣ .
- (٧) ابن كثير : البداية و النهاية ، ج ١ ، ص ٢٦١ ؛ القمي : تفسير القمي ، ج ١ ، ص ٣٢٨ ؛ المجلسي : بحار الأنوار ، ج ١١ ، ص ٣١٣ ؛ وينظر الجزائري : قصص الأنبياء ، ص ٨٦ .
- (٨) تفسير العياشي ، ج ٢ ، ص ١٤٧ ؛ وينظر الجزائري : قصص الأنبياء ، ص ٩٣ .

إِلَى مَحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ طَعْمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاعٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِمَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ^(١)، فكان زوجين من الضأن زوج يربيها الناس و يقومون بأمرها و زوج من الضأن التي تكون في الجبال و هي الوحشية أحل لهم صيدها و من المعز اثنين زوج يربيها الناس و زوج من الظباء و من البقر اثنين زوج يربيها الناس و زوج هو البقر الوحشي و من الإبل زوجين و هو البخاتي و العراب و كل طير وحشي و أنسي ثم غرقت الأرض^(٢).

وقيل أن المراد بالزوجين الصنفان يعني الذكر و الأنثى و ما قاله {جِلْمٌ ۝ ١٣٦} هو الأصوب و الأنسب ، وعنه {جِلْمٌ ۝ ١٣٦} قال : " ينبغي لولد الزنى أن لا تجوز شهادته و لا يؤم بالناس لأن نوح {جِلْمٌ ۝ ١٣٦} لم يحمله في السفينة و قد حمل فيها الكلب و الخنزير "^(٣).

فلما فار التنور بالماء أمر الله تعالى نوحاً أن يحمل في السفينة من كل زوجين اثنين من كل نوع من الحيوان ذكراً وأنثى ، و روي أن نوحاً {جِلْمٌ ۝ ١٣٦} وقف على باب السفينة ، وحشر إليه الوحوش ، فكان الذكر يقع في يمينه ، والأنثى في شماله ، وهو يدخل في السفينة ، وآخر ما دخل الحمار ، فتمسك الشيطان بذنبه ؛ فزجره نوح فلم ينعق ، فدخل معه ، فجلس عند مؤخر السفينة ، وروي أيضاً أن نوحاً {جِلْمٌ ۝ ١٣٦} آذاه نتن الزبل والعذرة ، فأوحى الله إليه : " أن امسح على ذنب الفيل ، فخرج من انفه خنزير وخنزيرة ، فكفياه أمر ذلك الأذى ، و أن الفأر آذى الناس فأوحى الله إليه : أن امسح على جبهة الأسد ففعل ، فعطس فخرج منه هرٌّ وهرّة فكفياه أمر الفأر "^(٤) ، وهذه الرواية أقرب ما تكون للأسطورة .

وروي أنه لم يحمل نوح في السفينة إلا ما يلد ويبيض ، فأما البق والود والذباب ، فلم يحمل منه شيئاً ، وإنما يخرج من الطير^(٥).

والمراد بالأنواع في سفينة نوح في قوله تعالى (من كل زوجين اثنين) الإبل والغنم والبقر والمعز وأطلق على النوع اسم الزوج الذي هو المثنى لغيره لأن كل نوع يتقوم كيانه من الذكر والأنثى وهما زوجان أو أطلق عليها أزواج لأنه أشار إلى ما أنزل من سفينة نوح منها وهو ذكر وأنثى من كل نوع كما تقدم آنفاً^(٦).

- (١) القرآن الكريم : سورة الأنعام (الآية ١٤٣ - ١٤٦) .
- (٢) الرازي : تفسير الرازي ، ج ١١ ، ص ١٢٥ ؛ العلامة الحلي : الحسن بن يوسف بن علي المظهر (ت ٧٣٦هـ) ، نهاية الأحكام ، ت. مهدي الرجاني ، ط ٢ ، مؤسسة اسماعيليان ، قم - إيران ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، ج ٢ ، ص ٥٤٠ ؛ ابن قدامة : أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد (ت ٦٢٠هـ) ، المغني ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، (د.ت) ، ج ٤ ، ص ١٤٣ ؛ ابن العربي : أحكام القرآن ، ج ٢ ، ص ١٢ .
- (٣) الفيض الكاشاني : التفسير الصافي ، ج ٢ ، ص ٤٤٥ ؛ الطباطبائي : السيد علي (ت ١٢٣١هـ) ، رياض المسائل ، ت. مؤسسة النشر الإسلامي ، ط ١ ، جامعة المدرسين ، قم ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، ج ١٣ ، ص ٣٠٨ ؛ الجزائري : قصص الأنبياء ، ص ٩٤ .
- (٤) الطبري : تفسير الطبري ، ج ١٢ ، ص ٤٧ ؛ ابن عطية الأندلسي : المحرر والوجيز ، ج ٣ ، ص ١٧١ .
- (٥) الثعلبي : تفسير الثعلبي ، ج ٧ ، ص ٤٦ ؛ البغوي : أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٠هـ) ، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، ت. خالد عبد الرحمن العك ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ج ٢ ، ص ٣٨٤ ؛ القرطبي : تفسير القرطبي ، ج ١٢ ، ص ١١٩ .
- (٦) الطبري : تفسير الطبري ، ج ١٢ ، ص ٥٤ ؛ الطوسي : التبيان في تفسير القرآن ، ج ٥ ، ص ٤٨٥ .

وقد رويت الكثير من الأباطيل في قصة الحيوانات التي عاصرت نوح {عليه السلام} لا سيما التي أركبها السفينة وهذه الأحاديث الباطلة تعج بها مصادر الحديث الإسلامية وإن كان بعض العلماء أشار إلى بطلانها ، ومنها ما أخرجه ابن عدي وابن عساكر عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً أنه " مر نوح بأسد رابض فضربه برجله ، فرفع الأسد رأسه فخمش ساقه ، فلم يبت ليلته مما جعلت تضرب عليه وهو يقول : يا رب كلبك عقرني ، فأوحى الله إليه أن الله لا يرضى الظلم أنت بدأت " ، قال ابن عدي : " هذا الحديث بهذا الإسناد باطل ، وفيه جعفر بن أحمد الغافقي يضع الحديث "(١) .

وأخرج القرطبي قال : " استصعبت على نوح الماعزة أن تدخل السفينة فدفعها في ذنبها فمن ثم انكسر ذنبها فصار معقوقاً وبدا حياها ، ومضت النعجة حتى دخلت فمسح على ذنبها فستر حياها "(٢) .

وأخرج القرطبي والسيوطي أنه : " أمر نوح {عليه السلام} أن يحمل معه من كل زوجين اثنين ، فحمل معه من اليمن العجوة واللوز "(٣) .

و روى ابن الأثير قال : " لما أمر نوح {عليه السلام} أن يحمل من كل زوجين اثنين قال : كيف أصنع بالأسد والبقرة ؟ وكيف أصنع بالعناق والذئب ؟ وكيف أصنع بالحمام والهر ؟ قال : من ألقى بينهما العداوة ؟ قال : أنت يا رب ، قال : فإني أولف بينهم حتى لا يتضارون "(٤) .

وأخرج ابن عساكر قال : " لما حمل نوح في السفينة ما حمل ، جاءت العقرب تحجل قالت : يا نبي الله أدخلني معك ، قال : لا أنت تلدغين الناس وتؤذينهم قالت : لا احملني معك ، فلك علي أن لا أدغ من يصلي عليك الليلة "(٥) .

وأخرج ابن أبي حاتم قال : " لما حمل نوح {عليه السلام} في السفينة من كل شيء ، حمل الأسد وكان يؤدي أهل السفينة فألقيت عليه الحمى "(٦) .

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي عبيدة رضي الله عنه قال : " لما أمر نوح {عليه السلام} أن يحمل في السفينة من كل زوجين اثنين لم يستطع أن يحمل الأسد حتى ألقيت عليه الحمى فحملة فأدخله "(٧) .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق زيد بن أسلم عن أبيه : " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين قال له أصحابه : وكيف نطمئن ومعنا الأسد ؟ فسلط الله عليه الحمى ، فكانت أول حمى نزلت الأرض ، ثم شكوا الفأرة فقالوا الفويسقة

(١) السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ) ، الدر المنثور ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، (د.ت) ، ج ٣ ، ص ٣٢٩ .

(٢) القرطبي : تفسير القرطبي ، ج ٩ ، ص ٤٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ٩ ، ص ٤٤ ؛ السيوطي : الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٣٣٠ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١ ، ص ٧١ ؛ أبو الليث السمرقندي : تفسير السمرقندي ، ج ٢ ، ص ١٥٠ ؛ وينظر السيوطي : الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٣٣٢ .

(٥) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، ج ٦٢ ، ص ٢٥٧ ؛ السيوطي : الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٣٣٠ .

(٦) ابن أبي حاتم الرازي : تفسير ابن أبي حاتم ، ج ٦ ، ص ٢٠٣ ؛ الألوسي : شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت ١٢٧٠هـ) ، تفسير روح المعاني ، ت. علي عبد الباري عطية ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، ج ١٢ ، ص ٥٣ ؛ الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٣٣٠ .

(٧) ابن أبي حاتم الرازي : تفسير ابن أبي حاتم ، ج ٦ ، ص ٢٠٣ ؛ وينظر السيوطي : الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٣٣٠ .

تفسد علينا طعامنا ومتاعنا ، فأوحى الله إلى الأسد فعطس فخرجت الهرة منه فتخبأت الفأرة منها
"(١)".

و ذكر السيوطي قال : " لما كان نوح عليه السلام في السفينة قرض الفأر حبال السفينة ، فشكا إلى الله عز وجل ذلك ، فأوحى الله إليه فمسح جبهة الأسد ، فخرج سنوران وكان في السفينة عذرة ، فشكا نوح إلى الله فأوحى الله إليه ، فمسح ذنب الفيل فخرج خنزيران فأكلا العذرة "(٢).

وأخرج أيضاً قال : " تأذى أهل السفينة بالفأر ، فعطس الأسد فخرج من منخره سنوران ذكر وأنثى ، فأكلا الفأر إلا ما أراد الله أن يبقى منه ، وأوذوا بأذى أهل السفينة فعطس الفيل فخرج من منخره خنزيران ذكر وأنثى فأكلا أذى أهل السفينة قال ولما أراد أن يدخل الحمار السفينة أخذ نوح بأذني الحمار وأخذ إبليس بذنبه ، فجعل نوح عليه السلام يجذبه وجعل إبليس يجذبه ، فقال نوح : ادخل شيطان فدخل الحمار ودخل إبليس معه ، فلما سارت السفينة جلس في أذناها يتغنى فقال له نوح عليه السلام : ويلك من أذن لك . . . ؟! قال : أنت ، قال : متى ، قال : إن قلت للحمار ادخل يا شيطان ، فدخلت بإذنك "(٣).

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " أول ما حمل نوح في الفلك من الدواب الدرة ، وآخر ما حمل الحمار ، فلما دخل الحمار أدخل صدره فتعلق إبليس بذنبه فلم تستقل رجلاه ، فجعل نوح يقول : ويحك . . . ! ادخل يا شيطان ، فينهض فلا يستطيع حتى قال نوح : ويحك . . . ! ادخل وإن كان الشيطان معك - كلمة زلت على لسانه - فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله ، فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح : ما أدخلك يا عدو الله ؟ قال : ألم تقل ادخل وإن كان الشيطان معك ؟ قال : اخرج عني "(٤).

وعن أبي عبد الله عليه السلام { } أنه قال لبعض غلمانه في شيء جرى : " لنن انتهيت و إلا ضربتك ضرب الحمار ، قيل : و ما ضرب الحمار ، قال : إن نوحا عليه السلام { } لما أدخل السفينة من كل زوجين اثنين جاء إلى الحمار فأبى أن يدخل فأخذ جريدة من نخل فضربه ضربة واحدة و قال له عبسا شيطاناً أي ادخل يا شيطان "(٥) ، والرواية إنما تشير إلى أحد أنواع الحيوانات التي أركبها النبي نوح عليه السلام { } في السفينة ويؤكد ذلك ما ذكره الزمخشري بقوله : " حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي فَنَائِدِهِ مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ ، وهما أمة الذكر وأمة الأنثى ، كالجمال ، والنوق "

(١) ابن كثير : البداية و النهاية ، ج ١ ، ص ١٢٦ ؛ السيوطي : الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٣٣٠ ؛ الألوسي : تفسير الألوسي ، ج ١٢ ، ص ٥٣ .

(٢) السيوطي : الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٣٣١ ؛ الألوسي : تفسير الألوسي ، ج ١٢ ، ص ٥٣ ؛ وينظر الرازي : تفسير ابن أبي حاتم ، ج ٦ ، ص ٢٠٣١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١ ، ص ٧١ ؛ السيوطي : الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٣٣١ .

(٤) الطبري : تاريخ الامم و الملوك ، ج ١ ، ص ١٢٦ ؛ و جامع البيان ، ج ١٢ ، ص ٤٩ ؛ الرازي : تفسير ابن أبي حاتم ، ج ٦ ، ص ٤٩ ؛ السيوطي : الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٣٣٢ .

(٥) الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ج ٢٨ ، ص ٣٧٣ ؛ الجزائري : قصص الأنبياء ، ص ٩٣ ؛ البروجردي : السيد علي الطباطبائي (ت ١٣٨٣هـ) ، جامع أحاديث الشيعة ، المطبعة العلمية ، قم - إيران ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٧م ، ج ٢٦ ، ص ٨٦ .

، والحصن والرمك ، (اثنين) واحدین مزدوجین ، كالجمل والناقة ، والحصان والرمكة ، و روي أنه لم يحمل إلا ما يلد ويبيض ، وقرىء (من كل) بالتثنية ، أي : من كل أمة زوجين ، واثنين تأكيداً وزيادة بيان^(١) .

وأخرج ابن عساکر عن جعفر بن محمد عليه السلام قال : " فار الماء من التنور من دار نوح عليه السلام ، من تنور تختبز فيه ابنته ، وكان نوح يتوقع ذلك إذ جاءت ابنته فقالت : يا أبت قد فار الماء من التنور ، فأمن بنوح النجارون إلا نجاراً واحداً فقال له : اعطني أجري قال : أعطيتك أجرك على أن تتركب معنا ، قال : فإن وداً وسواع ويغوث ونسراً سينجونني ، فأوحى الله إليه أن احمِل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ، وكان ممن سبق عليه القول امرأته والقة وكنعان ابنه فقال : يا رب هؤلاء قد حملتهم فكيف لي بالوحش والبهائم والسباع والطير؟ قال : أنا أحشرهم عليك : فبعث جبريل عليه السلام فحشرهم ، فجعل يضرب بيديه على الزوجين فجعل يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيدخله السفينة ، حتى أدخل عدة ما أمره الله تعالى به ، فلما جمعهم في السفينة رأت البهائم والوحش والسباع العذاب ، فجعلت تلحس قدم نوح عليه السلام وتقول : احملنا معك ، فيقول : إنما أمرت من كل زوجين اثنين^(٢) .

وأخرج السيوطي وابن عساکر عن الزهري قال : " إن الله بعث ريحاً فحمل إليه من كل زوجين اثنين ، من الطير والسباع والوحش والبهائم^(٣) .

و تفرد النويري برواية أن النداء بفوران التنور جاء من التنور نفسه وقت الظهر : قم يا نوح فاحمل في سفينتك من كل زوجين اثنين من الذكر زوجاً و من الأنثى زوجاً فحملهم ، وكان معه جسد آدم وحواء^(٤) .

وروى الطبري قال : " كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلاً معهم أهلهم ، وكانوا في السفينة مائة وخمسين يوماً ، وإن الله وجه السفينة إلى مكة فدارت بالبيت أربعين يوماً ، ثم وجهها إلى الجودي فاستوت عليه ، فبعث نوح عليه السلام الغراب ليأتيه بالخبر فذهب فوق على الجيف فأبطأ عليه ، فبعث الحمامة فأنته بورق الزيتون ولطخت رجليها بالطين ، فعرف نوح عليه السلام أن الماء نضب فهبط إلى أسفل الجودي فابتنتى قرية وسماها ثمانين ، فأصبحوا ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة أحدها اللسان العربي ، فكان لا يفقه بعضهم كلام بعض ، وكان نوح عليه السلام يعبر عنهم^(٥) .

(١) الكشف ، ج ٣ ، ص ٣٠ .

(٢) ابن عساکر : تاريخ دمشق ، ج ٦٢ ، ص ٢٥٢ ؛ السيوطي : الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٣٣٢ .

(٣) السيوطي : الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٣٣٢ ؛ وينظر ابن عساکر : تاريخ دمشق ، ج ٦٢ ، ص ٢٥٥ .

(٤) نهاية الإرب ، ج ١٣ ، ص ٤٥ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ج ١٢ ، ص ٦٤ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١ ، ص ١٣٢ ؛ السيوطي : الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٣٣٢ .

و روى المجلسي عن اسمعيل بن جابر الجعفي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : " صنعها في مائة سنة ، ثم أمره ان يحمل فيها من كل زوجين اثنين الأزواج الثمانية - الحلال - التي خرج بها آدم من الجنة ليكون معيشة لعقب نوح في الأرض ، كما عاش عقب آدم ، فان الأرض تغرق وما فيها الا ما كان معه في السفينة ، قال : فحمل نوح في السفينة من الأزواج الثمانية التي قال الله : (وانزل بكم من الانعام ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين) فكان زوجين من الضأن زوج يربيهما الناس ويقومون بأمرها وزوج من الضأن التي تكون في الجبال الوحشية احل لهم صيدها ، ومن المعز اثنين يكون زوج يربيه الناس ، وزوج من الطباء - سمى الزوج الثاني - ومن البقر اثنين زوج يربيه الناس ، وزوج هو البقر الوحشي ومن الابل زوجين وهي البخاتي^(١) والعراب^(٢) وكل طير وحشي او انسي ثم غرقت الأرض^(٣) .

و يبدو من ظاهر الآيات أنها تدل بمعونة القرائن و التقاليد الموروثة عن أهل الكتاب على أنه لم يكن في الأرض كلها في زمن نوح إلا قومه و أنهم هلكوا كلهم بالطوفان و لم يبق بعده فيها غير ذريته ، و هذا يقتضي أن يكون الطوفان في البقعة التي كانوا فيها من الأرض سهلها و جبلها لا في الأرض كلها إلا إذا كانت اليابسة منها في ذلك الزمن صغيرة لقرب العهد بالتكوين و بوجود البشر عليها فإن علماء التكوين و طبقات الأرض - الجيولوجية - يقولون إن الأرض كانت عند انفصالها من الشمس كرة نارية ملتهبة ثم صارت كرة مائية ثم ظهرت فيها اليابسة بالتدريج^(٤) .

ونذكر السيد الطباطبائي أن ما استدل به بعض أهل النظر على عموم الطوفان لجميع الأرض من أنا نجد بعض الأصداف و الأسماك المتحجرة في أعالي الجبال و هذه الأشياء مما لا تتكون إلا في البحر فظهورها في رعوس الجبال دليل على أن الماء قد صعد إليها مرة من المرات ، و لن يكون ذلك حتى يكون قد عم الأرض هذا ، ويمكن أن يرد على ذلك بأن وجود الأصداف و الحيوانات البحرية في قُلل الجبال لا يدل على أنه من أثر ذلك الطوفان بل الأقرب أنه من أثر تكون الجبال و غيرها من اليابسة في الماء كما قلنا أنفاً فإن صعود الماء إلى الجبال أياما معدودة لا يكفي لحدوث ما ذكر فيها ، وفضلاً عن ذلك فإن هذه المسائل التاريخية ليست من مقاصد القرآن ولذلك لم يبينها بنص قطعي فنحن نقول بما تقدم أنه ظاهر النصوص و لا نتخذة عقيدة دينية قطعية فإن أثبت علم الجيولوجية خلافه لا يضرنا لأنه لا ينقض نصاً قطعياً عندنا^(٥) .

(١) الابل الخراسانية تنتج من بين عربية وفالج . ينظر مركز المعجم الفقهي : المصطلحات ، ص ٦٠٩ .

(٢) الكرائم السالمة عن الهجنة اي العيب . ينظر فتح الله : معجم ألفاظ الفقه الجعفري ، ص ٢٨٧ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ، ج ١١ ، ص ٣٣٦ ؛ العياشي : تفسير العياشي ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .

(٤) الطباطبائي : تفسير الميزان ، ج ١٠ ، ص ٢٦٥ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ١٠ ، ص ١٣٧ .

رابعاً - الحيوان في قصة النبي صالح {صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} :

اختلفت المصادر التاريخية حول حقيقة قوم ثمود فقد ذكرت بعض المصادر أن قوم ثمود^(١) ينسبون لثمود بن عاد بن إرم بن سام بن نوح {صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} ^(٢)، بينما ذهب ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) إلى أنهم ينسبون لثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح وهو أخو جديس بن عاثر وكذلك قبيلة طسم وكل هؤلاء كانوا أحياء من العرب العاربة^(٣)، بينما ذكر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) أن ثمود بن جاثر، وأن ثمود من العرب البائدة^(٤)، وذكر الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) القولين معاً فقال: "ثمود بن عابر بن إرم ابن سام بن نوح وقيل ابن عاد بن عوص بن إرم، وقد ذهب الثعلبي على هذا النحو، وقيل سمو ثموداً لقلّة ماءهم فهو من الثمد^(٥)، وقد يتفق المؤرخون على أن الثموديين من العرب العاربة، والراجح أن ثمود سكنت في شمال الجزيرة العربية منذ أعماق التاريخ وتركوا لنا آثاراً ونقوشاً، فالثموديون هم السكان الأصليون لشمال شبه الجزيرة العربية^(٦)، وليسوا مهاجرين، فهم عرب خلص ومن العرب البائدة، وهذا ما رجحه الدكتور مهران، على نقد منه لمصطلح العرب البائدة^(٧)، ولقد وجدت أغلب الكتابات الثمودية في الحجر (مدائن صالح) وأطلق عليها المستشرقون اسم النقوش الثمودية نسبة إلى ثمود في القرآن الكريم حيث كانت تسكن في تلك الناحية^(٨)، وقد وردت الإشارة إليهم في قوله تعالى: (وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ)^(٩)، وقوله أيضاً (وَأَتَيْنَاهُمُ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُمْرِضِينَ)^(١٠)، وقد مر الرسول {صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} على قراهم ومسكنهم وهو ذاهب إلى تبوك سنة تسع وقال وهو بالحجر: " لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم ما أصابهم "^(١١).

- (١) قبيلة من العرب البائدة، اشتهرت بإسم أبيها، فلا يقال فيها إلا ثمود بغير بني، وبذلك ورد القرآن الكريم، وكانت مساكنهم بالحجر، و وادي القرى بين الحجاز والشام. ينظر كحالة: د. عمر، معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، ج ١، ص ١٥٢.
- (٢) الرازي: تفسير الرازي، ج ١٤، ص ١٦١؛ القرطبي: تفسير القرطبي ج ٧، ص ٢٣٨.
- (٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٢٣٧؛ وينظر الطبرسي: مجمع البيان، ج ٤، ص ٢٩١.
- (٤) ابن ماكولا: الأمير أبو نصر علي بن أبي القاسم هبة الله (ت ٤٧٥هـ)، إكمال الكمال، دار الكتاب الإسلامي الفاروق، القاهرة، ج ٢، ص ١٠؛ الطبري: تاريخ الامم والملوك، ج ١، ص ١٥٠؛ ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، المعارف، ت. د. ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ص ٢٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٨٩.
- (٥) الألوسي: تفسير الألوسي، ج ٨، ص ١٦٢؛ وينظر الثعلبي: تفسير الثعلبي، ج ٤، ص ٢٤٥.
- (٦) مهران: أ. د. محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ص ١٦٦؛ و تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٦٦م، ج ١، ص ٣٢٢ - ٣٢٥.
- (٧) البائدة: عدم وجود أحد من العرب ينتسب إلى هذه القبيلة عند كتابة المؤرخين الإسلاميين لتاريخ ما قبل الإسلام، ولكن كيف يكون باندأ وقد ترك آثاراً تدل عليه. ينظر مهران: تاريخ العرب القديم، ج ١، ص ٢٩٣ - ٣٠١.
- (٨) نامي: د. خليل يحيى، العرب قبل الإسلام، دار المعارف، القاهرة، (د. ت)، ص ٢٥.
- (٩) القرآن الكريم: سورة الحجر (٨٠).
- (١٠) القرآن الكريم: سورة الحجر (٨١).
- (١١) ابن حنبل: مسند أحمد، ج ٢، ص ٩١؛ البخاري: الجامع الصحيح، ج ١، ص ١٦٧؛ مسلم: الصحيح، ج ٤، ص ٢٢٨٦؛ النسائي: السنن الكبرى، ج ٦، ص ٣٧٤.

وقد ذكرت ثمود في القرن الثامن قبل الميلاد في الكتابات الآشورية وظلت حتى القرن الثالث بعد المسيح مستخدمة في شمال بلاد العرب في تيماء ومدائن صالح وجبيل والجوف وتبوك وجبل رم^(١)، ويحدثنا القرآن الكريم أن تلك الأمة بلغت شأناً كبيراً في التقدم المادي فلقد اتخذوا من سهول الجبال قصوراً زاهية ودوراً عالية وهذا يدل على القوة المادية^(٢)، قال تعالى : (وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَمُوتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)^(٣) ، فبناء القصور الفخمة ونحت البيوت في الجبال يدل على تفننهم في الصناعة وهندسة البناء ودقة النجارة مما يدل على الرقي المادي والتقدم والتطور في تلك الحضارة ، ونحت الجبال له هدف حماية القوم من برد الشتاء وفي الصيف يتخذون القصور في السهول للترف واللهو ، فهي حضارة عمرانية واضحة المعالم ويبدو أن سلطانهم امتد خارج الحجر وبذلك صاروا خلفاء ممكنين في الأرض ، ومما يدل على ذلك قوله تعالى : (هُوَ أَشْأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)^(٤) ، أي جعلكم عماراً تعمرونها وتستغلونها وتسكنونها ، ويقول تعالى : (أَنْتَرَكُونَفِي مَا هَاهُنَا آمِينَ ، فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَزُرُوعٍ وَخُلُوعٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ، وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا)^(٥) .

انقراضهم :

هذه الأمة الممكنة ذات النعم الكثيرة أدى إلى سقوطها واندثار ما توفر لها من أسباب الانهيار الحضاري الذي أدى إلى دمارها ومنها :

أولاً: الشرك بالله: قال تعالى: (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)^(٦) ، ثم ذكرت الآية الثانية كفرهم الصريح بالله سبحانه : (كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الْآلِافِ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِمُودَ)^(٧) ، فلقد عبدوا الأصنام فكان لهم إله يسمى (صلم) الذي كان معبوداً ثمودياً في منطقة تيماء ، وتصور النقوش الثمودية المكتشفة في القرن الخامس ق.م تضرعاتهم إلى المعبودات لطلب الحماية والعون ومنح الحظ والسلام^(٨) ، ثم كفرهم الواضح باليوم الآخر: (كَذَبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ)^(٩) ، تذكر بما حل بتمود وعاد لتكذيبهم بالبعث والجزاء تعريضاً بالمشركون من أهل مكة بتهديدهم أن يحق عليهم مثل ما حل بتمود وعاد^(١٠) .

- (١) نامي : العرب قبل الإسلام ، ص ٢٧ .
- (٢) ينظر المراغي : أحمد بن مصطفى (ت ١٣٧١هـ) ، تفسير المراغي ، طبعة مصطفى الحلبي ، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م ، ج ٨ ، ص ١٩٩ .
- (٣) القرآن الكريم : سورة الأعراف (٧٤) .
- (٤) القرآن الكريم : سورة هود (٦١) .
- (٥) القرآن الكريم : سورة الشعراء (١٤٦ - ١٥٠) .
- (٦) القرآن الكريم : سورة الأعراف (٧٣) .
- (٧) القرآن الكريم : سورة هود (٦٨) .
- (٨) مهران : تاريخ العرب القديم ، ص ٣٢٦ ؛ الصلوى : أ.د إبراهيم ، مباحث في تاريخ اللغة العربية ، ط ١ ، كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، ٢٠١٠م ، ص ٣٢-٣٤ .
- (٩) القرآن الكريم : سورة الحاقة (٤) .
- (١٠) ابن عاشور : التحرير والتنوير ، ج ٢٩ ، ص ١١٥ .

ثانياً: التكذيب بالرسول : أرسل الله سبحانه وتعالى نبيه صالحاً عليه السلام رسولاً لثمود فكذبوه وكفروا به ، فدعاهم إلى الله حتى كبر في السن ولم يتبعه إلا القليل ، وقد كان قبل النبوة محبوباً فيهم قال تعالى على لسانهم : (قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ، قَالُوا يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَهَلْ يُبْصِرُ مِنَ اللَّذَاتِ عَصِيَّةٌ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ)^(١) ، أي كنا نرجو أن تكون فينا سيِّداً قبل هذا ، أي قبل دعوتك النبوة وقيل: كان صالح يعيب آلهتهم ويشنؤوها ، وكانوا يرجون رجوعه إلى دينهم ، فلما دعاهم إلى الله قالوا: انقطع رجائنا منك^(٢) ، فَرَدَّ عليهم أرايتم إن كنت على برهان وبيان من الله قد علمته وأيقنته . (وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً)^(٣) ، يقول: وآتاني منه النبوة والحكمة^(٤) .

ثالثاً: الظلم : وهو وضع الشيء في غير موضعه^(٥) ، قال الله عنهم : (قِيلَ لِّكُم بِطُغْيَانِكُمْ ظَلُمَوا أَنْفُسَكُمْ فَمَا تَصَدَّقُونَ)^(٦) .

خامساً: الطغيان والفساد : فالطغيان هو مجاوزة الحد ، وكل شيء جاوز المقدار اللائق فقد طغى^(٧) ، وأصحاب الحضارات الفاسدة يتجاوزون الحد في كل شيء والفساد نتيجة حتمية له ، قال تعالى عن ثمود : (الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ، فَاكْتَرَوْا فِيهَا الْفَسَادَ)^(٨) .

سادساً: الاستكبار: تقف عوامل الجاه والثروة حائلاً منيعاً دون انصياع الماديين لدعوة الحق لهذا يتكرر مصطلح (الملا) والمراد بهم هم من يملأون صدور المجالس وتمتلئ الأبصار من رؤيتهم^(٩) : (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا مِنَ الْمَنِّ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ)^(١٠) .

سابعاً: الترف : التمتع ، والترفة النعمة ، والمترف الذي قد أبطرتة النعمة وسعة العيش ، ومعنى أترفته النعمة أي أطعته^(١١) ، والاشتغال بالملذات يؤدي لوجود أمة لا هدف لها ولا غاية فتتشغل

- (١) القرآن الكريم : سورة هود (٦٢ ، ٦٣) .
- (٢) القرطبي : تفسير القرطبي ، ج ٩ ، ص ٥٩ ؛ الشوكاني : فتح القدير ، ج ٢ ، ص ٥٠٨ .
- (٣) القرآن الكريم : سورة هود (٦٣) .
- (٤) الطبري : تفسير الطبري ، ج ١٢ ، ص ٨٣ .
- (٥) العيني : أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى (ت ٨٥٥هـ) ، عمدة القارئ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ج ١ ، ص ٢١٥ ؛ الزبيدي : تاج العروس ، ج ١٧ ، ص ٤٤٧ ؛ المازندراني : محمد صالح (ت ١٠٨١هـ) ، شرح أصول الكافي ، ت. أبو الحسن الشعراني ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ج ٢ ، ص ١١٩ .
- (٦) القرآن الكريم : سورة النمل (٥٢) .
- (٧) الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، ج ١ ، ص ٢٨ .
- (٨) القرآن الكريم : سورة الفجر (١١ - ١٢) .
- (٩) الرازي : تفسير الرازي ، ج ١٤ ، ص ١٥٠ .
- (١٠) القرآن الكريم : سورة الأعراف (٧٥) .
- (١١) ابن منظور : لسان العرب ، ج ٩ ، ص ١٧ .

بسفاسف الأمور وتنهار: قال تعالى (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ)^(١) .

ثامناً : الجمود والتقليد الأعمى : أصحاب الحضارات المنحرفة يتمسكون بموروثهم الباطل ، قال تعالى : (قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ)^(٢) .

تاسعاً : قتل الناقة : وقد انتهت تلك الصفات والمثالب التي تميز بها قوم ثمود إلى قتل الناقة التي وصفت في القرآن بناقة الله وفي هذا تشريف لها وتكريم ، ومن صفاتها أنها كانت تشرب في يوم جميع المياه التي في الآبار وثمرود في اليوم الآخر وفي اليوم الذي ليس لهم أن يأخذوا من الماء كانت الناقة تكفيهم ، قال تعالى : (هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُوهَا تَأْكُلْ فِيهِ أَرْضَ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ آيَمٍ)^(٣) ، ولكن دعوا صاحبهم لقتلها: (فَنادوا صاحبهم فَتَعَاطَى فَعَقَرَ)^(٤) ، وجاء التعبير القرآني بالجمع (فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا)^(٥) ، برغم أن القاتل واحد (إِذْ اتَّبَعَتْ أَشْهَاقَهَا)^(٦) ، واسمه قدار بن سالف أحيمر ثمود^(٧) ، ولكن لما رضي القوم بالفعل ولم ينكروا دخلوا في الوعيد^(٨) .

ومن الروايات التي وردت بذكرها ما نقل عن النبي الكريم محمد (ﷺ) أنه كانت ثمود قوم صالح عمرهم الله عز وجل في الدنيا ، فأطال أعمارهم حتى يجعل أحدهم يبني المسكن من المدر فيتهدم والرجل منهم حي ، فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتاً فرهين ، فنحتوها وجابوها وجوفوها ، وكانوا في سعة من معاشهم ، فقالوا : يا صالح ادع لنا ربك يخرج لنا آية نعلم أنك رسول الله ، فدعا صالح ربه فأخرج لهم الناقة فكان شربها يوماً وشربهم يوماً معلوماً ، فإذا كان يوم شربها خلوا عنها وعن الماء وحلبوها لبناً ، وملأوا كل إناء وعاء وسقاء ، فإذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء ولم تشرب منه شيئاً فملأوا كل إناء وعاء وسقاء ، فأوحى الله إلى صالح أن قومك سيعقرون ناقتك ، فقال لهم ، فقالوا : ما كنا لنفعل ، قال : إلا تعقروها أنتم أو شك أن يولد فيكم مولود يعقرها ، قالوا : ما علامة ذلك المولود ؟ فو الله لا نجده إلا قتلناه ، قال : فإنه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر ، قال : فكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان ، لأحدهما ابن يرغب له عن المناكح ، وللآخر ابنة لا يجد لها كفناً ،

(١) القرآن الكريم : سورة الزخرف (٢٣) .

(٢) القرآن الكريم : سورة هود (٦٢) .

(٣) القرآن الكريم : سورة الأعراف (٧٣) .

(٤) القرآن الكريم : سورة القمر (٢٩) .

(٥) القرآن الكريم : سورة الشمس (١٤) .

(٦) القرآن الكريم : سورة الشمس (١٢) .

(٧) هو قدار بن سالف بن جندع ، وكان أحمر أزرق أصهب ، وكان يقال أنه ولد زانية ولد على فراش

سالف وهو ابن رجل يقال له صبيان . ينظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١ ، ص ١٥٤ .

(٨) الألوسي : تفسير روح المعاني ، ج ٨ ، ص ١٦٤-١٦٥ .

فجمع بينهما مجلس فقال أحدهما لصاحبه : ما يمنعك أن تزوج ابنتك ؟ قال : لا أجد له كفناً ، قال : فإن ابنتي كفء له ، وأنا أزوجك ، فزوجه فولد منهما ذلك المولود^(١) .

وكان في المدينة ثمانية رهط يفسدون ولا يصلحون ، فلما قال لهم صالح : إنما يعقرها مولود فيكم ، اختاروا ثمانية نسوة قوابل من القرية ، وجعلوا معهن شرط كانوا يطوفون في القرية ، فإذا وجدوا المرأة تمخض نظروا ما ولدها ؟ فإن كان غلاماً قتلته ، وإن كانت جارية أعرضن عنها ، فلما وجدوا ذلك المولود صرخ النسوة وقلن : هذا الذي يريد رسول الله صالح ، فأراد الشرط أن يأخذوها ، فحال جداه بينهما وبينه وقالوا : إن أراد صالح هذا قتلناه وكان شرراً مولود ، وكان يشب في اليوم شباب غيره في الجمعة ، ويشب في الجمعة شباب غيره في الشهر ، ويشب في الشهر شباب غيره في السنة ، فاجتمع الثمانية الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، وفيهم الشيخان ، فقالوا : استعمل هذا الغلام لمنزلته وشرف جديهِ فصاروا تسعة ، وكان صالح عليه السلام لا ينام معهم في القرية ، بل كان في مسجد يقال له مسجد صالح ، فيه يبيت بالليل ، فإذا أصبح أتاهم فوعظهم وذكرهم ، فإذا أمسى خرج إلى مسجده فبات فيه^(٢) .

وفي رواية أخرى أنه لما قال لهم صالح ﷺ أنه سيولد غلام يكون هلاكهم على يديه قالوا : فكيف تأمرنا ؟ قال : أمركم بقتلهم ، فقتلوهم إلا واحداً ، قال : فلما بلغ ذلك المولود قالوا : لو كنا لم نقتل أولادنا لكان لكل واحد منا مثل هذا ، هذا عمل صالح ، فأتهموا بينهم بقتله وقالوا : نخرج مسافرين والناس يروننا علانية ثم نرجع من ليلة كذا وكذا فنرصده عند مصلاه فنقتله ، فلا يحسب الناس إلا أننا مسافرون كما نحن^(٣) .

فأقبلوا حتى دخلوا تحت صخرة يرصدونه ، فأنزل الله عز وجل عليهم الصخرة فرضختهم فأصبحوا رضخاً ، فانطلق رجال ممن قد اطلع على ذلك منهم ، فإذا هم رضخ ، فرجعوا يصيحون في القرية : أي عباد الله ، أما رضي صالح أن أمرهم أن يقتلوا أولادهم حتى قتلهم ! فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة أجمعون ، فأحجموا عنها إلا ذلك ابن العاشر ، فقال الشقي لأحدهم : انتها فاعقرها ، فأتاها فتعاضمه ذلك ، فأضرب عن ذلك ، فبعث آخر فأعظم ذلك ، فجعل لا يبعث أحداً إلا تعاضمه أمرها ، حتى مشى إليها وتطول فضرب عرقوبيها ، فوقعت تركض ، فأتى رجل منهم صالحاً فقال : أدرك الناقة فقد عُقرت^(٤) .

فأقبل ، فخرجوا يتلقونه ويعتذرون إليه : يا نبي الله ، إنما عقرها فلان ، إنه لا ذنب لنا ، قال : انظروا هل تدركون فصيلها ، فإن أدركتموه فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب ! فخرجوا يطلبونه ، فلما رأى الفصيل أمه تضطرب أتى جبلاً يقال له : القارة ، فصعده وذهبوا ليأخذوه فأوحى الله عز وجل إلى الجبل ، فطال في السماء حتى ما تناله الطير ، قال : ودخل صالح القرية فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ، ثم استقبل صالحاً ، فرغا رغبة ثم رغا أخرى ، ثم رغا أخرى فقال صالح : لكل رغبة أجل يوم ، تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ، ذلك وعد غير

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١ ، ص ٩٠ ؛ الطبري : جامع البيان ، ج ١٢ ، ص ٨٥ .

(٢) الطبري : تاريخ الطبري ، ج ١ ، ص ١٥٩ ؛ السيوطي : الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٩٧ .

(٣) الطبري : جامع البيان ، ج ١٢ ، ص ٨٦ .

(٤) السيوطي : الدر المنثور ، ج ٣ ، ص ٩٨ .

مكذوب^(١)، إلا أن آية العذاب أن اليوم الأول تصبح وجوهكم مصفرة ، واليوم الثاني حمرة ، واليوم الثالث مسودة ، فلما أصبحوا إذا وجوههم كأنما طليت بالخلق^(٢)، صغيرهم وكبيرهم ، ذكرهم وإنثاهم^(٣).

وذكر النويري رواية عن عقر الناقة مفادها أن قتلها كان بتحريض من امرأتين من نساء ثمود إحداها تدعى (عنيزة بنت غنم بن مجلز) و الأخرى (صدوف بنت المحيا بن فهر) إذ قمن بإغراء بعض الرجال الذين يكفرون بنبو صالح عليه السلام ومنهم رجل يدعى (قدار) و الآخر يدعى (مصدع) ، فاجتمع معهم رجال وهم (أخو مصدع ، ورعين و داود و خادم الأصنام و ريان و لبيد و المصرد و هزيل و مفرج)^(٤) وهؤلاء هم التسعة رهط الذين ذكرتهم النصوص القرآنية و وصفتهم أنهم يفسدون ولا يصلحون ، قال تعالى (وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ)^(٥)، فتنادوا هؤلاء التسعة و عقروا الناقة بعد أن أخذوا موافقة جميع القبائل التمودية عدا المؤمنين بالنبي صالح عليه السلام^(٦).

فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم : ألا قد مضى يوم من الأجل وحضركم العذاب ، فلما أصبحوا اليوم الثاني إذا وجوههم حمرة ، كأنما خضبت بالدماء ، فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا أنه العذاب ، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم : ألا قد مضى يومان من الأجل وحضركم العذاب ، فلما أصبحوا اليوم الثالث فإذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار ، فصاحوا جميعاً : ألا قد حضركم العذاب فتكفنوا وتحنطوا ، وكان حنوطهم الصبر و المقر ، وكانت أكفانهم الأنطاع ، ثم ألقوا أنفسهم إلى الأرض فجعلوا يقلبون أبصارهم إلى السماء مرةً وإلى الأرض مرة ، لا يدرون من حيث يأتيهم العذاب ، من فوقهم من السماء ، أو من تحت أرجلهم من الأرض خشعاً و فرقاً ، فلما أصبحوا اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كالصاعقة و صوت كل شيء له صوت في الأرض ، فتنقطعت قلوبهم في صدورهم فأصبحوا في ديارهم جائعين^(٧)، فهلكوا جميعاً إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله ، منعه الله من العذاب ويدعى (أبو رغال)^(٨)، وقيل يدعى (أبو ثقيف)^(٩)، وقيل يدعى (أبو ثقيف)^(١٠)، وقيل يدعى (أبو ثقيف)^(١١).

- (١) الثعلبي : تفسير الثعلبي ، ج ٤ ، ص ٢٥٦ .
- (٢) الخلق : وهو طيب مركب يتخذ من الزعفران و غيره من أنواع الطيب ، وتغلب عليه الحمرة والصفرة . ينظر ابن الأثير : المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٠٦هـ) ، النهاية في غريب الحديث ، ت. طاهر احمد الزاري و محمود محمد الطناحي ، ط ٤ ، مؤسسة اسماعيليان ، قم - إيران ، ١٣٦٤هـ - ١٩٤٢م ، ج ٢ ، ص ٧١ .
- (٣) الحاكم النيسابوري : المستدرک ، ج ٢ ، ص ٥٦٧ ؛ الطبرسي : مجمع البيان ، ج ٤ ، ص ٢٩٦ .
- (٤) لم نقف على ترجمتهم .
- (٥) القرآن الكريم : سورة النمل (٤٨) .
- (٦) نهاية الإرب ، ج ١٣ ، ص ٧٥ .
- (٧) الطبري : تاريخ ، ج ١ ، ص ١٤١ ؛ المجلسي : بحار الأنوار ، ج ١١ ، ص ٣٩٢ .
- (٨) اسمه قسي بن منبه . ينظر الزركلي : الأعلام ، ج ٣ ، ص ٢٨ .
- (٩) الطبري : تاريخ ، ج ١ ، ص ١٤١ .
- (١٠) راجع هامش ٥٦٥ .
- (١١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١ ، ص ٩٢ .

خامساً - الحيوان في قصة النبي إبراهيم الخليل {عليه السلام} :

ومن الأنبياء الذين كانت للحيوان معهم قصة وعبرة هو إبراهيم {عليه السلام} الذي كانت له أكثر من قصة في القرآن الكريم مع الحيوانات ، فمرة يطلب من الله عز وجل أن يحيي الموتى فيأمره الله تعالى بذبح أربعة من الطير ، ومرة يرى في المنام أنه يذبح ابنه اسماعيل {عليه السلام} فيصدق الرؤيا ثم يفديه الله تعالى بالكبش و سيتضح لنا من خلال البحث مضمون القصتين .

قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَبْطِئَنَّ قُلُوبِي فَالْحَذَّارَةُ مِنَ الطَّيْرِ فَصَرَفُكَ إِلَيْكَ تَمَّ أَجَلٌ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ ثُمَّ أَدْعُنِي يَا أَيْمُنُكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)^(١) ، روي عن ابو عبد الله {عليه السلام} أنه قال لبعض أصحابه : " قد علمت الطير اربعة فكم كانت الجبال ؟ انما الاجزاء للجبال ليس للطير ، فقالوا : ظننا انها اربعة ، فقال ابو عبد الله عليه السلام : ولكن الجبال عشرة " ^(٢) .

وعن معروف بن خربوذ قال : سمعت أبا جعفر {عليه السلام} يقول : " ان الله لما اوحى إلى ابراهيم {عليه السلام} ان خذ أربعة من الطير عمد ابراهيم فأخذ الحمامة والطاووس والوزة والديك فنتف ريشهن بعد الذبح فرجعهن في مهراصة فهرسهن ثم فرقهن على جبال الاردن ، وكانت يؤمذ عشرة أجبال فوضع على كل جبل منهن جزءا ثم دعاهن بأسمائهن فاقبلن اليه سعيا يعنى مسرعات ، فقال ابراهيم عند ذلك ، اعلم ان الله على كل شئ قدير " ^(٣) .

و روي أنه اخذ ديكا أبيض و غراباً أسود وحمامة خضراء و طاووساً ، وقطع رؤوسها و خلط الدم بالدم و الريش بالريش ثم جزأها أجزاء متساوية ، وجعل على كل جبل منهن جزءاً وجعل رؤوسها بين أصابعه ثم دعاها ، فانضم كل جزء إلى بعضه وخرجت الرؤوس من بين الأصابع ، فصار كل رأس إلى بدنه ^(٤) .

وعن ابي عبد الله {عليه السلام} قال : " لما رأى ابراهيم عليه السلام ملكوت السموات والارض التفت فرأى جيفة على ساحل البحر نصفها في الماء ونصفها في البر تجئ سباع البحر فتأكل ما في الماء ثم ترجع فيشد بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضا ، وتجي سباع البر فتأكل منها فيشد بعضها على بعض ويأكل بعضها بعضا " ^(٥) ، فعند ذلك تعجب ابراهيم {عليه السلام}

(١) القرآن الكريم : سورة البقرة (آية ٢٦٠) .

(٢) الشيخ الحويزي : تفسير نور الثقلين ، ج ١ ، ص ٢٨٠ ؛ السيد البروجردي : جامع أحاديث الشيعة ، ج ١٩ ، ص ٢٤٣ ؛ البحراني : الشيخ يوسف (ت ١١٨٦ هـ) ، الحقائق الناضرة ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم - ايران ، (د.ت) ، ج ٢٢ ، ص ٤٥٨ .

(٣) الشيخ الحويزي : تفسير نور الثقلين ، ج ١ ، ص ٢٨٠ ؛ العياشي : تفسير العياشي ، ج ١ ، ص ١٤٣ ؛ وينظر الطباطبائي : تفسير الميزان ، ج ٢ ، ص ٢٨٢ .

(٤) النويري : نهاية الأرب ، ج ١٣ ، ص ٩٥ .

(٥) الكليني : كتاب الكافي ، ج ٨ ، ص ٣٠٥ ؛ القمي : تفسير القمي ، ج ١ ، ص ٩١ ؛ النجفي : هادي موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) ، ط ١ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠٢ م ، ج ١١ ، ص ٤٣ ؛ الجزائري : قصص الانبياء ، ج ١ ، ص ١٦٥ .

مما رأى وقال : (رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى)^(١) قال : كيف تخرج ما تناسل التي أكل بعضها بعضا : (قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيْطْمَئِنَّ قَلْبِي)^(٢) يعنى حتى أرى هذا كما رأيت الاشياء كلها (قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا)^(٣) فقطعنهن وأخلطنهن كما اختلطت هذه الجيفة في هذه السباع التي أكل بعضها بعضا ، فخلط (ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا)^(٤) فلما دعاهن أجبنه وكانت الجبال عشرة^(٥) .

وروي عن أبى عبدالله عليه السلام في قول ابراهيم عليه السلام : " رب أرنى كيف تحيى الموتى " ، قال أبو عبدالله عليه السلام : " لما ارى ابراهيم ملكوت السموات والارض رأى رجلا يزنى فدعا عليه فمات ، ثم رأى آخر فدعا عليه فمات حتى رأى ثلاثة فدعا عليهم فماتوا ، فأوحى الله اليه أن يا ابراهيم ان دعوتك مجابة فلا تدع على عبادي ، فاني لو شئت لم أخلقهم ، انى خلقت خلقي على ثلاثة أصناف : عبدا يعبدني لا يشرك بي شيئا فأثيبه ، وعبدا يعبد غيرى فلن يفوتني ، وعبدا يعبد غيرى فاخرج من صلبه من يعبدني^(٦) ، ثم التفت فرأى جيفة علي ساحل بعضها في الماء وبعضها في البر يجئ سباع البر فيأكل بعضها بعضا وفسد بعضها عن بعض فيأكل بعضها بعضا فعند ذلك تعجب ابراهيم مما رأى وقال : " رب أرنى كيف تحيى الموتى " ، كيف يخرج ما تناسخ ، هذه امم أكل بعضها بعضا ، قال : " أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي " يعنى حتى أرى هذا كما رأى الله الاشياء كلها ، قال : خذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا وتقطعهن وتخلطنهن كما اختلطت هذه الجيفة في هذه السباع التي أكلت بعضها بعضا " ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا " فلما دعاهن أجبنه وكانت الجبال عشرة^(٧) .

وفي روايات أخرى أن أصناف الطير كانت (نسرا و بطا و طاووسا و ديجا) فقطعنهن و خلطنهن ثم جعل على كل جبل من الجبال التي حوله و كانت عشرة منهن جزءا و جعل مناقيرهن بين أصابعه ثم دعاهن بأسمائهن و وضع عنده حبا و ماء فتطايرت تلك الأجزاء

(١) القرآن الكريم : سورة البقرة (آية ٢٦٠) .

(٢) القرآن الكريم : سورة البقرة (آية ٢٦٠) .

(٣) القرآن الكريم : سورة البقرة (آية ٢٦٠) .

(٤) القرآن الكريم : سورة البقرة (آية ٢٦٠) .

(٥) الصدوق : أبى جعفر محمد بن علي (ت ٣٨١هـ) ، علل الشرائع ، ت. محمد صادق بحر العلوم ، المكتبة الحيدري ، النجف الأشرف ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م ، ج ٢ ، ص ٥٨٦ ؛ الحر العاملي : محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ) ، الفصول المهمة في معرفة الأئمة ، ت. محمد بن محمد الحسين القائيني ، ط ١ ، مؤسسة المعارف ، قم ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، ج ١ ، ص ٣٤٢ ؛ الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ، ج ٢ ، ص ٣١١ ؛ الجزائري : قصص الأنبياء ، ج ١ ، ص ١٦٥ .

(٦) الريشهري : محمد ، ميزان الحكمة ، ت. دار الحديث ، ط ١ ، مطبعة دار الحديث ، قم ، ١٣٧٥هـ ، ج ٤ ، ص ٢٩٤٢ ؛ الفيض الكاشاني : تفسير الصافي ، ج ٢ ، ص ١٣٢ ؛ السيد الطباطبائي : تفسير الميزان ، ج ٧ ، ص ٢٠٩ .

(٧) الطوسي : أبى جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ) ، الاستبصار فيما اختلف من الأخبار ، ت. حسن الموسوي الخرسان ، ط ٤ ، دار الكتب الاسلامية ، طهران ، ١٣٦٣هـ ، ج ٤ ، ص ١٣١ ؛ العياشي : تفسير العياشي : ج ١ ، ص ١٤٤ ؛ الحر العاملي : وسائل الشيعة ، ج ١٩ ، ص ٣٨٣ .

بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان و جاء كل بدن حتى انضم إلى رقبتة و رأسه فخلى إبراهيم عليه السلام عن مناقيرهن فطرن ثم وقعن فشربن من ذلك الماء و التقطن من ذلك الحب و قلن : " يا نبي الله أحبيتنا أحياءك الله ، فقال إبراهيم عليه السلام : بل الله يحيي و يميت و هو على كل شيء قدير " (١) .

وفي قول النبي إبراهيم عليه السلام (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى) روى الصدوق عن الإمام الرضا عليه السلام إن الله عز و جل أوحى إلى إبراهيم عليه السلام أني متخذ من عبادي خليلا إن سألتني إحياء الموتى أحبته فوقع في نفس إبراهيم عليه السلام أنه ذلك الخليل ، فسأله أن يحيي الموتى قال أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَ لَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي عَلَى الْخَلَّةِ ، و يقال إنه أراد أن تكون له في ذلك معجزة كما كانت للرسول و إن إبراهيم سأل ربه أن يحيي له الميت فأمره الله عز و جل إلى أن يميت لأجله الحي سواء بسواء و هو لما أمره بذبح ابنه إسماعيل و إن الله عز و جل أمر إبراهيم بذبح أربعة من الطير طاوس و نسر و ديك و بط ، فالطاووس يريد به زينة الدنيا و النسر يريد به الأمل الطويل و البط يريد به الحرص و الديك يريد به الشهوة يقول الله عز و جل إن أحببت أن تحيي قلبك و تطمئن معي فاخرج عن هذه الأشياء الأربعة فإذا كانت هذه الأشياء في قلب فإنه لا يطمئن معي و سألته كيف قال : أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ مَعَ عِلْمِهِ بِسِرِّهِ وَ حَالِهِ ، فقال : إنه لما قال رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى كان ظاهر هذه اللفظة توهم أنه لم يكن بيقين فقرره الله بسؤاله عنه إسقاطا للتهمة عنه و تنزيها له من الشك (٢) .

و في الكافي عن الحصين بن الحكم قال : " كتبت إلى العبد الصالح أخبره أني شك و قد قال إبراهيم رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى و إنني أحب أن تريني شيئا ، فكتب إلي أن إبراهيم كان مؤمنا و أحب أن يزداد إيمانا و أنت شك و الشاك لا خير فيه " (٣) .

و روي أن الطيور التي أمر بأخذها الطاووس و النسر و الديك و البط ، وقيل الغراب بدل النسر (٤) و يجوز أن يحمل تغاير الطيور على تعدد المرات (٥) .

فلا علاقة للسؤال بالكفر والإيمان ، فقد تخطى إبراهيم عليه السلام هذه المرحلة ودعا الناس إلى عبادة الله تعالى الخالق المدبر ، ولكن هذا الطلب من إبراهيم عليه السلام هو كما قال سيد قطب : " إنه تشوف لا يتعلق بوجود الإيمان وثباته وكماله واستقراره ؛ وليس طلباً للبرهان أو تقوية للإيمان إنما هو أمر آخر له مذاق آخر إنه أمر الشوق الروحي ، إلى ملابسة السر

(١) الصدوق : أبي جعفر محمد بن علي (ت ٣٨١هـ) ، عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ، ت. حسين الأعلمي ، ط ١ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٤هـ - ١٨٤م ، ج ٢ ، ص ١٧٦ ؛ الطبرسي : أبي منصور أحمد بن علي (ت ٥٤٨هـ) ، كتاب الاحتجاج ، ت. محمد باقر الخراسان ، دار النعمان ، النجف الأشرف ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م ، ج ٢ ، ص ٢١٨ ؛ الجزائري : قصص الأنبياء ، ص ١٨ ؛ وينظر العبيدي : أحمد ، الرمز في قصة إبراهيم (ع) ، دار الغدير ، ١٩٩٨م ، ج ٢ ، ص ١٩ .

(٢) الصدوق : الخصال ، ص ٢٦٥ ؛ الجزائري : قصص الأنبياء ، ص ١١٤ ؛ وينظر الصدوق : أبي جعفر محمد بن علي (ت ٣٨١هـ) ، التوحيد ، ت. هاشم الطهراني ، منشورات جماعة المدرسين ، قم ، ص ١٣٢ ؛ شبر : عبد الله (ت ١٢٤٢هـ) ، تفسير شبر ، ت. حامد حنفي داود ، ط ٣ ، نشر السيد مرتضى الرضوي ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م ، ص ٨٠ .

(٣) المازندراني : شرح أصول الكافي ، ج ١٠ ، ص ٩٦ .
(٤) الصدوق : كتاب الخصال ، ص ٢٩٦ ؛ المجلسي : بحار الأنوار ، ج ١٢ ، ص ٦٤ .
(٥) الجزائري : قصص الأنبياء ، ج ١ ، ص ١٦٧ .

الإلهي ، في أثناء وقوعه العملي ^(١)؛ قال ابن القيم رحمه الله : " إن إبراهيم طلب الانتقال من الإيمان بالعلم بإحياء الله الموتى إلى رؤية تحقيقه عياناً فطلب بعد حصول العلم الذهني تحقيق الوجود الخارجي فإن ذلك أبلغ في طمأنينة القلب " ^(٢)، فإبراهيم عليه السلام لم يشك يوماً في وجود ربه تعالى أو قدرته على إحياء الموتى وحاشاه أن يكون كذلك فهو الحليم الأواه المنيب ؛ قال صلى الله عليه وآله وسلم : " نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال : (رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) " ^(٣) . والمعنى كما قال القرطبي رحمه الله في تفسيره: " لو كان شاكاً لكننا نحن أحق به ، ونحن لا نشك ، فإبراهيم عليه السلام { } أخرى ألا يشك ، فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم عليه السلام " ^(٤) . ولو كان في هذا خطأ لعاتبه الله تعالى كما عاتب آدم عليه السلام حين أكل من الشجرة ، ولكن الله سبحانه أراد أن يُطمئن قلب خليفه فأمره أن يحضر أربعة أنواع من الطيور وقد اختلف المفسرون في أنواع هذه الطيور ولا فائدة من تعيينها ، وأمره سبحانه أن يقطع هذه الطيور إرباً إرباً ثم يخلطها مع بعضها ويقسمها ويجعل على كل جبل جزء منها ثم بعد ذلك ينادي على كل طير باسمه يأتيه من فوره وتركب الخلق أمام إبراهيم عليه السلام ليرى بأمر عينه هذه المعجزة الإلهية ويترقى من علم اليقين إلى عين اليقين ^(٥) .

سادساً - الحيوان في قصة النبي إبراهيم والنبي اسماعيل عليهما السلام :

ومن قصص الحيوان مع نبي الله إبراهيم واسماعيل عليهما السلام قصة الكبش الذي فدى به اسماعيل عليه السلام { } من الذبح ، والذي اختلفت الروايات في تفاصيل قصته إلا أننا نأخذ خطوطها العامة من القرآن الكريم من قوله تعالى : (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ) قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنِ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ، فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ، وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، إِنَّ هَذَا لَهُ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ، وَقَدْ نَبَأَهُ بِذَنبِ عَظِيمٍ) ^(٦) .

فقد روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ... وعلى إسماعيل عليه السلام قميص أبيض ، فقال له : يا أبت إنه ليس لي ثوب تكفني فيه غيره فأخلع حتى تكفني فيه

(١) في ظلال القرآن ، ج ١ ، ص ٣٠٢ .

(٢) ابن القيم الجوزية : محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ١٣٥٠ هـ) ، تهذيب مدارج السالكين ، ط ١ ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، ٢٠١٠م ، ص ٥٦٧ .

(٣) ابن حنبل : مسند أحمد ، ج ٢ ، ص ٣٢٦ ؛ البخاري : الجامع الصحيح ، ج ٥ ، ص ١٦٣ ؛ مسلم : الصحيح ، ج ١ ، ص ٩٢ .

(٤) تفسير القرطبي ، ج ٣ ، ص ٢٩٨ .

(٥) الرازي : تفسير الرازي ، ج ٧ ، ص ٤٥ ؛ الجزائري : قصص الأنبياء ، ج ١ ، ص ١٧٠ .

(٦) القرآن الكريم : سورة الصافات (الآيات ١٠٢ - ١٠٧) .

، فعالجه ليخلعه ، فنودي من خلفه أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا فالتفت إبراهيم ، فإذا بكبش أبيض أقرن أعين ، عيون كبيرة ، كبش جميل ، قال ابن عباس : لقد رأيتنا ننتبع ذلك الضرب من الكباش في الأضاحي وغيرها نبحت عن مثل هذه الصفات^(١).

ونكر المفسرين في تأويل قوله تعالى : (وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا)^(٢) ، أي نادينه في تلك الحال المزعجة ، والأمر المدهش ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ، بمعنى حصل المقصود من رؤياك بإضجاعك ولدك للذبح ، وكفي هذا في تنفيذك لما في الرؤيا ، ما حصل إلى الآن حققت ما أوحينا به إليك ، وفعلت ما أمكنك ، وبالتالي فإن الابتلاء قد تم ، والطاعة ظهرت^(٣).

ونكر بعض المفسرين أن ليس هذا مما ينسخ بوجه لأن معنى ذبحت الشيء قطعته ، واستدل على هذا بقول مجاهد : قال إسحاق لإبراهيم : لا تنظر إليّ فترحمني ، ولكن اجعل وجهي إلى الأرض ، ونعرف أن الذبيح هو إسماعيل ، وليس إسحاق ، ولذلك هذه الرواية تفتقر إلى النقل الصحيح ، وأي رواية أخرى أيضاً فيها قضية جعل السكين نحاساً أيضاً تفتقر إلى طريق صحيح ، ولا يمكننا إثبات شيء بدون طريق صحيح ، لكن ما علمنا من الآيات أن إبراهيم استعد ، وَتَلَّهَ لِلْجَبِينِ ، وبالتالي ما كان عنده أي شك ولا تردد ولا امتناع عن التنفيذ ، وهذا يكفي إلى هذه المرحلة يكفي في التدليل على طاعة إبراهيم ، قال القرطبي : " قال أهل السنة : إن نفس الذبح لم يقع ، وإنما وقع الأمر بالذبح قبل أن يقع الذبح ، ولو وقع لم يتصور رفعه ، فكان هذا من باب النسخ قبل الفعل ؛ لأنه لو حصل الفراغ من امتثال الأمر بالذبح ما تحقق الفداء^(٤) .

وقيل في تفسير قوله تعالى (إِنَّ هَذَا لَهَوَ الْبَاءِ الْمُبِينِ)^(٥) يعني الأمر بالذبح اختبار واضح وجلي فسارع مستسلماً ، قال تعالى (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى)^(٦) ، أي : وفى بما أمر الله به ، الواحد منا قد لا يطيق الصبر على مرض الولد ، فكيف يصبر على ذبح ولده ، ولكن هذا البلاء المبين الذي جعله الله لخليل الرحمن رفع منزلة ودرجة ، وهذا البلاء المبين الذي كان لخليل الرحمن زيادة أجر وطاعة وقربة ، وبسببه شرعت هذه الشريعة العظيمة في ذبح الأضاحي^(٧) .

(١) ابن حنبل : مسند أحمد ، ج ١ ، ص ٢٩٧ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ١ ، ص ١٩٤ ؛ تفسير الطبري ، ج ٢٣ ، ص ٩٥ ؛ الهيتمي : مجمع الزوائد ؛ ج ٣ ، ص ٢٥٩ ؛ ابن الجوزي : أبي الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ) ، الموضوعات ، ت. عبد الرحمن محمد عثمان ، ط ١ ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م ، ج ٣ ، ص ٨٩ ؛ ابن كثير : تفسير ابن كثير ، ج ٤ ، ص ١٧ ؛ ابن حجر : الإصابة ، ج ٥ ، ص ١٦١ .

(٢) القرآن الكريم : سورة الصافات (الآيات ١٠٤ - ١٠٥) .

(٣) ابن كثير : التفسير ، ج ٤ ، ص ١٨ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٥ ، ص ١٠٢ ، وينظر الشوكاني : فتح القدير ، ج ٤ ، ص ٤٠٥ .

(٥) القرآن الكريم : سورة الصافات (الآية ١٠٦) .

(٦) القرآن الكريم : سورة النجم (الآية ٣٧) .

(٧) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١ ، ص ١٨١ ؛ وينظر الطباطبائي : تفسير الميزان ، ج ١٧ ، ص ١٢٧ .

وأما قوله تعالى : (وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ)^(١) روي أنه كبش أملح أقرن وهو كبش هابيل ابن آدم الذي قدمه قرباناً لله تعالى^(٢) ؛ وقيل : هو كبش كبير الجسم من الضأن ، وهذا الكبش الذي جعله الله فداء بدلاً من الولد ، وينوب منابه ، فانتقل الأمر من ذبح المولود إلى ذبح الكبش ، فصار الكبش فداء للولد^(٣) .

وفي قبال ذلك البلاء و الاختبار الصعب جازى الله تعالى النبي إبراهيم عليه السلام في الدنيا بالثناء الجميل ، والذكر العطر ، والسيرة الحسنة ، وأخبار جميلة تتناقلها الأمم عن إبراهيم ، ولذلك كل الأمم تحب إبراهيم ، اليهود يحبونه ، والنصارى يحبونه ، والمسلمون يحبونه ، كلهم يحبون إبراهيم ، بمعنى أن هذه الطاعة المطلقة لله أعقبها الله ثناء عليه من الجميع ، كل يدعي الانتماء لإبراهيم ، كل يقول : إبراهيم منا ، اليهود يقولون : إبراهيم يهودي ، النصارى يقولون : إبراهيم نصراني ، لذلك قال الله تعالى : (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا)^(٤) .

ويعتقد أن الموضع الذي أمر فيه إبراهيم بذبح ولده إسماعيل عليه السلام بمكة في المقام وقيل عند الجمار وقيل في مواضع متعددة على صخرة ، وقد روي عن ابن عباس أنه قال : " فو الذي نفسي بيده لقد كان أول الإسلام وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة ، وقد يبس " ^(٥) ، وقيل أن الأجيال بعد إسماعيل عليه السلام ظلت محتفظة بقرون الكبش في الكعبة حتى صار الأمر إلى حفظه في الكعبة ، ثم احترق لما احترقت الكعبة ، احترق قرني الكبش بحريقها^(٦) .

سابعا - الحيوانات في قصة النبي يوسف (عليه السلام) :

ورد ذكر الذئب في القرآن الكريم وذلك من خلال قصة نبي الله يوسف عليه السلام ، حيث كان يوسف أصغر أبناء النبي يعقوب عليه السلام ، وكان أبناء يعقوب لا يحبون يوسف بسبب قربه من أبيه وحب أبيه الزائد له ، فشعروا بالغيرة والحقد من يوسف عليه السلام ، وقرروا التخلص منه حتى يمتلكوا قلب أبيهم ، قال تعالى : (قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ

(١) القرآن الكريم : سورة الصافات (الآية ١٠٧) .
(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١ ، ص ١١١ ؛ النويري : نهاية الإرب ، ج ١٣ ، ص ١٠٧ .
(٣) رومي : محمد داوود فيصري ، شرح فصوص الحكم ، ط ١ ، طهران ، ١٣٧٥ هـ ، ص ٦٢٠ .
(٤) القرآن الكريم : سورة آل عمران (آية ٦٧) .
(٥) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ١ ، ص ١٩٤ .
(٦) الكردي : محمد بن طاهر ، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، دار خضر ، ١٤٢٠ هـ ، ج ٣ ، ص ٦٣ .

لَمَّا صَحُونَ * أَرْسَلَهُ مَعَا غَدَا يَنْعَ وَيَلْمِبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ
الذِّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ * قَالُوا لَنْ يَأْكُلَهُ الذِّبُّ وَحَسْ عُسْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَاسِرُونَ * فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يُجْعَلُوهُ
فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ * قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا
نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّبُّ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١) ..

وقد أوردت الروايات قصص مختلفة حول اجتماع أخوة يوسف عليه السلام للكيد به ومنها أنه اجتمع إخوة يوسف وبدأ كل منهم يقترح اقتراحاً ليتخلصوا منه ، وقالوا : إن الحل الوحيد هو أن نأخذه ونلقيه في أرض بعيدة لا يعلم عنها أحد سوانا ، ونتركه يموت جوعاً أو تأكله الذئاب ، لكن أحد إخوته اعترض على هذا وقال : لن نتخلص منه لكن سوف نرميه في البئر فربما يسمع أحد المارة صراخه فينقذه (٢) ..

وفي صباح اليوم التالي اجتمعوا وطلبوا من أبيهم أن يأخذوا يوسف معهم إلى المرعى ، ليمرح بجوارهم ، وكان يعقوب يشعر بالتردد والقلق عليه ، لكنهم أقنعوه في النهاية واصطحبوا معهم يوسف عليه السلام في جوف الصحراء ، ثم ألقوه بالقوة في البئر ، وذبحوا أحد الخراف ولطخوا به قميص يوسف حتى يصدق يعقوب أن الذئب قد أكله ، وعاد الإخوة وهم يصطنعون البكاء وقالوا لأبيهم إن الذئب قد أكل يوسف ، وبكى يعقوب من الحزن وذهب عنه بصره ، لكن كانت هناك قافلة تجارية في طريقها إلى مصر هي التي أنقذت يوسف عليه السلام من البئر (٣) ..

علماً أن النبي يعقوب أشار إليهم بضرورة حفظه من الذئب لما له من قدرة على الفتك بالإنسان (أخاف أن يأكله الذئب) ، أي يقتله فيأكل منه فإنكم تبعدون عنه ، لما يعلم من إمعانهم في اللعب والشغل باللهو والمسابقة ، فتجتري الذئاب على يوسف عليه السلام ، والذئب حيوان من الفصيلة الكلبية (٤) ، وهو كلب برّي وحشي ومن خلقه الاحتيال والنفور وهو يفترس الغنم وإذا قاتل الإنسان فجرحه ورأى عليه الدم ضرى به فربما مزقه (٥) ..

وإنما ذكر يعقوب عليه السلام أن ذهابهم به غدا يحدث به حزناً مستقبلاً ليصرفهم عن الإلحاح في طلب الخروج به لأن شأن الابن البار أن يتقي ما يحزن أباه ، وتأكيده الجملة بحرف

(١) القرآن الكريم : سورة يوسف (الآيات ١١ - ١٧) .

(٢) الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن ، ج ٥ ، ص ٣٦٥ ؛ ابن سليمان : مقاتل (ت ١٥٠هـ) ، تفسير القرآن ، ت. أحمد فريد ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، ج ٢ ، ص ١٣٩ ؛ الطبري : جامع البيان ، ج ١٢ ، ص ٢٠٩ ؛ الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، ج ٧ ، ص ٢٤١ .

(٣) الطوسي : التبيان في تفسير القرآن ، ج ٥ ، ص ٣٧٢ ؛ الشيرازي : الأمثل ، ج ٧ ، ص ١٥٠-١٥٣ ؛ الطبري : تاريخ ، ج ١ ، ص ٢٣٣ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١ ، ص ١٣٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١ ، ص ٤٦٣ .

(٤) والذئب سبع معروف ، واشتقاقه من تذاءب الريح اذاجاءت من كل جهة . ينظر الطوسي : التبيان ، ج ٦ ، ص ١٠٨ .

(٥) ابن عاشور : التحرير والتنوير ، ج ١٢ ، ص ٢٩ .

التأكيد لقطع إلحاحهم بتحقيق أن حزنه لفراقه ثابت ، تنزيلاً لهم منزلة من ينكر ذلك ، إذ رأى إلحاحهم . ويسري التأكيد إلى جملة وأخاف أن يأكله الذئب^(١) .

والذئب يختل بالحيلة من كل وجه وقوله (وانتم عنه غافلون) جملة في موضع الحال وتقديره اخاف ان يأكله الذئب في حال كونكم ساهين عنه ، والخوف والفرع والقلق نظائر ونقيضه الامن^(٢) .

وفي قوله تعالى : (قالوا لنن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون)^(٣) ، لما قال لهم يعقوب ما ذكره في الآية الاولى ، قالوا في الجواب عن ذلك " لنن أكله الذئب ونحن جماعة متعاضدون متناصرون نرى الذئب قد قصده ، فلا نمنع عنه ، انا اذا لخاسرون " أي بمنزلة الخاسر الذي ذهب رأس ماله على رغم منه ، والخسران ذهاب رأس المال ، والربح زيادة على رأس المال^(٤) .

واللام في قوله " لنن " هي التي يتلقى بها القسم ، فكأنهم أقسموا على ما قالوه ، وأعظم الخسران ما يذهب بالثواب ، ويؤدي إلى العقاب ، فلذلك أقسموا عليه ، وقيل : معناه إنا اذا لمضيعون بلغة قيس عيلان^(٥) .

و روي أن أخوة يوسف سألوا أباهم أن يخرج معهم يوسف عليه السلام كما في قوله تعالى : (قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف) أي ما لك لا تثق بنا و لا تعتمدنا في أمر يوسف (و إنا له لناصحون) أي مخلصون في إرادة الخير به و في هذا دلالة على أنه عليه السلام كان يأبى عليهم أن يرسله معهم (أرسله معنا غدا) أي إلى الصحراء نرتع و نلعب الجزم على جواب الأمر و المعنى أن ترسله معنا نرتع و نلعب أي نذهب و نجيء و ننشط و نلهو ، و قيل نتحافظ فيحفظ بعضنا بعضنا و نلهو ، و قيل نرعى و نتصرف و الرتع هو التردد يمينا و شمالا ، و أرادوا به اللعب المباح مثل الرمي و الاستباق بالأقدام^(٦) ، " و إنا له " أي ليوسف " لحافظون " أي نحفظه لنرده إليك و قيل نحفظه في حال لعبه و قيل هاهنا تقديم و تأخير و ذلك إن إخوة يوسف قالوا له أرسله فقال أبوهم " إني ليحزنني أن تذهبوا به " الآية فحينئذ قالوا " يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف و إنا له لناصحون " وإذا صح الكلام من غير تقديم و تأخير فلا معنى لحمله عليه ، و روي أن يوسف وضع في الجب و هو ابن سبع وعشرين سنة و مات و هو ابن مائة و عشرين سنة ، و قيل أنه كان ليوسف يوم ألقى في الجب عشر سنين و قيل كان له اثنتا عشرة سنة و قيل كان ابن سبع سنين أو تسع و جمع بينه و بين

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير ؛ ج١٢ ، ص ٣١ .

(٢) الطوسي : التبيان ، ج ٦ ، ص ١٠٨ .

(٣) القرآن الكريم : سورة يوسف (١١٤) .

(٤) الطوسي : التبيان ، ج ٦ ، ص ١٠٨ ؛ الطبرسي : مجمع البيان ، ج ٥ ، ص ٣٧٢ .

(٥) الطوسي : التبيان ، ج ٦ ، ص ١٠٨ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ١٠٥ ؛ وينظر الأردبيلي : زبدة البيان ، ص ٣٩٩ .

أبيه و هو ابن أربعين سنة عن ابن عباس و غيره و في الآيات دلالة على ظهور حسدهم ليوسف لأنه كان يحرسه منهم و يمنعه عن الخروج معهم و لا يأمنهم عليه^(١) .

و ذكر في تفسير قوله تعالى : (أن يأكله الذئب و أنتم عنه غافلون) فهذه جملة في موضع الحال و تقديره أخاف أن يأكله الذئب في حال كونكم ساهين عنه مشغولين ببعض أشغالكم قالوا و كانت أرضهم مذابة و كانت الذئاب ضارية في ذلك الوقت و قيل أن يعقوب رأى في منامه كان يوسف قد شد عليه عشرة أذؤب ليقتلوه و إذا ذئب منها يحمي عنه فكأن الأرض انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها إلا بعد ثلاثة أيام فمن ثم قال فلقتهم العلة و كانوا لا يدرون^(٢) .

و روي عن النبي (ﷺ) أنه قال : " لا تلقوا الكذب فيكذبوا فإن بني يعقوب لم يعلموا أن الذئب يأكل الإنسان حتى لقنهم أبوه " ^(٣) ، و هذا يدل على أن الخصم لا ينبغي أن يلحق حجة ، و قيل أنه خاف عليه أن يقتلوه فكفى عنهم بالذئب مسابقة لهم قال ابن عباس : سماهم ذئابا^(٤) (قالوا لن أكله الذئب و نحن عصبه) أي جماعة متعاضدون متناصرين نرى الذئب قد قصده و لا نمعه منه " إنا إذا لخاسرون " أي نكون كالذين تذهب عنه رؤوس أموالهم على رغم منهم و قيل معناه إنا إذا عجرة ضعفة : أي لا يملكون من أمرهم شيء^(٥) ، قال الحسن : و الله لقد كانوا أخوف عليه من الذئب ، و قيل معناه إنا إذا لمضيعون بلغة (قيس عيلان^(٦))^(٧) . و هاهنا حذف و التقدير أنه أرسله معهم إجابة لما سأله ليؤدي ذلك إلى الألفة و المحبة " فلما ذهبوا به و أجمعوا " أي عزموا جميعا " أن يجعلوه في غيابة الجب " أي قعر البئر و اتفقت دواعيهم عليه فإن من دعاه داع واحد إلى الشيء لا يقال فيه أنه أجمع عليه فكأنه مأخوذ من اجتماع الدواعي و يدل الألف و اللام على أنه كان بئرا معروفة معهودة عندهم تجيئها السيارة ، و قيل أنهم طلبوا بئرا قليلة الماء تغيبه و لا تغرقه فجعلوه فيها و قيل بل جعلوه في جانب منها^(٨) .

و قيل أن يعقوب أرسله معهم فأخرجوه مكرما فلما وصلوا إلى الصحراء أظهروا له العداوة و جعلوا يضربونه و هو يستغيث بواحد واحد منهم فلا يغيثه و كان يقول يا أبتاه فهموا بقتله فمنعهم يهوذا^(٩) منه و قيل منعهم لاوي^(١٠) ، رواه بعض أصحابنا عنهم (عليه السلام) فانطلقوا

(١) الطبرسي : مجمع البيان ، ج ٥ ، ص ٣٢٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١ ، ص ٢٣١ ؛ وقصص الأنبياء ، ج ١ ، ص ٣١٥ ؛ المجلسي : بحار الأنوار ، ج ١٢ ، ص ٢٢١ .

(٢) الطبرسي : مجمع البيان ، ج ٥ ، ص ٣٧٢ ؛ وينظر عبد الله شبر : التفسير ، ص ٢٤٠ ؛ الجزائري : قصص الأنبياء ، ص ١٨٣ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ، ج ١٢ ، ص ٢٢١ ؛ النمازي الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ، ج ٩ ، ص ٧٧ .

(٤) الطبرسي : مجمع البيان ، ج ٥ ، ص ٣٧٢ .

(٥) النحاس : معاني القرآن ، ج ٣ ، ص ١٦٦ ؛ أبي حيان الأندلسي : تفسير البحر المحيط ، ج ٤ ، ص ٥٠٦ .

(٦) بطن من القبائل العربية الأصلية المنحدرة من مضر بن نزار . ينظر ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ) ، الانباه على قبائل الرواة ، ت. ابراهيم الأبياري ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، ص ٦٤ .

(٧) الطوسي : التبيان ، ج ٦ ، ص ١٠٨ .

(٨) الطبرسي : مجمع البيان ، ج ٥ ، ص ٣٧٢ .

(٩) الطبري : جامع البيان ، ج ١٢ ، ص ٢٠٩ .

(١٠) الطبرسي : مجمع البيان ، ج ٥ ، ص ٣٧٢ .

به إلى الجب فجعلوا يدلونه في البئر و هو يتعلق بشفير البئر ثم نزعوا قميصه عنه و هو يقول : لا تفعلوا ردوا علي القميص أتواري به فيقولون ادع الشمس و القمر و الأحد عشر كوكبا يؤنسك فدلوه في البئر حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت و كان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة فقام عليها و كان يهوذا يأتيه بالطعام^(١) ، و قيل إن الجب أضاء له و عذب ماؤه حتى أغناه عن الطعام و الشراب و قيل كان الماء كدرا فصفا و عذب و وكل الله به ملكا يحرسه و يطعمه ، و قيل إن جبرائيل كان يؤنسه و قيل إن الله تعالى أمر بصخرة حتى ارتفعت من أسفل البئر فوقف يوسف عليها و هو عريان و كان إبراهيم الخليل عليه السلام (حين ألقى في النار جرد من ثيابه و قذف في النار عريانا فأثاه جبرائيل عليه السلام) بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه و كان ذلك عند إبراهيم عليه السلام (فلما مات ورثه إسحاق فلما مات إسحاق ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في تعويذ و علقه في عنقه فكان لا يفارقه فلما ألقى في البئر عريانا جاءه جبرائيل و كان عليه ذلك التعويذ فأخرج منه القميص فألبسه إياه^(٢) . ويبدو من النص القرآني ان بني يعقوب لما سألوا اباهم يعقوب ان ياذن ليوسف في الخروج معهم قال لهم " اني اخاف ان يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون " قال : فقال أبو عبدالله عليه السلام : قرب يعقوب لهم العلة اعتلوا بها في يوسف^(٣) .

ومن الخرافات التي روية في قصة الذئب الذي أتهم بأكل يوسف ما أورده النويري قائلًا " وأخذ يعقوب القميص ، ونظر إليه فلم ير فيه أثر خدش فقال : يا بني ، ما للذئب وأكل أولاد الأنبياء ؟ وأخذ يبكي ، ثم قال : اخرجوا في طلب هذا الذئب ، وإلا دعوت عليكم فتهلكوا ، فخرجوا فأخذوا ذئباً عظيماً وجعلوا يضربونه ويجرونه حتى جاءوا به إلى أبيهم فقال : كيف عرفتموه ؟ قالوا : لأنه ذئب كبير ، وكان يتعرض لنا في غنمنا ، فقال يعقوب : سبحان من لو شاء لأنطقك بحجتك ، فنطق الذئب وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يا نبي الله ، إني ذئب غريب ، فقدت ولداً لي فجئت في طلبه حتى بلغت بلدك ، فأخذني هؤلاء وضربوني وكذبوا علي ، والذي أنطقني ما أكلت ولدك ، وكيف يأكل الذئب أولاد الأنبياء ؟ فأطلقه يعقوب " ^(٤) والرواية واضحة البطلان لما فيها من سيناريو كارتوني و خيالي واضح .

ومن الحيوانات التي ورد ذكرها في قصة يوسف عليه السلام { على نحو الإجمال دون التشخيص هو الطير وذلك في قوله تعالى من قصة يوسف : (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِيَئًا بِأَوَّلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) ^(٥) .

(١) الطبري : جامع البيان ، ج ١٢ ، ص ٢٠٩ .

(٢) الطبرسي : مجمع البيان ، ج ٥ ، ص ٣٣٢ .

(٣) الصدوق : علل الشرائع ، ج ٢ ، ص ٦٠٠ ؛ المجلسي : بحار الأنوار ، ج ١٢ ، ص ٢٨٣ ؛ الحويزي :

تفسير نور الثقلين ، ج ٢ ، ص ٤١٥ .

(٤) نهاية الإرب ، ج ١٣ ، ص ١١٦ .

(٥) القرآن الكريم ، سورة يوسف (٣٦) .

وقد ورد في تفسيرها عن قتادة و السدي " قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا " هو من رؤيا المنام كان يوسف عليه السلام لما دخل السجن قال لأهله إني أعبر الرؤيا ، فقال أحد العبدین لصاحبه : هلم فلنجر به ، فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئا ، وقيل بل رؤياهما على صحة و حقيقة و لكنهما كذبا في الإنكار ، وقيل إن المصلوب منهما كان كاذبا و الآخر صادقا^(١) .

ورواه علي بن إبراهيم أيضا في تفسيره عن أهل البيت عليهم السلام و المعنى قال أحدهما و هو الساقى^(٢) . رأيت أصل حبله عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجنيتها و عصرتها في كأس الملك و سقيته إياها ، و قال الآخر^(٣) إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه ، ومعناه قال صاحب الطعام إني رأيت كان فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز و ألوان الأطعمة و سباع الطير تنهش منه^(٤) ، " نبئنا بتأويله " أي أخبرنا بتعبيره و ما يؤول إليه أمره " إنا نراك من المحسنين " أي تؤثر الإحسان و الأفعال الجميلة قال الضحاك كان إذا ضاق على رجل مكانه وسع له و إن احتاج جمع له و إن مرض قام عليه و هو المروي عن أبي عبد الله (عليه السلام)^(٥) ، و قال الزجاج جاء في التفسير أنه كان يعين المظلوم و ينصر الضعيف و يعود العليل ، و قيل " من المحسنين " أي ممن يحسن تأويل الرؤيا^(٦) .

و هذا دليل على أن أمر الرؤيا صحيح و أنها لم تنزل في الأمم السالفة و في الحديث أن الرؤيا جزء من ستة و أربعين جزءا من النبوة^(٧) . و تأويله أن الأنبياء يخبرون بما سيكون و الرؤيا تدل على ما سيكون فيكون المعنى في الآية إنا نعلمك أو نظنك ممن يعرف تعبیر الرؤيا و من ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام : " قيمة كل امرئ ما يحسنه " ، و قال أبو مسلم : نراك من المحسنين إلينا إن فسرت لنا الرؤيا و هو قول ابن أبي إسحاق ، ثم ذكر لهما يوسف (عليه السلام) ما يدل على أنه عالم بتفسير الرؤيا " قال لا يأتيكما طعام ترزقانه " في منامكما " إلا نباتكما بتأويله " في اليقظة " قبل أن يأتيكما "^(٨) .

وقد أخبرهما بتأويل رؤياهما بقوله " يصحبى السجن أما أحكما يعني صاحب الشراب فيسقى ربه خمرا كما يسقيه قبل "^(٩) ، ذكر القمي في تفسير الآية : قال له يوسف عليه السلام تخرج من السجن وتصير على شراب الملك وترتفع منزلتك عنده ، وأما الآخر يعني الخباز فيصلب فتأكل الطير من رأسه ، يقول القمي : ولم يكن رأى ذلك وكذب ، فقال له يوسف : إنك

-
- (١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١ ، ص ١٤٤ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١ ، ص ٤٧٣ .
 - (٢) الساقى يدعى (مخلت) . ينظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ص ١٤٤ .
 - (٣) الخباز و يدعى (نبو) . ينظر ابن الأثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ١٤٤ .
 - (٤) ابن عطية الأندلسي : المحرر والوجيز ، ج ٣ ، ص ٢٤٣ ؛ أبي حيان الأندلسي : تفسير البحر المحيط ، ج ٥ ، ص ٣٠٧ ؛ الرازي : تفسير الرازي ، ج ١٨ ، ص ١٣٤ .
 - (٥) الطبرسي : مجمع البيان ، ج ٥ ، ص ٤٠١ .
 - (٦) الطوسي : التبيان ، ج ٦ ، ص ١٣٩ ؛ الجصاص : أبي بكر أحمد بن علي الرازي (ت ٣٧٠هـ) ، أحكام القرآن ، ت. عبد السلام محمد علي شاهين ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، ج ٣ ، ص ٢٢٣ ؛ وينظر النويري : نهاية الإرب ، ج ١٣ ، ص ١٢٢ .
 - (٧) المجلسي : بحار الأنوار ، ج ٥٨ ، ص ١٧٨ ؛ الثعلبي : تفسير الثعلبي ، ج ٥ ، ص ٢٢٤ .
 - (٨) الطبرسي : مجمع البيان ، ج ٥ ، ص ٣٥٦ .
 - (٩) الفيض الكاشاني : تفسير الصافي ، ج ٣ ، ص ٢١ .

يقتلك الملك ويصلبك وتأكّل الطير من دماغك فجحد الرجل فقال إني لم أر ذلك فقال يوسف عليه السلام قضى الأمر^(١) .

وقيل في تفسير الآية قال له يوسف : تخرج من السجن وتصير على شراب الملك ، وترتفع منزلتك عنده ، وأما الآخر يعني الخباز فقال له يوسف : أنت يقتلك الملك ويصلبك وتأكّل الطير من دماغك ، فجحد الرجل ، فقال إني لم أر ذلك ، فقال يوسف : (قضى الأمر الذي فيه تستفتيان) وهو ما يؤول إليه أمركما ، يعني قطع وفرغ منه ، صدقتما أو كذبتما^(٢) .

وذكر الحديث علي بن إبراهيم القمي قال : و وكل الملك بيوسف رجلين يحفظانه فلما دخل السجن قالوا له : ما صناعتك ؟ قال : أعبّر الرؤيا ، فرأى أحد الموكلين في منامه كما قال يعصر خمرا ، قال يوسف : تخرج و تصير على شراب الملك و ترتفع منزلتك عنده ، و قال الآخر : إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكّل الطير منه ، و لم يكن رأى ذلك فقال له يوسف : أنت يقتلك الملك و يصلبك و تأكّل الطير من رأسك ، فضحك الرجل و قال : إني لم أر ذلك فقال يوسف كما حكى الله : (يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا و أما الآخر فيصلب فتأكّل الطير من رأسه قضى الأمر الذي فيه تستفتيان)^(٣) .

ويبدو أن الطير الذي قصده يوسف عند تعبير الرؤيا هو أحد الجوارح المفترسة التي تأكل اللحوم (غراب أو صقر أو نسر) وذلك لما كان لهذا الطير من مكانة في نفوس أهل مصر حيث دخل في معتقداتهم و عباداتهم و أقاموا له الطقوس العبادية و قدموا لها القرابين لكي يأمنوا شرها لأنها كانت تمثل جانب القوة والسيطرة بحسب اعتقادهم حتى اقترن بعضها بلقب الملك آنذاك .

ومن الحيوانات التي ورد ذكرها في قصة يوسف عليه السلام هي البقرات التي رآها الملك في منامه ، كما في قوله تعالى : (وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلْنَ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ)^(٤) .

قال الطبري : يعني جل ذكره بقوله : وقال ملك مصر : إني أرى في المنام سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وقال " إني أرى " ولم يذكر أنه رأى في منامه ولا في غيره ، لتعارف العرب بينها في كلامها إذا قال القائل منهم " أرى أني أفعل كذا وكذا " ، أنه خبر عن رؤيته ذلك في منامه ، وإن لم يذكر النوم ، وأخرج الخبر جل ثناؤه على ما قد جرى به استعمال العرب ذلك بينهم^(٥) .

و روى المفسرون : " ... ودنا فرج يوسف فرأى ملك مصر الأكبر رؤيا عجيبة هالته وذلك أنه رأى سبع بقرات سمان خرجت من البحر ثم خرج عقبن سبع بقرات عجاف في غاية

(١) الفيض الكاشاني : تفسير الصافي ، ج ٤ ، ص ١٩ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ص ١٤٤ ؛ الفيض الكاشاني : محمد محسن (ت ١٠٩١هـ) ، التفسير الأصفى ، ت. مركز الدراسات الإسلامية ، ط ١ ، مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، ج ٢ ، ص ١٣٥ ؛ أبي السعود : محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ) ، تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ج ٤ ، ص ٢٧٦ .

(٣) الطباطبائي : تفسير الميزان ، ج ١١ ، ص ٩٨ .

(٤) القرآن الكريم : سورة يوسف (٤٣) .

(٥) تفسير الطبري : ج ١٢ ، ص ٢٤٠ .

الهزال ، فابتلعت العجاف السمان فدخلن في بطونهن ، فلم يرى منهن شيئا ولم يتبين على العجاف منها شيء ، ثم رأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخرى يابسات قد استحصدت ، فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها ولم يبق من خضرتها شيء ، فجمع السحرة والكهنة والحازة والمعبرين وقص عليهم رؤياه^(١) .

و عند ذلك تذكر الساقى يوسف و تعبيره لمنامه فذكر ذلك للملك و استأذنه أن يراجع السجن و يستفتي يوسف في أمر الرؤيا فأذن له في ذلك و أرسله إليه ، و لما جاءه و استفتاه في أمر الرؤيا و ذكر أن الناس ينتظرون أن يكشف لهم أمرها قال : (قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَعِيدٌ شَدَادُ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ)^(٢) .

فلما سمع الملك ما أفتى به يوسف أعجبه ذلك و أمر بإطلاقه و إحضاره إليه و جعله عزيز مصر على أثر تلك الرؤيا^(٣) .

وذكر السيوطي في تفسيره وقال يوسف عليه السلام للساقى : (اذكرني عند ربك) . ثم أن الله أرى الملك رؤيا في منامه هالته ، فرأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر يأكلهن سبع يابسات ، فجمع السحرة والكهنة والعافة - وهم القافة - والحازة - وهم الذين يزجرون الطير - فقصها عليهم فقالوا : أضغات أحلام ، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين^(٤) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : لم يكن السجن في المدينة ، فانطلق الساقى إلى يوسف عليه السلام فقال : (أفتنا في سبع بقرات . . .) إلى قوله (لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون)^(٥) . فأولها يوسف بقوله : (قال تزرعون سبع سنين دابًّا فما حصدتم فذروه في سنبله)^(٦) قال : هو أبقي له ، (إلا قليلا كما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا كما تحصنون) قال : مما

(١) الزمخشري : الكشف ، ج ٢ ، ص ٣٢٢ ؛ الثعلبي : التفسير ، ج ٥ ، ص ٢٢٦ ؛ المشهدي : التفسير ، ج ٢ ، ص ١٩٠ ؛ النويري : نهاية الإرب ، ج ١٣ ، ص ١٢٣ ؛ ابن كثير البداية والنهاية ، ج ١ ، ص ٤٧٨ .

(٢) القرآن الكريم : سورة يوسف (٤٧) .

(٣) الطباطبائي : تفسير الميزان ، ج ١١ ، ص ٢٥٧ .

(٤) الدر المنثور ، ج ٤ ، ص ٦ ؛ ابن أبي حاتم : التفسير ، ج ٧ ، ص ٢١٥١ ؛ وينظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ص ٢٢٥ .

(٥) القرآن الكريم : سورة يوسف (٤٦) .

(٦) القرآن الكريم : سورة يوسف (٤٧) .

ترفعون (ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون)^(١) قال : فلما أتى الملك الرسول وأخبره^(٢) قال : (انتوني به)^(٣) .

وفي رواية أخرى قيل في قوله تعالى : (أفنتا في سبع بقرات) أي فيمن رأى في منام سبع بقرات ، وحكى النقاش حديثاً روى فيه : أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف في السجن وبشره بعطف الله تعالى عليه ، وأخراجه من السجن وأنه قد أحدث للملك مناما جعلها سبباً لفرج يوسف ، ويروى أن الملك كان يرى (سبع بقرات سمان) يخرجن من نهر ، وتخرج وراءها (سبع عجاف) ، فتأكل العجاف السمان ، فكان يعجب كيف غلبتها وكيف وسعت السمان في بطون العجاف ، وكان يرى (سبع سنبلات خضر) وقد التقت بها سبع يابسات ، حتى كانت تغطي خضرتها فعجب أيضاً لذلك ، وقوله : (لعلمهم يعلمون) أي تأويل هذه الرؤيا ، فيزول هم الملك لذلك وهم الناس . وقيل : (لعلمهم يعلمون) مكانتك من العلم وكنه فضلك فيكون ذلك سبباً لتخلصك^(٤) .

ومن الحيوانات التي ذكرت في قصة يوسف ﷺ { في القرآن الكريم هو الجمل والذي ورد بلفظ آخر وهو (البعير) قال تعالى : (وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعُ آلِنَا وَنَبِغُهُمْ وَأَخَانَا وَحَفِظُوا أَخَانًا وَزَادُوا كَيْلَ بُعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ)^(٥) ، وقد اختلف المفسرون في معنى البعير الوارد في النص فمنهم من قال هو الحمار و منهم من قال بأنه الجمل ، و بالجملة فإن حمل البعير يعد وحدة قياس وزن للحنطة آنذاك ، فقد أورد المفسرون في قوله تعالى (نَزَادَ كَيْلَ بُعِيرٍ) أي نعود به بعيراً مع ابلنا وذلك كيل يسير^(٦) ؛ وقيل نَزَادَ على أحمالنا حمل بعير يكال لنا من أجل أخانا ، لأنه كان يعطى بإسم كل رجل حمل بعير ذلك كيل يسير ، أي ما حملناه لا يفينا و أهلنا ، وقيل في معنى كيل يسير أي لا مؤونة فيه ولا مشقة^(٧) ؛ وقيل في معنى البعير أنه الحمار على قول مجاهد ، وقال بأنها لغة يقال للحمار بعير ، إلا أن الأرجح أن المقصود هو الجمل وليس الحمار^(٨) .

- (١) القرآن الكريم : سورة يوسف (٤٩) .
- (٢) السيوطي : الدر المنثور ، ج ٤ ، ص ٦ .
- (٣) القرآن الكريم : سورة يوسف (٤٩) .
- (٤) ابن عطية الأنديلسي : المحرر الوجيز ، ج ٣ ، ص ٢٥٠ ؛ الثعالبي : تفسير الثعالبي ، ج ٣ ، ص ٣٣١ ؛ النويري : نهاية الإرب ، ج ١٣ ، ص ١٢٣ .
- (٥) القرآن الكريم : سورة يوسف (٦٥) .
- (٦) الطبري : جامع البيان ، ج ١٣ ، ص ١٦ ؛ الطبرسي : مجمع البيان ، ج ٥ ، ص ٤٢٧ .
- (٧) الطوسي : التبيان ، ج ٦ ، ص ١٦٦ .
- (٨) البغوي : تفسير البغوي ، ج ٢ ، ص ٤٣٦ ؛ الزمخشري : الكشاف ، ج ٢ ، ص ٣٣١ .

ثامناً - الحيوانات في قصة النبي موسى ﷺ :

و من الحيوانات التي ذكرت في قصة نبي الله موسى ﷺ في القرآن الكريم هي (الحية و البقرة و الحوت) وكل حيوان كان له توظيف خاص به في هذه القصة فالحية استخدمت للمعجزة وإثبات نبوة موسى ﷺ و أما الحوت فاستخدم للدلالة ، وأما البقرة فقد استخدمت للكشف عن القاتل وكذلك لبيان أهمية هذا الحيوان (البقرة) عند المصريين القدماء ، كما بيّنا ذلك في الفصل الأول سلفاً ، وقد وردت في ذلك آيات متعددة و في مواضع مختلفة من القرآن الكريم ، ففي قصة الحية قال تعالى : (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشْفَى بِهَا عَالِيَ غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى * قَالَ أَفَأَنْتَا يَا مُوسَى * فَاَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى)^(١).

يقول الحقّ جلّ جلاله : (وما تلك بيمينك يا موسى) ، إنما سألّه ؛ ليريه عظيم ما يفعل بها ؛ من قلبها حية ، فمعنى السؤال : تقريره على أنها عصي ، ليتبين له الفرق بين حالها قبل قلبها وبعده ، وقيل : إنما سألّه ليؤنسه وينبسط معه ، فأجابه بقوله : (هي عصاي) ، نسبها لنفسه تحقيقاً لوجه كونها بيمينه ، رُوي أنها كانت عصا آدم عليه السلام ، فأعطاه له شعيب ، حين قدمه لرعي غنمه ، على ما يأتي في سورة القصص . وكان في رأسها شعبتان ، وفي أسفلها سنان ، واسمها نبعة ، في قول مقاتل^(٢) .

قوله : (أتوكأ عليها) أي : أعتمد عليها إذا مشيت ، وعند الإعياء ، والوقوف على رأس قطيع الغنم ، (وأُشْفَى) أي : أخبط بها الورق من الشجر ليسقط على غنمي فتأكله^(٣) ؛ (وليّ فيها مآربٌ أخرى) أي : حاجات أخرى من هذا الباب ، قال ابن عباس : كان موسى عليه السلام يحمل عليها زاده وسقائه ، فجعلت تأتيه وتحرسه ، ويضرب بها الأرض فتخرج ما يأكل يومه ، ويركز بها فيخرج الماء ، فإذا رفعها ذهب ، وكان يرد بها عن غنمه ونعمه الهوام بإذن الله ، وإذا ظهر له عدو حاربت وناضلت عنه ، وإذا أراد الاستسقاء من البئر أدلأها ، فطالت على طول البئر وصارت شعبتها كالدول فيستقي بها ، وكان يظهر على شعبتيها كالشمعتين بالليل فيستضيء بها ، وإذا انتهى ثمره ركزها فتغصنت غصن تلك الشجرة ، وأورقت وأثمرت ، فهذه المآرب^(٤) .

(١) القرآن الكريم : سورة طه (١٧ - ٢١) .

(٢) الزمخشري : الكشاف ، ج ٢ ، ص ٥٣٣ ؛ الغرناطي الكلي : القاسم بن أحمد بن محمد بن جزي (ت ٧٤١هـ) ، التسهيل لعلوم التنزيل ، ط ٤ ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ج ٣ ، ص ١٢ ؛ أبي حيان الأندلسي : تفسير البحر المحيط ، ج ٦ ، ص ٢٢٠ .

(٣) الطبرسي : تفسير جوامع الجامع ، ج ٢ ، ص ٤٧٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ص ١٧٩ ؛ وينظر البغوي : تفسير البغوي ، ج ٣ ، ص ٢١٥ ؛ الألوسي : تفسير الألوسي ، ج ١٦ ، ص ١٧٦ ؛ الشيخ الطريحي : مجمع البحرين ، ج ١ ، ص ٦١ ؛ النمازي الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ، ج ١ ، ص ١٠٧ .

و قد أشارت التفسير إلى أن الآيات في هذه القصة تدل على أنه أراه آية اليد والعصا ليتمرن على ذلك قبل حضوره عند فرعون وقومه ، وأنه ولى مدبراً خوفاً منها في المرة الأولى لما صارت ثعباناً كما في قوله تعالى : (قَالَ أَتَاهَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْمَى قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى وَاضْمِمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِهَا تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءِ آيَةٍ أُخْرَى)^(١) ، فقوله (وَلَا تَخَفْ) يشير إلى أنه فزع منها لما صارت ثعباناً مبيناً ، وفي قوله تعالى : (وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَزُّكَاهَا جَنَّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ اسْلِكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمِمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)^(٢) ، والبرهانان المشار إليهما بقوله (فذانك برهانان) هما اليد والعصا ، فلما تمرن موسى على البرهانين المذكورين ، وبلغ الرسالة هو وأخوه إلى فرعون ملئه طاليوه بأية تدل على صدقه فجاءهم بالبرهانين المذكورين ، ولم يخف من الثعبان الذي صارت العصا إياه كما قال تعالى : (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلْمُنَظَرِينَ)^(٣) ، ونحوها من الآيات^(٤) .

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في تفسير قوله تعالى (وأدخل يدك في جيبك) قال : في جيب قميصك (تخرج بيضاء من غير سوء) قال : من غير برص (في تسع آيات) قال : يقول هاتان الآيتان : يد موسى ، وعصاه (في تسع آيات) وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول : التسع آيات : يد موسى ، وعصاه ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدُم ، والسنين في بواديهم ومواشيهم ، ونقص من الثمرات في أمصارهم ، وفي قوله (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) قال : بينة (وجحدوا بها) قال : كذبت القوم بآيات الله بعدما استيقنتها أنفسهم أنها حق ، والجحد لا يكون إلا من بعد المعرفة ، وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس في قوله (ظلماً وعدواً) قال : تعظماً واستكباراً^(٥) .

ومن الحيوانات التي ورد ذكرها في قصة موسى عليه السلام البقرة التي ذبحوها بني إسرائيل بأمر من الله تعالى ليكشفوا بها عن جريمة قتل ، قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ

(١) القرآن الكريم : سورة طه (١٩-٢٢) .

(٢) القرآن الكريم : القصص (٣١-٣٢) .

(٣) القرآن الكريم : الشعراء (٣٠-٣٣) .

(٤) الشنقيطي : أضواء البيان ، ج ٣ ، ص ٤٣٥ ؛ ابن الجوزي : جمال الدين عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ) ، زاد المسير ، ت. محمد بن عبد الرحمن عبد الله ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ج ٣ ، ص ١٦٤ ؛ الغرناطي الكلبي : التسهيل لعلوم التنزيل ، ج ٤ ، ص ١٧٦ .

(٥) ابن أبي حاتم الرازي : التفسير ، ج ٩ ، ص ٢٨٥٢ ؛ السيوطي : الدر المنثور ، ج ٧ ، ص ٤٢٨ .

يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ^(١) ، أن تذبحوا قصتها أن رجلاً من بني إسرائيل قتل قريبه ليرثه وادعى على قوم أنهم قتلوه فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوا القتيل ببعضها ففعلوا فقام وأخبر بمن قتله ثم عاد ميتاً ^(٢) .

وروي أنه قُتل شخص من بني إسرائيل من دون أن يعرف القاتل ، وهو أمر سبب اختلافاً بين القوم ، وعادة عندما يُقتل شخص يسعى البعض أن يرجعه إلى عملية تصفية الحسابات فيلقي القتل على عاتق أطراف خاصة ، وقد كان أصل الحادث أن شخصاً قتل عمه الثري ، وقد كان الشاب الوارث الوحيد لعمه وكان منزعاً من جراء تأخر وفاة عمه فقتله لينال نصيبه من الارث في وقت مبكر ، وقد عدَّ البعض حبَّ الشاب لابنة عمه هو سبب القتل وذلك لأن العم رغم حبه لابن أخيه زوج ابنته من شخص آخر ، إنَّ بث خبر مقتل هذا الشخص أثار ضجة شديدة جعلت البعض ومنهم القاتل الحقيقي يبحثون عن القاتل ، فكانت الفتنة العظيمة وكان الموقف يوشك على نزاع بين القبائل ليتبدل إلى حرب شاملة ، فطلبوا من موسى أن يحل لهم المشكلة فكانت المسألة التالية حسب ما دونها القرآن ^(٣) : (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا) ^(٤) .

و روي عن ابن عباس ، قال : " إِنَّ أَصْحَابَ بَقْرَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ طَلَبُوهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى وَجَدُوهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي بَقَرٍ لَهُ ، وَكَانَتْ بَقْرَةٌ تَعْجِبُهُ ، قَالَ : فَجَعَلُوا يَعْطُونَهُ بِهَا وَيَأْبَى حَتَّى أَعْطَوْهُ مِائَةَ مَسْكَاةٍ دَنَانِيرَ ، فَذَبَحُوهَا ، فَضَرَبُوهُ بِبَعْضِهَا مِنْهَا ، فَقَامَ تَشْخَبُ أَوْدَاجُهُ دِمَا ، فَقَالُوا لَهُ : مَنْ قَتَلَكَ ؟ فَقَالَ : قَتَلَنِي فُلَانٌ " ^(٥) ، وقيل أنهم ضربوا القتيل ببعض لحمها ، و روي عن قتادة أنه قال : " فَضَرَبُوهُ بِلَحْمٍ فَخَذَهَا فَعَاشَ ، فَقَالَ : قَتَلَنِي فُلَانٌ " ^(٦) .

ونذكر أحد الباحثين قوله : يجوز أن يكون الله تعالى إنما أمر بذبح البقرة ، لأنه تعلق بذبحها مصلحة لا تحصل إلا بذبحها ، ولعل الفائدة فيه لتكون الحجة أوكد وعن الحيلة أبعد ، ثم ذكروا فيها فوائد ، منها التقرب بالقربان الذي كانت العادة به جارية ولأن هذا القربان كان عندهم من أعظم القرابين ولما فيه من مزيد الثواب لتحمل الكلفة في تحصيل هذه البقرة على غلاء ثمنها ، ولما فيه من حصول المال العظيم لمالك البقرة ^(٧) .

- (١) القرآن الكريم : سورة البقرة (٦٧ - ٧٣) .
- (٢) الغرناطي الكلبى : التسهيل لعلوم التنزيل ، ج ١ ، ص ٩٥-٩٦ .
- (٣) الشيرازي : ناصر مكارم ، أمثال القرآن ، ت. أبو القاسم عليان ، ترجمة. تحسين البكري ، ط ٢ ، معراج - قم ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م ، ج ٢ ، ص ٥٢ .
- (٤) القرآن الكريم : سورة البقرة (٦٧) .
- (٥) تفسير ابن أبي حاتم ، ج ١ ، ص ١٩١ ؛ تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ٣٠٢ .
- (٦) الإمام العسكري (ع) : الحسن بن علي (ت ٢٦٠ هـ) ، تفسير القرآن ، ت. مدرسة الإمام المهدي ، ط ١ ، مهر - قم ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م ، ص ٢٧٩ ؛ ابن زمنين : أبي عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٣٩٩ هـ) ، تفسير ابن زمنين ، ت. حسين بن عكاشة و مصطفى بن محمد الكنز ، ط ١ ، مطبعة الفاروق ، القاهرة - مصر ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ، ج ١ ، ص ١٥١ ؛ ابن كثير : تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ١١٦ .
- (٧) الرازي : تفسير الرازي ، ج ٣ ، ص ١٢٥ .

وقد أحيى الله أقواماً عبرة للناس وليس بحياة النشور؛ منهم أصحاب الكهف ، وصاحب بقرة بني إسرائيل ، ومن كان يحيي عيسى عليه السلام بإذن الله ، ثم أماتهم الله مكانهم ، فلم يعيشوا ولم يأكلوا ولم يشربوا^(١).

وفي بيان حال البقرة و صفاتها التي طلب بنو إسرائيل من النبي موسى عليه السلام أن يحددها لهم قال تعالى : (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بُكْرٌ عَوَافٍ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ^(٢) ، هل هي كبيرة أو صغيرة أو متوسطة ؟ (قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ) أي : كبيرة ، (ولا بكر) أي : ولا صغير (عَوَافٍ) متوسطة بين ما ذكر من الصغر والكبر ، (فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ) ، فإن الله يبين لكم القاتل ، (يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا) ناصع صفرتها (تَسْرُ النََّاظِرِينَ) لسمنها وبهجة لونها ، (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ) ، فإن البقر الصفر كثير ، وقد تشابه علينا أمرها ؟ قَالَ إِنَّهُ تعالى يقول : إنها مسلمة من العمل ليست ذلولاً ، أي : مذلة بالعمل لا تُثِيرُ أي : تقلب الأرض وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ بالسانية ، مُسَلَّمَةٌ من العيوب كلها ، لَا شِيَةَ فِيهَا أي : لا رقم فيها يخالف الصفرة ، فلما تبين لهم الأمر قَالُوا الْآنَ جِئْتُ بِالْحَقِّ الواضح ، فوجدوها عند شاب كان بيد أمه ، قد استودعها له أبوه في غيضة ، فاشتروها منه بملء جلداه ذهباً ، أو بوزنها ، فذبحوها ، وضربوا القتيل بجزء منها ، فجلس وعروقه تسيل دماً ، وقال : قتلني ابن عم لي ، ثم رجع ، وَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ لكثرة ترددهم ، أو لفحش غلوها ، قال عليه الصلاة والسلام : " لو ذبحوا أدنى بقرة لكفتهم لكن شددوا فشدد الله عليهم "^(٣).

وقيل فارض مسنة ، بكر صغيرة ، عوان متوسطة ، بين ذلك أي بين ما ذكر ولذلك ، قال ذلك مع الإشارة إلى شيئين صفراء من الصفرة المفروقة وقيل سوداء وهو بعيد والظاهر صفراء كلها وقيل القرن والظلف فقط وهو بعيد ، فاقع شديد الصفرة ، تسر الناظرين لحسن لونها ، وقيل لسمنها ومنظرها كله ، لا ذلول غير مذلة للعمل ، تثير الأرض أي تحرثها ، ولا تسقي الحرث لا يسقى عليها ، مسلمة من العمل أو من العيوب ، لا شية لا لمعة غير الصفرة وهو من وشى ففاؤه واو محذوفة كعدة ، الآن جئت بالحق العامل في الضرب جئت بالحق وقيل العامل فيه مضمّر تقديره الآن تذبحوها ، والأول أظهر فإن كان قولهم أتخذنا هزوا هكذا فهذا تصديق وإن كان غير ذلك فالمعنى الحق المبين ، وما كادوا لعصيانهم وكثرة سؤالهم أو لغلاء البقرة فقد جاء بأنها كانت ليتيم وأنهم اشتروها بوزنها ذهباً أو لقلة وجود تلك الصفة ، فقد روي أنهم لو ذبحوا أدنى بقرة أجزأت عنهم ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم ، وإذ قتلتم نفساً هو أول قصة البقرة فمرتبه التقديم ، إن الله يأمركم ، قال الزمخشري : إنما أخر لتعدد توبيخهم لقصتين

(١) الهواري : هود بن محكم الأوراسي الجزائري ، تفسير كتاب الله العزيز ، ت. بالحاج بن سعيد الشريفي ، ط ١ ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت - لبنان ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ، ج ١ ، ص ١٥ .

(٢) القرآن الكريم : سورة البقرة (٦٨) .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ١ ، ص ١٩٣ ؛ ابن عربي : التفسير ، ج ١ ، ص ٦٠ ؛ الميرزا النوري : الميرزا حسين الطبرسي (ت ١٣٢٠ هـ) ، مستدرک الوسائل ، ت. مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) ، ط ١ ، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م ، ج ١٥ ، ص ٢١٢ .

وهما ترك المسارعة إلى الأمر وقتل النفس ولو قدم لكان قصة واحدة بتوبيخ واحد فادارأتم أي اختلفتم وهو من المدارأة أي المدافعة ، ما كنتم تكتمون من أمر القتل ومن قتله ، ضربوا القتل أو قريبه ببعضها مطلقا وقيل الفخذ وقيل اللسان وقيل الذنب كذلك^(١).

وقد أمرهم الله - تعالى - بذبح بقرة دون غيرها من الحيوانات لأنها من جنس ما عبده وهو العجل ، وفي أمرهم بذلك تهوين لشأن هذا الحيوان الذي عظموه وعبده وأحبوه فكأنه - سبحانه - يقول لهم : إن هذا البقر الذي يضرب به المثل في البلادة ، لا يصلح أن يكون معبوداً من دون الله^(٢) ، وإنما يصلح للحرث والسقى والعمل والذبح ، وقولهم (أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءاً) يدل سفههم وسوء ظنهم بنبيهم وعدم توقيرهم له وجهلهم بعظمة الله - تعالى - وما يجب أن يقابل به أمره من الانقياد والامتثال ، لأنهم لو كانوا عقلاء لامتثلوا أمر نبيهم ، وانتظروا النتيجة بعد ذلك ولكنهم قوم لا يعقلون ، وكان قولهم هذا يدل على اعتقادهم بأن موسى - عليه السلام - قد أخبر عن الله بما لم يؤمر به ، فأجابهم موسى بقوله : (أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)^(٣) أي ألتجئ إلى الله وأبرأ إليه من أن أكون من السفهاء الذين يروون عنه الكذب والباطل ، وفي هذا الجواب تبرؤ وتنزهه عن الهزاء ، وهو المزاح الذي يخالطه احتقاره واستخفاف بالممازح معه لأنه لا يليق بعقلاء الناس فضلا عن رسل الله عليهم السلام ، كما أن فيه رداً لهم إلى جادة الأدب الواجب في جانب الخالق ، حيث بين لهم أن ما ظنوه به لا يليق إلا بمن يجهل عظمة الله تعالى^(٤).

و من الحيوانات التي ذكرت في قصة نبي الله موسى { عليه السلام } هو الحوت وذلك في قوله تعالى : (فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا)^(٥).

وقد ورد ذكر الحوت للدلالة على الخضر الذي رافقه موسى { عليه السلام } ، كما بينت المصادر ، فقد أخرج البخاري ومسلم من طريق سعيد بن جببر قال : " قلت لابن عباس أن نوحاً البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس موسى صاحب بني إسرائيل : قال ابن عباس : كذب عدو الله ! ، حدثنا أبي بن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل ، فسئل : أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه " ^(٦) ، فأوحى الله إليه : أن لي عبداً بمجمع البحرين وهو أعلم منك ، قال موسى : يا رب ، كيف لي به ؟ قال : تأخذ معك حوتاً تجعله في مكث ، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم ،

- (١) الغرناطي الكلبي : التسهيل لعلوم التنزيل ، ج ١ ، ص ٥٠ .
- (٢) الطوسي : التبيان ، ج ١ ، ص ٢٩٤ ؛ الطبرسي : مجمع البيان ، ج ١ ، ص ٢٥٩ ؛ القرطبي : تفسير القرطبي ، ج ١ ، ص ٤٤٥ .
- (٣) القرآن الكريم : سورة البقرة (٦٧) .
- (٤) سيد طنطاوي : محمد ، التفسير الوسيط ، ط ١ ، دار النهضة ، القاهرة - مصر ، ١٩٩٨م ، ص ١١٦ .
- (٥) القرآن الكريم : سورة الكهف (٦١) .
- (٦) الجامع الصحيح ، ج ٤ ، ص ١٢٧ ؛ صحيح مسلم ، ج ٧ ، ص ١٠٣ ؛ الحميدي : أبي بكر عبد الله بن الزبير (ت ٢١٩هـ) ، مسند الحميدي ، ت. حبيب الرحمن الأعظمي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م ، ج ١ ، ص ١٨٢ ، الزيلعي : جمال الدين (ت ٧٦٢هـ) ، تخریج الأحاديث و الآثار ، ت. عبد الله بن عبد الرحمن السعد ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ ؛ ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ، ج ٢٠ ، ص ٢٧ ؛ الشاشي : أبو سعيد الهيثم بن كليب بن سريج بن معقل (ت ٣٣٥هـ) ، مسند الشاشي ، ت. د. محفوظ الرحمن زين الله ، ط ١ ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، ج ٤ ، ص ١٧٦ .

فأخذ حوتاً فجعله في مكمل ، ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رأسيهما فناما ، واضطرب الحوت في المكمل فخرج منه فسقط في البحر (فاتخذ سبيله في البحر سرباً) وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق ، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت^(١) .

فانطلقا بقية يومهما وليلتها حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غدائنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ، قال : ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به فقال له فتاه : أرايت إذ أويينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً ، قال : فكان للحوت سرباً ، ولموسى ولفتاه عجباً ، فقال موسى (ذلك ماكنما

نبغي فارتدأ على آثارهما قصصاً)^(٢) . قال سفيان : يزعم ناس أن تلك الصخرة عندها عين الحياة ، ولا يصيب ماؤها ميتاً إلا عاش ، قال : وكان الحوت قد أكل منه ، فلما قطر عليه الماء عاش^(٣) . قال : فرجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة ، فإذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى ، فقال الخضر : وأنى بأرضك السلام ؟ قال : أنا موسى ، قال : موسى بني إسرائيل ؟ قال : نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً (قال إنك لن تستطيع معي صبراً) يا موسى ، إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت ، وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه ، فقال موسى (ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً) فقال له الخضر (فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً) فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ، فمرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم ، فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول ، فلما ركبا في السفينة فلم يفجأه إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدم ، فقال له موسى : قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها ؟^(٤) ، (لقد جئت شيئاً لئرا) فقال : (أم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً) قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً^(٥) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كانت الأولى من موسى نسياناً ، قال : وجاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة ، فقال له الخضر : ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر^(٦) ، ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان

(١) البخاري : الجامع الصحيح ، ج ٥ ، ص ٢٣٠ ؛ ابن الجوزي : زاد المسير ، ج ٥ ، ص ١١٤ ؛ ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣ هـ) ، جامع بيان العلم وفضله ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، (د.ت) ، ج ٣ ، ص ١٣٦ .

(٢) القرآن الكريم : سورة الكهف (٦٤) .

(٣) الترمذي : أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩ هـ) ، سنن الترمذي ، ت. عبد الوهاب عبد اللطيف ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، ج ٤ ، ص ٣٧٢ ؛ ابن العربي : أحكام القرآن ، ج ٣ ، ص ٢٣٧ ؛ الفيروز أبادي : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ) ، تنوير المقياس من تفسير ابن عباس ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، (د.ت) ، ص ٢٤٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ص ١٦١ ؛ الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ) ، الرحلة في طلب الحديث ، ت. نور الدين عتر ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٣ م ، ج ١ ، ص ٢٨ .

(٥) القرآن الكريم : سورة الكهف (٧٢) .

(٦) الطبراني : أبي القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ) ، الأحاديث الطوال ، ت. مصطفى عبد القادر عطا ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، ج ١ ، ص ٨٦ .

على الساحل ، إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر بيده فاقتلعه فقتله ، فقال له موسى : (فَاَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي زَكَاةً أَوْ كُنْتَ تَسْبِيحًا لَدُنِّي نَكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) قال : وهذه أشد من الأولى (قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا * فَاَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَتَوْا أَبَا يُصْيِفُ وَهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ) قال : مائل ، فأخذ الخضر بيده هكذا فأقامه ، فقال موسى : قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا (لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا) فقال : (هذا فراق ببني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً)^(١) .

فقال (ﷺ) : " وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما " (٢)

ومن الحيوانات التي وردت في قصة النبي موسى (ﷺ) هو العجل ، والذي وردت قصته للتعبير عن اعتقادات المصريين القدماء والآلهة التي يعبدونها ومقدار أثرها عليهم ، فقد قال تعالى في كتابه الكريم : (وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى * قَالَ فَإِنَا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ * ... فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَمَا لَوْ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ * أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا * وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ * قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى) (٣) ، وقال أيضاً : (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلِمُهُمْ وَلَا يُهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ) (٤) .

قال الشنقيطي الظاهر أن الفتنة المذكورة هي عبادتهم العجل فهي فتنة إضلال كقوله : (إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ) (٥) ، وهذه الفتنة بعبادة العجل جاءت مبينة في آيات متعددة كقوله تعالى : (وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) (٦) ، ونحو ذلك من الآيات (٧) .

(١) السيوطي : الدر المنثور ، ج ٧ ، ص ٣٧٨ ؛ الخطيب البغدادي : الرحلة في طلب الحديث ، ج ٣١ ، ص ٢٨ .

(٢) السيوطي : الدر المنثور ، ج ٧ ، ص ٣٧٨ ؛ الزمخشري : الكشاف ، ج ٤ ، ص ٣٢ ؛ أبو المعاطي وآخرون : بشار عواد معروف وآخرون ، المسند الجامع ، ت. محمود محمد خليل ، ط ١ ، دار الجيل ، الكويت ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م ، ج ١ ، ص ١٣٠ .

(٣) القرآن الكريم : سورة طه (٨٣ - ٩١) .

(٤) القرآن الكريم : سورة الأعراف (١٤٨) .

(٥) القرآن الكريم : سورة الأعراف (١٥٥) .

(٦) القرآن الكريم : سورة البقرة (٥١) .

(٧) ينظر الشنقيطي : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ج ٤ ، ص ١٥٠ .

وأما قوله : (وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ) أوضح كيفية إضلاله لهم في غير هذا الموضع كقوله : (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ) إلى قوله (اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ) ، أي اتخذوه إلهاً وقد صنعه السامري لهم من حلي القبط فأضلهم بعبادته ، وقوله هنا (فَكَذَّبَكَ أَخْمِي السَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَتَنَسِي)^(١) ، والسامري قيل اسمه هارون ، وقيل اسمه موسى بن ظفر ، وعن ابن عباس : أنه من قوم كانوا يعبدون البقر ، وقيل كان رجلاً من القبط ، وكان جاراً لموسى آمن به وخرج معه ، وقيل كان عظيماً من عظماء بني إسرائيل من قبيلة تعرف بالسامرة وهم معروفون بالشام ، قال سعيد بن جبير : كان من أهل كرمان^(٢) .

وقوله تعالى في هذه الآية : (وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ) أسند إضلالهم إليه ، لأنه هو الذي تسبب فيه بصياغته لهم العجل من حلي القبط ورميه عليه التراب الذي مسه حافر الفرس التي جاء عليها جبريل ، فجعله الله بسبب ذلك عجلاً جسداً له خوار ، كما قال تعالى في هذه السورة الكريمة : (فَكَذَّبَكَ أَخْمِي السَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ) ، وكذلك في قوله تعالى (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ) ، والخوار : صوت البقر قال بعض العلماء : جعل الله بقدرته ذلك الحلي المصوغ جسداً من لحم ودم ، وهذا هو ظاهر قوله (عِجْلاً جَسَداً) ، وقال بعض العلماء : لم تكن تلك الصورة لحماً ولا دماً ، ولكن إذا دخلت فيها الريح صوتت كخوار العجل ، والأول أقرب لظاهر الآية ، والله تعالى قادر على أن يجعل الجمد لحماً ودماً ، كما جعل آدم لحماً ودماً وكان طيناً^(٣) .

وروي إنَّ السامري رأى الرسول (جبرائيل) ، فألقى في روعه أنك إنَّ أخذت من أثر هذا الفرس قبضة ، فألقيتها في شيء ، فقلت له : كن ، فكان فقبض قبضة من أثر الرسول فبيست أصابعه علي القبضة ، فلما ذهب موسى للميقات وكان بنو إسرائيل استعاروا حلي آل فرعون ، فقال لهم السامري : إنما أصابكم من أجل هذا الحلي فأجمعوه ، فجمعوه فأوقدوا عليه فذاب فرآه السامري فألقى في روعه أنك لو قذفت هذه القبضة في هذه فقلت : كن كأن فقذف القبضة ، وَقَالَ: كن ، فكان عجلاً له خوار ، فقال : " هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى " ^(٤) ، و الرواية فيها من الخرافة الشيء الكثير وهي لا تخلو من كونها من موضوعات الإسرائيليات التي تحاول أن تجعل الخطأ و المعصية الذي وقع فيه بنو إسرائيل كان معجزة وليس بإرادتهم ، وكونهم قبل

(١) القرآن الكريم : سورة طه (٨٧ - ٨٨) .

(٢) أضواء البيان ، ج ٤ ، ص ١٥٠ ؛ الطوسي : التبيان في تفسير القرآن ، ج ١ ، ص ٢٣٥ ؛ المجلسي : بحار الأنوار ، ج ١٣ ، ص ٢٤٤ ؛ الطبري : تاريخ الأمم و الملوك ، ج ١ ، ص ٢٩٩ ؛ ابن كثير : البداية و النهاية ، ج ١ ، ص ٣٣٣ ؛ القرطبي : التفسير ، ج ٧ ، ص ٢٨٤ .

(٣) الشنقيطي : أضواء البيان ، ج ٤ ، ص ١٥٠ ؛ القرطبي : أحكام القرآن ، ج ٧ ، ص ٢٨٥ ؛ السلمي : أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي (ت ٤١٢ هـ) ، حقائق التفسير ، ت. سيد عمران ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م ، ج ٢ ، ص ٣١٢ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ص ١٩٠ ؛ وينظر ابن أبي حاتم : تفسير ابن أبي حاتم ، ج ٩ ، ص ٢٩٤ ؛ الثعالبي : التفسير ، ج ١ ، ص ٢٣٨ ؛ السيوطي : الدر المنثور ، ج ٤ ، ص ٣٠٥ .

الإيمان بموسى كانوا أصلاً يعبدون الحيوانات ومنها البقرة و العجل ، وهذا واضح لمن يستقرأ حياة المصريين القدماء و قد وضعنا ذلك في الفصل الأول .

و روي أن موسى عليه السلام عندما أخبره الله تعالى بما صنع قومه من عبادتهم للعجل رجع إليهم و استنكر فعلهم مستفهماً منهم سرعة انقلابهم في العود إلى عبادة الأصنام^(١) كما في قوله تعالى : (فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لَكُمْ رُبُّكُمْ وَعَدَّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْمَهُدُومُ أَمْ أَرْدُنْكُمْ أَنْ يَجْعَلَ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَقْتُمْ مُؤْعَدِي)^(٢) ، يَقُولُ : الوعد ، يعني العهد ، ولكن قومه أجابوه بالإقرار بالخطأ مع علمهم به ولكنهم استدركوا أنهم كانوا مجبرين على ذلك كما يوضح ذلك قوله تعالى : (قَالُوا مَا أَخْلَقْنَا مُؤْعَدَكَ بَمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ)^(٣) ، : ألقا من زينة القوم ، وهي الحلبي الذي استعاروه من ال فرعون ، " ، قَالَ : فَأَلْقَيْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ، قَالَ : كذلك صنع ، فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلاً جَسَدًا لَهُ خُورٌ^(٤) ، قَالَ : " حفيف الريح فيه فهو خواره ، والعجل ولد البقرة "^(٥) .

تاسعاً - الحيوانات في قصة النبي داود عليه السلام :

من الحيوانات التي ورد ذكرها في قصة نبي الله داود عليه السلام في القرآن الكريم هي النعجة وذلك في قوله تعالى : (إِنْ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْثَلُهَا وَعَزَّتِي فِي الْخِطَابِ ، قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ سَوْأَلِ نَعْجِكَ إِلَيَّ نَعَاجِهِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ الْخَطَاءِ لَيُغْنِي عَنْهُمْ عَلَى بَعْضِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ)^(٦) ، ذكر المفسرون (إِنْ هَذَا أَخِي) يعني في الدين ، أو : في الصداقة ، أو : الشركة ، والتعبير به لبيان كمال فُبح ما فعل به صاحبه^(٧) ، (لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً) ، النعجة : الأنثى من الضأن^(٨) ، وقد يُكنى بها عن المرأة^(٩) ، والكناية والتعريض أبلغ من التصريح ، (وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً) لا أملك غيرها ، (فَقَالَ

(١) الصدوق : أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٨١هـ) ، كمال الدين وتام النعمة ، ت. علي أكبر الغفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم - إيران ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، ص ١٧ ؛ وينظر الهيتمي : مجمع الزوائد ، ج ٧ ، ص ٦٥ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة طه (٨٦) .

(٣) القرآن الكريم ، سورة طه (٨٧) .

(٤) ابن حجر : فتح الباري ، ج ٦ ، ص ٣٠٥ ؛ العيني : عمدة القارئ ، ج ١٥ ، ص ٢٩٠ ؛ الطبري : جامع البيان ، ج ١٦ ، ص ٢٤٨ .

(٥) السيوطي : الدر المنثور ، ج ٤ ، ص ٣٠٦ .

(٦) القرآن الكريم ، سورة ص (٢٣ - ٢٤) .

(٧) أبي السعود : تفسير أبي السعود ، ج ٧ ، ص ٢٢١ .

(٨) الشيخ الأنصاري : مرتضى بن محمد أمين (ت ١٢٨١هـ) ، كتاب المكاسب ، ت. لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم ، ط ١ ، مطبعة باقري ، قم ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، ج ٤ ، ص ٣٩٩ ؛ محمد قلعي : معجم لغة الفقهاء ، ص ٤٨٣ ؛ ابن منظور : لسان العرب ، ج ٢ ، ص ٣٨٠ .

(٩) البياضوي : ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت ٦٨٢هـ) ، تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ت. محمد عبد الرحمن المرعشلي ، ط ١ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، ج ٥ ، ص ٤٢ ؛ الفيض الكاشاني : التفسير الأصفي ، ج ٢ ، ص ١٠٦٦ .

أَكْهَلِيهَا) أي : ملكنيها ، واجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي ، (وَعَزَّنِي) ؛ غلبني (في الخطاب) ؛ في الخصومة ، أي : كان أقدر مني على الاحتجاج والمجادلة ، أو : غلبني في الخطبة ، حيث خطبتُ وخطبَ ، فأخذها ، وهذا منهما تعريض وتمثيل ، كأنهما قالا : نحن كخصمين هذه حالهما^(١) ، فمثّلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ، وخليطه له تسع وتسعون ، فأراد صاحبه تنمة المائة ، فطمع في نعجة خليطه ، وحاجّه في أخذها ، محاجة حريص على بلوغ مراده ، وإنما كان ذلك على وجه التحاكم إليه ، ليحكم بما حكم به من قوله : (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه) ، حتى يكون محجوباً بحكمه ، وهو جوابٌ عن قسم محذوف ، قصد به عليه السلام المبالغة في إنكار فعل صاحبه به ، وتهجين طمعه في نعجة من ليس له غيرها ، مع أنَّ له قطيعاً منها^(٢) ، ولعله عليه السلام قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادّعا عليه ، أو : بناه على تقدير صدق المدعي ، أي : إن كنت صدقت فقد ظلمك ، (وإن كثيراً من الخطأ) يعني الشركاء الذين خلطوا أموالهم ، (أَيْبَغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ) غير مراعاة لحق الصحبة والشركة ، (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) منهم ، فإنهم يتحامون عن البغي والعدوان ، (وقليل مأم) أي : وهم قليل^(٣) .

والنعجة والتي ذكرنا أنها الأنثى من الضأن ، يمكن أن تطلق على أنثى البقر ، فيحتمل أن المذكور في النص القرآني أن يكون من الأغنام أو الأبقار ، إلا أن الشائع أن النعجة لفظ يطلق على الأنثى من الأغنام ، وقوله : (أَكْهَلِيهَا) أي : ملكني إياها ، وتنزل لى عنها ، بحيث تكون تحت كفالتى وملكيته كبقية النعاج التى عندى ، ليتم عددها مائة ، وقوله : (وَعَزَّنِي فِي) الخطاب) أي : غلبنى فى المحاجة والمخاطبة لأنه أفصح وأقوى منى ، يقال : فلان عز فلانا فى الخطاب ، إذا غلبه ، ومنه قولهم فى المثل : من عزَّ بَزَّ أى : من غلب غيره سلبه حقه ، أى : قال أحدهما لداود عليه السلام { وَإِنْ هَذَا الَّذِى يَجْلِسُ مَعِيَ لِلتَّحَاكُمِ أَمَامَكَ أَخَى } ، وهذا الأخ له تسع وتسعون نعجة ، أما أنا فليس لى سوى نعجة واحدة ، فطمع فى نعجتى وقال لى : (أَكْهَلِيهَا) أى : ملكنيها وتنزل عنها (وَعَزَّنِي فِي) الخطاب) ، أى : وغلبنى فى مخاطبته لى ، لأنه أقوى وأفصح منى^(٤) .

ومن الروايات الموضوعة التي عجت بها كتب التاريخ في هذه القصة ما ورد فيها أن النبي داود عليه السلام كان لديه تسع وتسعون امرأة ، إلا أنه أعجب في أحد الأيام بامرأة رآها فقيل له أنها متزوجة من شخص يدعى أوريا ، فسئل عنه فقيل له هو في الجيش ، فأرسله داود

(١) الواحدي : تفسير الواحدي ، ج ٢ ، ص ٩٢٢ .
(٢) الزمخشري : الكشاف ، ج ٣ ، ص ٣٦٩ .
(٣) البيضاوي : تفسير البيضاوي ، ج ٥ ، ص ٤٣ ؛ أبي السعود : تفسير أبي السعود ، ج ٧ ، ص ٢٢١ .
(٤) سيد طنطاوي : التفسير الوسيط ، ص ٣٦١٠ ؛ وينظر الشيرازي : التفسير الأمثل ، ج ١٤ ، ص ٤٨٠ .

إلى مواقع عسكرية صعبة القتال ، فقتل فيها و تزوج داود امرأته ، وما كان إرساله لتلك الوجهة إلا من أجل امرأته ، فأرسل الله تعالى ملكين إلى داود يمتحنانه و يبينان له خطيئته ، فسألاه عن حال التسعة و تسعون نعجة وكيف احتال على أخذ الواحدة من صاحبها^(١) ، و الرواية واضحة البطلان إذ تستهدف الاساءة للأنبياء و تصورهم أنهم من أهل الدنيا و الشهوات و غير ذلك مما يهين الإنسان العادي فضلاً عن كونه نبي مرسل و مصطفى من الله تعالى ، حاشى لأنبياء الله من هذه الأفعال الدنيئة .

عاشراً - الحيوانات في قصة نبي الله سليمان {عليه السلام} :

ورد ذكر مجموعة من الحيوانات في قصة نبي الله سليمان {عليه السلام} ومنها الهدد و النمل و الخيل و ذلك في مواضع مختلفة من الكتاب الكريم ، قال تعالى : (وَنَفَخَ الْطَيْرُ قَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدُودَ كَمَا كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ ، لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنَّ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ)^(٢) ، وقال تعالى : (حَتَّى إِذَا تَوَاسَّوْا عَلَى الْوَادِ النَّمْلُ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)^(٣) ، و قال أيضاً : (وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ، إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ الْغَيْشُ الصَّافِيَاتُ الْجِبَادُ ، فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ، رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْقَاقِ)^(٤) . ففي قوله تعالى : (حَتَّى إِذَا تَوَاسَّوْا عَلَى الْوَادِ النَّمْلُ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)^(٥) ورد ذكر النمل و هو من الكائنات الحية الصغيرة جداً و التي تعيش منتظمة بشكل دقيق جداً ، فما ورد في النص القرآني من كلام النملة يشير إلى وجود معرفة و نظام و قيادة لدى هذا النوع من المخلوقات ، وقد أشار المفسرين إلى ذلك بوضوح ، فقد أورد الجزائري في تفسيره أنها قالت ذلك : " ... رحمة وشفقة على بنات جنسها ، تُعَلِّمُ البشر الرحمة و الشفقة و النصح لبني جنسهم لو كانوا يعلمون ، واعتذرت لسليمان و جنده بقولها و هم لا يشعرون بكم و إلا لما داسوكم و مشوا عليكم حتى لا يحطمونكم " ^(٦) . و قيل أن سليمان فهم كلامهم ، فإن لفظ النمل أجري هاهنا مجرى لفظ الآدميين حين نطق كما ينطق الآدميون فتبسم سليمان ضاحكا من قولها و قال رب أوزعني أي : ألهمني ، و قيل تأويل أوزعني : كفني عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك ^(٧) .

- (١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ص ٢٢٨ .
- (٢) القرآن الكريم : سورة النمل (٢٠ - ٢١) .
- (٣) القرآن الكريم : سورة النمل (١٨) .
- (٤) القرآن الكريم : سورة ص (٣٠ - ٣٣) .
- (٥) القرآن الكريم : سورة النمل (١٨) .
- (٦) الجزائري : جابر بن موسى بن عبد القادر ، أيسر التفاسير لكلام علي الكبير ، طه ، مكتبة العلوم ، المدينة المنورة - السعودية ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، ج ٣ ، ص ١٣٢ .
- (٧) الطوسي : التبيان ، ج ٧ ، ص ٣٧١ ؛ القرطبي : تفسير القرطبي ، ج ١٣ ، ص ١٧١ ؛ ابن أبي زمنين : تفسير ابن أبي زمنين ، ج ١ ، ص ٤٩٧ .

وقال الطبري يعني تعالى ذكره بقوله : (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ) حتى إذا أتى سليمان وجنوده على وادي النمل (قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ) يقول : لا يكسرنكم ويقتلنكم سليمان وجنوده (وَمُمْ لَا يَشْعُرُونَ) يقول : وهم لا يعلمون أنهم يحطمونكم ، وروى أنه : كان نمل سليمان بن داود مثل الذباب^(١) .

وروي في تفسير قوله تعالى : (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا)^(٢) ضحك من ثناءها على سليمان بعدله في ملكه ، أنه لو يشعر بكم لم يحطمكم ، يعني بالضحك الكشر ، وقال سليمان : لقد علمت النمل أنه ملك لا بغى فيه ، ولا فخر ، ولئن علم بنا قبل أن يغشانا لم نوطأ ، ثم وقف سليمان بمن معه من الجنود ليدخل النمل مساكنهم ، ثم حمد ربه عز وجل حين علمه منطق كل شيء فسمع كلام النملة (وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي) يعني : ألهمني (أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ)^(٣) من قبلى ، يعني أبويه داود ، وأمه بتشايح بنت اليانث ، و ألهمنى (وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذْخُلَنِي بِرَحْمَتِكَ)^(٤) يعني بنعمتك (فِى) يعني مع (عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)^(٥) .

وقد اختلفت الروايات في واد النمل الذي مرَّ به سليمان ف قيل : واد النمل بالطائف^(٦) ، وقيل : هو بالشام^(٧) ، فقوله (قَالَتْ نَمْلَةٌ) هذا جواب إذا ، كأنها لما رأتهم متوجهين إلى الوادي فرت ونبهت سائر النمل منادية لها قائلة : (يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ) جعل خطاب النمل كخطاب العقلاء لفهمها لذلك الخطاب ، والمسكن هي الأمكنة التي يسكن النمل فيها ، قيل : وهذه النملة التي سمعها سليمان هي أنثى بدليل تأنيث الفعل المسند إليها^(٨) ، وردَّ هذا الرأي أبو حيان ، فقال : لحاق التاء في قالت لا يدل على أن النملة مؤنثة ، بل يصح أن يقال في المذكر : قالت ، لأن نملة وإن كانت بالتاء فهي مما لا يتميز فيه المذكر من المؤنث بتذكير الفعل ولا بتأنيثه ، بل يتميز بالإخبار عنه بأنه ذكر ، أو أنثى ، ولا يتعلق بمثل هذا كثير فائدة ، ولا بالتعرض لاسم النملة ، ولما ذكر من القصص الموضوع ، والأحاديث المكذوبة^(٩) .

-
- (١) الطبري : جامع البيان ، ج ١٩ ، ص ٤٣٩ ؛ الطبرسي : مجمع البيان ، ج ٧ ، ص ٣٧٠ ؛ السمرقندي : تفسير السمرقندي ، ج ٢ ، ص ٥٧٦ .
 - (٢) القرآن الكريم : سورة النمل (١٩) .
 - (٣) القرآن الكريم : سورة النمل (١٩) .
 - (٤) القرآن الكريم : سورة النمل (١٩) .
 - (٥) مقاتل بن سليمان : تفسير مقاتل ، ج ٢ ، ص ٤٧٢ .
 - (٦) الشوكاني : فتح القدير ، ج ٤ ، ص ١٣٠ ؛ الطريحي : غريب القرآن ، ص ٤٨٣ .
 - (٧) مقاتل بن سليمان : تفسير مقاتل ، ج ٢ ، ص ٤٧٣ ؛ ابن أبي زمنين ، تفسير ابن زمنين ، ج ٣ ، ص ٢٩٦ .
 - (٨) المناوي : محمد عبد الرؤوف (ت ١٠٣١هـ) ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، ت. أحمد عبد السلام ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ، ج ٤ ، ص ٦٧٣ .
 - (٩) الشوكاني : فتح القدير ، ج ٥ ، ص ٣٤٨ .

و روي أنه لما سار الموكب ، موكب سليمان من الجن والإنس والطير ، في ترتيب ونظام ، يجمع آخره على أوله ، وتضم صفوفه ، وتتلاءم خطاه ، حتى إذا أتوا على واد كثير النمل ، قالت نملة ، لها صفة الإشراف والتنظيم على النمل السارح في الوادي ومملكة النمل كمملكة النحل دقيقة التنظيم ، تتنوع فيها الوظائف ، وتؤدي كلها بنظام عجيب ، يعجز البشر غالباً عن اتباع مثله ، على ما أوتوا من عقل راق وإدراك عال قالت هذه النملة للنمل ، بالوسيلة التي تتفاهم بها أمة النمل ، وباللغة المتعارفة بينها ، قالت للنمل : ادخلوا مساكنكم كي لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون بكم ، فأدرك سليمان ما قالت النملة وهش له وانشرح صدره بإدراك ما قالت ، وبمضمون ما قالت ، هش لما قالت كما يهش الكبير للصغير الذي يحاول النجاة من أذاه وهو لا يضمّر أذاه ، وانشرح صدره لإدراكه ، فهي نعمة الله عليه تصله بهذه العوالم المحجوبة المعزولة عن الناس لاستغلاق التفاهم بينها وقيام الحواجز ، وانشرح صدره له لأنه عجيبة من العجائب أن يكون للنملة هذا الإدراك ، وأن يفهم عنها النمل فيطيع ، فقد أدرك سليمان هذا (فتبسم ضاحكاً من قولها) وسرعان ما هزته هذه المشاهدة ، وردت قلبه إلى ربه الذي أنعم عليه بنعمة المعرفة الخارقة وفتح بينه وبين تلك العوالم المحجوبة المعزولة من خلقه واتجه إلى ربه في إنابة يتوسل إليه : (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي)^(١).

ومن الخرافات التي وردت في قصة النملة ما أورده السلمي عن محمد بن علي الترمذي أنه " لن يضحك سليمان في عمره إلا مرتين ، مرة يوم أخذ الضحاك ومرة حين أشرف على وادي النمل ، وذلك أنه رأى النمل على كبر الثعالب لها خراطيم وأنياب ، فقال رئيس النمل للنمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان و جنوده وهم لا يشعرون ، فخرج كبير النمل في عظم الجواميس فلما رآه سليمان هاله ، فأراه الخاتم فخضع له ، ثم قال له : هذه كلها نمل ؟ فقال : إن النمل أكثر من ذلك ، إنها ثلاثة أصناف ، صنف من الجبال و صنف من القرى و صنف من المدن ، فقال سليمان : اعرضها عليّ ، فقال له : قف ، ثم نادى ملك النمل فأقبلت كراديس وعساكر ، فبقي سليمان سبعين يوماً واقفاً تمر هي عليه ، فقال : هل انقطعت عساكرهن ؟ فقال ملك النمل : لو وقفت إلى يوم القيامة ما انقطعت ! "^(٢) ، و يبدو أن الرواية لا تحتاج إلى تعليق لما فيها من طابع الخرافة و السيناريو الكارتوني .

وأما قصة الهدد الذي وصفه القرآن الكريم بأنه أحد جنود سليمان الذي سخر له الله تعالى الطير (وَخَشِرَ سُلَيْمَانُ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ)^(٣) ، فقد ورد ذكره في

(١) سيد قطب : ابن إبراهيم حسين الشاذلي (ت ١٩٦٦م) ، في ظلال القرآن ، ط ١ ، دار الشروق ، القاهرة

١٩٧٢م ، ج ٥ ، ص ٣٧٧-٣٧٨ .

(٢) السلمي : تفسير السلمي ، ج ٢ ، ص ٨٧ .

(٣) القرآن الكريم : سورة النمل (١٧) .

سورة النمل التي تقدم ذكرها ، وكان للمفسرين مجموعة من الآراء المختلفة التي توضح حقيقة الهدد و دوره في الحياة أيام نبي الله سليمان عليه السلام .

ذكر المفسرين في قوله تعالى (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ، لَاَعَذِبْتَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) ، قالوا : اشتقاق (تفقد) من الفقد يقتضي أن تفقد بمعنى طلب فقد ، ولكنهم توسعوا فيه فأطلقوه على طلب معرفة سبب الفقد ، أي معرفة ما أحدثه الفقد في شيء ، فالتفقد : البحث عن الفقد ليعرف بذلك أن الشيء لم ينقص وكان الطير من جملة الجند لأن كثيراً من الطير صالح للانتفاع به في أمور الجند فمنه الحمام الزاجل ، ومنه الهدد أيضاً لمعرفة الماء ، ومنه البزاة والصقور لصيد الملك وجنده ولجلب الطعام للجند من الصيد إذا حل الجند في القفار أو نفذ الزاد ، وللطير جنود يقومون بشؤونها ، وتفقد الجند من شعار الملك والأمراء وهو من مقاصد حشر الجنود وتسييرها والمعنى : تفقد الطير في جملة ما تفقده ، فقال لمن يلون أمر الطير : (ما لي لا أرى الهدد) ، ومن واجبات ولالة الأمور تفقد أحوال الرعية وتفقد العمال ونحوهم بنفسه كما فعل عمر في خروجه إلى الشام سنة سبع عشرة هجرية ، أو بمن يكل إليه ذلك ، فقد جعل عمر محمد بن مسلمة الأنصاري يتفقد العمال^(١) .

و الهدد نوع من الطير وهو ما يقرقر ، وفي رائيته نتن وفوق رأسه قرعة سوداء ، وهو أسود البرائن ، أصفر الأجناف ، يقات الحبوب والدود ، يرى الماء من بُعد ويحس به في باطن الأرض ، فإذا رُفرف على موضع علم أن به ماء ، وهذا سبب اتخاذه في جند سليمان ، قال الجاحظ : يزعمون أنه هو الذي كان يدل سليمان على مواضع الماء في قعور الأرضين إذا أراد استنباط شيء منها^(٢) .

وذكر المفسرين أن القرآن مثل بهذه الآية لاستعمال الاستفهام في التعجب والمثال يكفي فيه الفرض ، ولما كان قول سليمان هذا صادراً بعد تفصيله أحوال الطير ورجح ذلك عنده أنه غاب فقال : (لَاَعَذِبْتَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ) لأن تغيبه من دون إذن عصيان يقتضي عقابه ، وذلك موكل لاجتهاد سليمان في المقدار الذي يراه استصلاحاً له إن كان يرجى صلاحه ، أو إعداماً له لئلا يلحق بالفساد غيره فيدخل الفساد في الجند وليكون عقابه نكالاً لغيره^(٣) .

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جببر رضي الله عنه قال : كان سليمان إذا أراد أن ينزل منزلاً دعا الهدد ليخبره عن الماء ، فكان إذا قال : ههنا شققت الشياطين الصخور فجرت العيون من قبل أن يضربوا أبنيتهم ، فأراد أن ينزل منزلاً فتفقد الطير فلم يره^(٤) ، فقال (ما لي لا أرى الهدد أم كان من الغائبين) ، وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن قتادة رضي الله عنه في الآية قال : ذكر لنا أن سليمان أراد أن يأخذ مفازة فدعا بالهدد وكان سيد الهداهد ليعلم مسافة الماء ، وكان قد اعطي من البصر بذلك شيئاً لم يعطه شيء من الطير ، لقد ذكر لنا : أنه

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير ، ج ١٠ ، ص ٢٦٣ .

(٢) الجاحظ : كتاب الحيوان ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ ؛ ابن عاشور : التحرير والتنوير ، ج ١٠ ، ص ٢٦٣ .

(٣) ابن عاشور : التحرير والتنوير ، ج ١٠ ، ص ٢٦٣ .

(٤) ابن أبي حاتم : تفسير ابن أبي حاتم ، ج ٩ ، ص ٢٨٦٠ ؛ ينظر ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ص ٢٣٣ .

كان يبصر الماء في الأرض كما يبصر أحدكم الخيال من وراء الزجاج^(١)، وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن رضي الله عنه قال : اسم هدهد سليمان : عنبر^(٢)، وقيل : يعفور^(٣)، وأخرج عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (لأعذبه عذاباً شديداً) قال : نتف ريشه^(٤).

ونكر المفسرين في قوله تعالى : (لأعذبه عذاباً شديداً) لأنتف ريشه وألقيه في الشمس (أو ليأتينى بسلطان مبين) حجة واضحة في غيبته ، (فمكث غير بعيد) لم يطل الوقت حتى جاء الهدد ، وقال لسليمان : (أحطت بما لم تحط به) علمت ما لم تعلمه (وجئتك من سبأ) وهي مدينة باليمن (نبأ يقين) بخبر لا شك فيه^(٥).

قال مجاهد ، وسعيد بن جببر ، وغيرهما ، عن ابن عباس وغيره : كان الهدد مهندساً ، يدل سليمان عليه السلام على الماء إذا كان بأرض فلاة طلبه فنظر له الماء في تخوم الأرض ، كما يرى الإنسان الشيء الظاهر على وجه الأرض ، ويعرف كم مساحة بعده من وجه الأرض ، فإذا دلهم عليه أمر سليمان عليه السلام الجان فحفروا له ذلك المكان حتى يستنبط الماء من قراره ، فنزل سليمان عليه السلام يوماً بفلاة من الأرض فتفقد الطير ليرى الهدد فلم يره (فقال ما لي لا أرى الهدد أم كان من الغائبين)^(٦).

ومن الحيوانات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في قصة نبي الله سليمان عليه السلام هي الخيول و التي ورد ذكرها باسم الجياد في قصة سليمان عليه السلام في قوله تعالى : (وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ، إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافَاتُ الْجِيَادُ ، فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ، رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ)^(٧) مع أنها ذكرت في مواضع أخرى باسمها الصريح وهو (الخيل) كما في قوله تعالى (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ)^(٨).

(١) السيوطي : الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ١٠٥ .
(٢) ابن كثير : تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٧٢ ؛ ابن أبي حاتم : تفسير ابن أبي حاتم ، ج ٩ ، ص ٢٨٦١ .
(٣) الثعلبي : تفسير الثعلبي ، ج ٧ ، ص ٢٠٠ ؛ المجلسي : بحار الأنوار ، ج ١٤ ، ص ١٢٩ .
(٤) الدر المنثور ، ج ٥ ، ص ١٠٥ .
(٥) الواحدي : الوجيز ، ج ٢ ، ص ٨٠٢ ؛ القمي : تفسير القمي ، ج ٢ ، ص ١٢٩ .
(٦) ابن كثير : تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٣٧١ .
(٧) القرآن الكريم : سورة ص (٣٠ - ٣٣) .
(٨) القرآن الكريم : سورة الأنفال (آية ٦٠) .

وقد أشار المفسرين إلى طبيعة التصوير القرآني الذي عرضته النصوص القرآنية وبينت سبب ذكر الخيل هنا ولماذا سميت بـ (الجياد) ، فقد ورد في قوله تعالى : (وَهَبْنَا دَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ) أي : سليمان ، فهو المخصوص ، (إِنَّهُ أَوَّابٌ) أي : رجَّاع إلى الله تعالى في السراء والضراء ، وفي كل أموره ، (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ) أي : وانكر ما صدر عنه حين عُرض عليه (بِالْمَشِيِّ) ، وهو ما بين الظهر إلى آخر النهار ، (الصَّافِنَاتُ الْجَيَادُ) أي : الخيل الصافنات ، وهي التي تقوم على طرف سنبك يد أو رجل ، وهي من الصفات المحمودة التي لا تكاد توجد إلا في الخيل العراب ، الخُلص ، وقيل : هو الذي يجمع يديه ويستبق بهما ، والجياد : جمع جواد ، أو : جود ، وهو الذي يسرع في جريه ، أو : الذي يجود عند الركض ، وقيل : وصفت بالصفون والجودة لبيان جمعها بين الوصفين المحمودين ، واقفة وجارية ، أي : إذا وقفت كانت ساكنة ، وإذا جرت كانت سراعاً خفافاً في جريها^(١) .

وقد رُوي أنه { عَلَيْهِ السَّلَام } غزا أهل دمشق ونصيبين ، وأصاب ألف فرس ، وقيل : أصابها أبوه من العمالقة ، وقيل : خرجت من البحر لها أجنحة^(٢) ، فقعد يوماً بعدما صلى الظهر على كرسيه ، فاستعرضها ، فلم تزل تُعرض عليه حتى غربت الشمس ، وغفل عن العصر ، أو : عن الورد ، كان له من الذكر وقتنذ ، وهو أليق بالعصمة ، فاغتم لما فاتته ، فاستردها ، فعقرها ، تقرُّباً إلى الله تعالى ، وبقي مائة ، فما في أيدي الناس اليوم من الجياد فمن نسلها ، وقيل : لَمَّا عقرها أبدل الله تعالى له خيراً منها ، وهي الريح تجري بأمره ، (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ

ذِكْرِ رَبِّي) ، قاله { عَلَيْهِ السَّلَام } عند غروب الشمس ، اعترافاً بما صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلاة أو الذكر ، وغايته حينئذ : أن الأولى استغراق الأوقات في ذكر الله من الاشتغال بالدنيا ، فترك الأولى ، وتحسّر لذلك ، وأمر بالقطع ، وأما حمله على الصلاة والاشتغال بها حتى يفوت الوقت ، فذنب عظيم ، تأباه العصمة ، وقد يُجاب بأن تركه كان نسياناً وذهولاً ، لا عمداً ، فلا معصية^(٣) .

وذكر في تفسير كلماته أنه عدّى كلمة " أحببت " بـ " عن " دون " على " ، لتضمنه معنى النيابة ، أي : أُنبئتُ حبَّ الخير ، وهو المال الكثير ، والمراد : الخيل التي شغلته عن ذكر ربه ، (حتى توارث) أي : استترت (بالحجاب) أي : غربت واحتجبت عن العيون ، و " عن " : متعلق بأحببت ، باعتبار استمرار المحبة ودوامها ، حسب استمرار العرض ، أي : أُنبئتُ حبَّ الخير عن ذكر ربي ، واستمر ذلك حتى غربت الشمس ، وإضمارها من غير تقدّم ذكر لدلالة " العشي " عليها^(٤) .

(١) الزمخشري : الكشاف ، ج ٣ ، ص ٣٧٣ ؛ الفيض الكاشاني : التفسير الصافي ، ج ٤ ، ص ٢٩٧ ؛ البيضاوي : تفسير البيضاوي ، ج ٥ ، ص ٤٥ ؛ أبي السعود : تفسير أبي السعود ، ج ٧ ، ص ٢٢٥ ؛ الأفندي : محب الدين (ت ١٠١٦ هـ) ، تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، (د.م.ط) ، ص ٤٢٠ .

(٢) النسفي : تفسير النسفي ، ج ٤ ، ص ٣٩ .

(٣) الألوسي : تفسير الألوسي ، ج ٢٣ ، ص ١٩١-١٩٥ ؛ البيضاوي : تفسير البيضاوي ، ج ٥ ، ص ٤٥-٤٧ .

(٤) الطبرسي : تفسير جوامع الجامع ، ج ٣ ، ص ١٩٥ ؛ وينظر الرازي : تفسير الرازي ، ج ٢٦ ، ص ٢٠٤ .

(رُدُّوْهَا عَلَيَّ) ، هو من مقالة سليمان ، (فَطَفِقَ مَسْحاً) ، الفاء فصيحة ، مفصحة عن جملة حذفت ، لدلالة الكلام عليها ، إيداناً بسرعة الامتثال ، أي : فَرُدُّوْهَا عَلَيْهِ ، فأخذ بمسح السيف مسحاً (بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ) أي : بسوقها وأعناقها يقطعها^(١) ، من قولهم : مسح عنقه بالسيف ، وقيل : جعل يمسح بيده أعناقها وسوقها ، حباً لها ، وإعجاباً بها ، وهو يُنافي سياق الكلام^(٢) .

ولم يكن ما اشتغل عنه من الصلاة فرضاً بل كان نفلاً لأن ترك الفرض عمداً فسق^(٣) ، وفعل ذلك تأديباً لنفسه ، والخيّل مأكولة اللحم فلم يكن ذلك منه إتلافاً يَأْتُمُ بِهِ^(٤) ، قال الكلبي : " كانت ألف فرس فعرب تسعمائة وبقي منها مائة ، فما في أيدي الناس من الخيل العتاق من نسل تلك المائة "^(٥) .

وقيل في تفسير قوله تعالى : (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ) أي : إذ عرض على سليمان في حال مملكته وسلطانه الخيل الصافنات ، قال مجاهد : وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة ، والجياد : السراع ، وكذا قال غير واحد من السلف ، وقال ابن جرير : كانت عشرين فرساً ذات أجنحة^(٦) ، وقال ابن أبي حاتم : كانت الخيل التي شغلت سليمان ، عليه الصلاة والسلام عشرين ألف فرس ، فعقرها^(٧) .

الحادي عشر - الحيوان في قصة النبي عزير والنبي يونس { ٣١ : ٣٠ } :

ورد ذكر الحمار في قصة عزير للموعظة و الإعجاز فقد قال تعالى : (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَسْتَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِتُجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)^(٨) . ولعل بيان الإعجاز في هذا النص أجلى و أوضح ، إلا أنه ورد على نحو البيان و المعرفة و العلم للنبي عزير الذي استقهم في نفسه عن قدرة الله تعالى في بعث الأموات ، فشاء الله أن يريه ذلك بعينه الباصرة ، وذلك من خلال القصة التي وردت في النص القرآن و التي خاض المفسرون في تفاصيلها ، فقد ذكر

- (١) الهيثمي : مجمع الزوائد ، ج ٧ ، ص ٩٩ .
- (٢) البيضاوي : تفسير البيضاوي ، ج ٥ ، ص ٤٦ ؛ ابن أبي السعود : تفسير أبي السعود ، ج ٧ ، ص ٢٢٦ .
- (٣) الطوسي : التبيان ، ج ٨ ، ص ٥٦٠ ؛ الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠هـ) تفسير النكت والعيون ، ت. السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠١٠م ، ج ٥ ، ص ٩٤ .
- (٤) الماوردي : تفسير النكت والعيون ، ج ٥ ، ص ٩٤ .
- (٥) الكلبي : أنساب الخيل ، ص ٢٦ .
- (٦) الطبري : جامع البيان ، ج ٢٣ ، ص ١٨٤ .
- (٧) ابن أبي حاتم : التفسير ، ج ١٠ ، ص ٣٢٤١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٢ ، ص ٢٩ .
- (٨) القرآن الكريم : سورة البقرة (٢٥٩) .

المفسرين أن عزير لما سلط الله بخت نصر (٦٢٧-٥٦٠ ق.م) على بنى اسرائيل هرب وابتعد عن المدينة حتى غاب بصره عنها ، ودخل قرية مهجورة فقال متفكراً كيف يحيي هذه الله بعد موتها ؟ فأما الله تعالى ، وبقي ميتا مئة سنة ثم أحياه الله ، فأول ما أحى منه عينيه فنظر فأوحى الله اليه : " كم لبثت؟" قال : " لبثت يوما " ثم نظر إلى الشمس قد ارتفعت فقال : " أو بعض يوم " فقال الله تبارك وتعالى : " قد لبثت مئة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه " ، أي : لم يتغير ، " وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما " فجعل ينظر إلى العظام البالية المنفطرة تجتمع اليه ، وإلى اللحم الذي قد أكلته السباع يتألف إلى العظام من هنا وهنا ، ويلتزق بها حتى قام وقام حماره ، فقال (اعلم ان الله على كل شيء قدير)^(١) .

وبعد أن ورد ذكر الحوت في قصة موسى عليه السلام ليكون له دليلاً على مكان الخضر كما أشرنا سابقاً فقد ورد ذكر الحوت في قصة نبي الله يونس عليه السلام ولكن ليس للدلالة بل للتحذير والعقاب فقد قال تعالى (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)^(٢) ، وذكر المفسرين أن النون هو الحوت ، وصاحبها يونس بن متى ، وذلك أنه غضب على قومه كما تشير الروايات^(٣) ، فذهب مغاضباً لهم ، فظن ان الله لا يضيق عليه ، لانه كان ندبه إلى الصبر عليهم والمقام فيهم^(٤) من قوله تعالى : (وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْفِ اللَّهُ نَسْأً إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا)^(٥) أي ضيق ، وقوله (اللَّهُ يُسْطِرُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُقْدِرُ)^(٦) أي يضيق ، وقال الزجاج والفراء : معناه " ظن أن لن نقدر عليه " ما قدرناه ، وقال الجبائي : ضيق الله عليه الطريق حتى ألجأه إلى ركوب البحر حتى قذف فيه ، وابتلعه السمكة ، ومن قال : ان يونس عليه السلام ظن أن الله لا يقدر عليه من القدرة ، فقد كفر ، وقيل إنما عوتب على ذلك ، لانه خرج مغاضباً لهم قبل أن يؤذن له ، فقال قوم : كانت خطيئة ، من جهة تأويله أنه يجوز له ذلك^(٧) .

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ص ٢٦٨ ؛ الحويزي : تفسير نور الثقلين ، ج ١ ، ص ٢٦٩ ؛ الشيرازي : الأمثل ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ ؛ الثعلبي : تفسير الثعلبي ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ ؛ السعدي : عبد الرحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦هـ) ، تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان ، ت. ابن عثيمين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، ص ١١٢ ؛ ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، ج ٤٠ ، ص ٣٢٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٢ ، ص ٥٢ .

(٢) القرآن الكريم : سورة الأنبياء (٨٧) .

(٣) الطوسي : التبيان ، ج ٧ ، ص ٢٦٧ .

(٤) الطبرسي : تفسير جوامع الجامع ، ج ٢ ، ص ٥٣٥ ؛ الزمخشري : الكشاف ، ج ٢ ، ص ٥٨١ .

(٥) القرآن الكريم : سورة الطلاق (٧) .

(٦) القرآن الكريم : سورة الرعد (٢٦) .

(٧) الطوسي : التبيان ، ج ٧ ، ص ٢٦٧ ؛ الطباطبائي : الميزان ، ج ٦ ، ص ٣٦٨ ؛ الصنعاني : أبو بكر عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هـ) ، تفسير القرآن ، ت. محمود محمد عبده ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ، ج ٣ ، ص ٢٧ .

وقيل انه كان مندوبا إلى المقام فلم يكن ذلك محظورا ، وانما كان ترك الاولى فأما ما روي عن الشعبي وسعيد بن جبير من انه خرج مغاضبا لربه فلا يجوز ذلك على نبي من الانبياء ، وكذلك لا يجوز أن يغضب لمن عفى الله عنهم إذ آمنوا ، لان هذا اعتراض على الله بما لا يجوز في حكمته^(١) .

وقصة ذلك أن قوم يونس عصوا الله تعالى و ردوا على نبيهم دعوته و لم يؤمنوا له ، فسأل الله أن ينزل عليهم العذاب ، وعندما أحاط بهم عذاب الله تعالى دعوا الله تعالى مستغفرين و تائبين مما كانوا عليه من المعاصي والذنوب فرحمهم الله برحمته الواسعة ، فقد ورد في المصادر التاريخية و كتب التفسير أنه بعد نزول البلاء بهم اجمع رأي القوم جميعا على أن يفعلوا ما أشار به عليهم روبييل^(٢) ، فلما كان يوم الاربعاء الذي توقعوا العذاب تنحى روبييل عن القرية حيث يسمع صراخهم ويرى العذاب اذا نزل ، فلما طلع الفجر يوم الاربعاء فعل قوم يونس ما امرهم روبييل به فلما بزغت الشمس أقبلت ريح صفراء مظلمة مسرعة لها صرير وحفيف فلما رأوها عجوا جميعا بالصراخ والبكاء والتضرع إلى الله وتابوا اليه واستغفروه وصرخت الاطفال بأصواتها تطلب امهاتهم ، وعجت سخال البهائم تطلب الثدي وعجت الانعام تطلب الرعا ، فلم يزالوا بذلك ويونس وتنوخا يسمعان صيحتهم و صراخهم ويدعوان الله عليهم بتخليص العذاب عنهم وروبييل في موضعه يسمع صراخهم وعجيجهم ويرى ما نزل وهو يدعو الله بكشف العذاب عنهم^(٣) .

فلما أن زالت الشمس وفتحت أبواب السماء وسكن غضب الرب تعالى رحمهم الرحمن فاستجاب دعاؤهم وقبل توبتهم وأقالهم عثرتهم ، وأوحى إلى اسرافيل عليه السلام ان اهبط إلى قوم يونس فانهم قد عجوا الي بالبكاء والتضرع وتابوا الي و استغفروني فرحمتهم وتبت عليهم ، وانا الله التواب الرحيم اسرع إلى قبول توبة عبدي التائب من الذنوب ، وقد كان عبدي يونس ورسولي سألني نزول العذاب على قومه يهلكهم^(٤) ، فقال اسرافيل : " وما اراه الا وقد نزل بساحتهم فالى اين اصرفه " فقال الله : كلا اني قد امرت ملائكتي ان يصرفوه ولا ينزلوه عليهم حتى يأتيهم امري فيهم وعزيمتي ، فأهبط يا اسرافيل عليهم واصرفه عنهم ، واصرف به إلى الجبال بناحية مفوض العيون ومجاري السيول في الجبال العاتية العادية المستطيلة على الجبال ، فاذلها به ولينها حتى تصير ملتئمة حديدا جامدا ، فهبط اسرافيل فنشر اجنحته فاستاق بها ذلك العذاب حتى ضرب بها تلك الجبال التي اوحى الله اليه ان يصرفه اليها ، قال ابو جعفر عليه السلام : " وهي الجبال التي بناحية الموصل اليوم فصارت حديدا إلى يوم القيمة^(٥) .

فلما رأى قوم يونس ان العذاب قد صرف عنهم وهبطوا إلى منازلهم من رؤس الجبال وضموا اليهم نساءهم واولادهم واموالهم وحمدوا الله على ما صرف عنهم ، واصبح يونس

(١) الطوسي : التبيان ، ج٧ ، ص٢٦٧ ؛ الطبري : جامع البيان ، ج١٧ ، ص١٠١ .
(٢) كان روبييل من أهل بيت العلم والنبوة والحكمة وكان قديم الصحبة ليونس بن متى من قبل أن يبعثه الله بالنبوة . العياشي : تفسير العياشي ، ج٢ ، ص١٢٩ .
(٣) الأحمدى الميانجي : الشيخ علي ، مكاتيب الرسول ، ط١ ، دار الحديث ، ١٩٩٨م ، ج٢ ، ص٢٩٩ ؛ الفيض الكاشاني : التفسير الصافي ، ج٢ ، ص٤٢٤ .
(٤) المجلسي : بحار الأنوار ، ج١٤ ، ص٣٩٧ ؛ الحويزي : تفسير نور الثقلين ، ج٢ ، ص٣٢٥ .
(٥) الحويزي : تفسير نور الثقلين ، ج٣ ، ص٣٦٣ ؛ وينظر المجلسي : بحار الأنوار ، ج١٤ ، ص٣٩٧ .

وتنوخا يوم الخميس في موضعهما الذي كانا فيه لا يشكان ان العذاب قد نزل بهم واهلكهم جميعا لما خفيت أصواتهم عنهما ، فاقبلا ناحية القرية يوم الخميس مع طلوع الشمس ينظران إلى ما صار اليه القوم فلما دنوا من القوم و استقبلتهم الحطابون والحماة والرعاة بأعناقهم ونظروا إلى اهل القرية مطمئنين قال يونس لتنوخا : يا تنوخا كذبني الوحي وكذبت وعدي لقومي لا وعزة ربي لا يرون لي وجهها ابدا بعد ما كذبني الوحي ، فانطلق يونس هاربا على وجهه مغاضبا لربه ناحية بحر ايلة مستنكرا فرارا من أن يراه احد من قومه فيقول له : يا كذاب ، فلذلك قال الله : (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) الآية^(١) .

ومن ذلك ما حكاه الله عن يونس (عليه السلام) و قد دعا به و هو في بطن الحوت الذي التقمه قال تعالى: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)^(٢) .

وقيل لما شاهد يونس خلاص قومه من العذاب ترك قومه ، و ذهب لوجهه حتى ركب السفينة فاعترضها حوت فساھمهم في أن يدفعوا الحوت بإلقاء رجل منهم إليه ليلتقمه و ينصرف عن الباقيين ، فخرجت القرعة باسمه فألقي في البحر فالتقمه الحوت فكان يسبح الله في بطنه إلى أن أمره الله أن يلقيه إلى ساحل البحر، و لم يكن ذلك إلا تأديبا إلهيا يؤدب به أنبياءه على حسب ما يقتضيه مختلف أحوالهم^(٣) ، و قد قال تعالى : (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلْبَثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)^(٤) ، فكان حاله في تركه العود إلى قومه و ذهابه لوجهه يمثل حال عبد أنكر على ربه بعض عمله فغضب عليه فأبق منه و ترك خدمته و ما هو وظيفة عبوديته فلم يرتض الله له ذلك فأدبه فابتلاه و قبض عليه في سجن لا يقدر فيه أن يتوسع قدر أنملة في ظلمات بعضها فوق بعض فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين^(٥) .

و لم يكن ذلك كله إلا لأن يتمثل له على خلاف ما كان يمثل حاله أن الله سبحانه قادر على أن يقبض عليه و يحبسه حيث شاء ، و أن يصنع به ما شاء فلا مهرب من الله سبحانه إلا إليه ، و لذلك لقنه الحال الذي تمثل له و هو في سجنه من بطن الحوت أن يقر الله بأنه هو المعبود الذي لا معبود غيره ، و لا مهرب عن عبوديته فقال : " لا إله إلا أنت " و لم يناده تعالى بالربوبية ، وهذا أوحى دعاء من أدعية الأنبياء (عليهم السلام) لم يصدر باسم الرب^(٦) .

ثم ذكر ما جرى عليه الحال من تركه قومه إثر عدم إهلاكه تعالى إياهم بما أنزل عليهم من العذاب فأثبت الظلم لنفسه و نزه الله سبحانه عن كل ما فيه شائبة الظلم و النقص فقال : (

(١) الأحمدي الميانجي : مكاتيب الرسول ، ج ٢ ، ص ٣٠٠ ؛ وينظر العياشي : تفسير العياشي ، ج ٢ ، ص ١٣٤ ؛ و الحويزي : تفسير نور الثقلين ، ج ٣ ، ص ٣٦٣ .

(٢) القرآن الكريم : سورة الأنبياء (٨٧) .

(٣) الطباطبائي : سنن النبي (ص) ، ص ٧٠ .

(٤) القرآن الكريم : سورة الصافات (١٤٤) .

(٥) الطباطبائي : تفسير الميزان ، ج ٦ ، ص ٢٨٦ .

(٦) الطبرسي : الاحتجاج ، ج ٢ ، ص ٢٢١ ؛ وينظر الزمخشري : الكشاف ، ج ٢ ، ص ٥٨١ ؛ و الطباطبائي : تفسير الميزان ، ج ٦ ، ص ٢٨٧ .

سبحانك اني كنت من الظالمين) ولم يذكر مسألته و هي الرجوع إلى مقامه العبودي السابق عدا لنفسه دون لياقة الاستعطاء و استحقاق العطاء استغراقا في الحياء و الخجل ، و الدليل على مسألته قوله تعالى بعد الآية السابقة : (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ)^(١) ، والدليل على أن مسألته كانت هي الرجوع إلى سابق مقامه قوله تعالى : (وَتَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَبْنَيْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ * وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِثْءِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ)^(٢) ، ويبدو أن هذا هو مبتغاه^(٣) .

قال أبو عبيدة قلت لأبي جعفر عليه السلام { } كم كان غاب يونس ع عن قومه حتى رجع إليهم بالنبوة و الرسالة فآمنوا به و صدقوه قال أربعة أسابيع سبعا منها في ذهابه إلى البحر و سبعا منها في رجوعه إلى قومه فقلت له و ما هذه الأسابيع شهور أو أيام أو ساعات فقال يا عبيدة إن العذاب أتاها يوم الأربعاء في النصف من شوال و صرف عنهم من يومهم ذلك فانطلق يونس ع مغاضبا فمضى يوم الخميس سبعة أيام في مسيره إلى البحر و سبعة أيام في بطن الحوت و سبعة أيام تحت الشجرة بالعراء و سبعة أيام في رجوعه إلى قومه فكان ذهابه و رجوعه مسيرة عشرين يوما ثم أتاها فآمنوا به و صدقوه و اتبعوه فلذلك قال الله قُلْ لَا كَانَتْ قَرْيَةٌ^(٤) .

إثنا عشر - الحيوان في قصة نبي الله عيسى عليه السلام :

لقد ورد ذكر الحيوانات في قصة نبي الله عيسى عليه السلام في القرآن الكريم للدلالة على الإعجاز وإثبات نبوة عيسى عليه السلام وكيف أن الله تعالى فوض إلى بعض أنبياءه جوانب من قدرته تعالى على الخلق تصديقا لهم و تثبيتا لقلوب المؤمنين بهم ، فقد ورد في قوله تعالى : (وَرَسُولًا إِلَىٰ يَسِئَ إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخْرِئُ الْمُؤْمِنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُتْبِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)^(٥) .

فذكر الطير في هذه الآية جاء على نحو الإجمال دون التخصيص ، فقوله تعالى : (أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ) معناه أني أقدر لكم و أصور لكم من الطين مثل صورة الطير " فأنفخ فيه " أي في الطير المقدر من الطين و قال في موضع آخر فيها أي في الهيئة المقدر " فيكون طيرا بإذن الله " و قدرته و قيل بأمر الله تعالى^(٦) ؛ و إنما وصل قوله " بإذن

(١) القرآن الكريم : سورة الأنبياء (٨٨) .

(٢) القرآن الكريم : سورة الصافات (١٨٤) .

(٣) الطباطبائي : تفسير الميزان ، ج٦ ، ص٢٨٨ ؛ وينظر الطوسي : التبيان ، ج١ ، ص١٥٨ .

(٤) الجزائري : قصص الانبياء ، ج٢ ، ص٧٣ .

(٥) القرآن الكريم : سورة آل عمران (٤٩) .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ، ج١٤ ، ص٢٥٨ ؛ الأمين : عبد الحسين أحمد (ت١٣٩٢هـ) ، الغدير ، ط٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ج٥ ، ص٥٨ .

" بقوله " فيكون طيرا " دون ما قبله لأن تصور الطين على هيئة الطير و النفخ فيه مما يدخل تحت مقدور العباد فأما جعل الطين طيرا حتى يكون لحما و دما و خلق الحياة فيه فيما لا يقدر عليه غير الله فقال " بإذن الله " ليعلم أنه من فعله تعالى و ليس بفعل عيسى و في التفسير أنه صنع من الطين كهيئة الخفاش و نفخ فيه فصار طائرا^(١).

وذكر الطبرسي قوله " إذ تصور الطين كهيئة الطير الذي تريد أي كخلقته و صورته و سماه خلقا لأنه كان يقدره و قوله " بإذني " أي تفعل ذلك بإذني و أمري " فتنفخ فيها " أي تنفخ فيها الروح لأن الروح جسم يجوز أن ينفخه المسيح بأمر الله " فتكون طيرا بإذني " و الطير يؤنث و يذكر فمن أنث فعلى الجمع و من ذكر فعلى اللفظ و واحد الطير طائر فيكون مثل ضاعن و ظعن و راكب و ركب و بين بقوله " فتكون طيرا بإذني " أنه إذا نفخ المسيح فيها الروح قلبها الله لحما و دما و يخلق فيها الحياة فصارت طائرا بإذن الله أي بأمره و إرادته لا بفعل المسيح^(٢).

والكاف في قوله : (كهية الطير) بمعنى مثل ، وهي صفة لموصوف محذوف دل عليه أخلق ، أي شيئا مقدرًا مثل هيئة الطير ، وقرأ الجمهور " الطير " وهو اسم يقع على الجمع غالباً وقد يقع على الواحد ، وقرأه أبو جعفر " الطائر " ، والضمير المجرور بفي من قوله : (فانفخ فيه) عائد إلى ذلك الموصوف المحذوف الذي دلت عليه الكاف^(٣) ، (كهية الطير) هيئة مثل هيئة الطير (بإذني) بتسهيلي (فتنفخ فيها) الضمير للكاف ، لأنها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى عليه السلام { } وينفخ فيها ، ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها ؛ لأنها ليست في خلقه ولا من نفخه في شيء^(٤).

وعلى كل حال فقد أشارت المصادر إلى أن نبي الله عيسى عليه السلام { } كان يخلق من الطين طيرا حقيقياً من لحم و دم وذلك بإذن الله تعالى و تثبिताً لصدق نبوته عليه السلام { } فضلا عن إحياء الموتى و إبراء الأكمه والأبرص ، وذلك كما صورته الآيات القرآنية الأنفة الذكر^(٥).

ثلاثة عشر- الحيوان في قصة أصحاب الكهف و غزو مكة المكرمة :

ورد ذكر الكلب في قصة أصحاب الكهف في قوله تعالى (وَكَلْبُهُمْ بِأَسْطُرٍ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ) ^(٦).

وفي قوله تعالى (سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا) ^(٧) ، وقد ورد عن الصادق

(١) الطبرسي : تفسير مجمع البيان ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ ؛ الشيرازي : الأمثل ، ج ٢ ، ص ٥٠٦ .

(٢) مجمع البيان ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ .

(٣) ابن عاشور : التحرير والتنوير ، ج ٣ ، ص ١٠٢ .

(٤) الزمخشري : الكشاف ، ج ٢ ، ص ٨١ .

(٥) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ١ ، ص ٦٠٤ ؛ الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ) ، سير أعلام النبلاء ، ت. شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد ، ط ٩ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، ج ١ ، ص ٥٢٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٢ ، ص ٧٠ ؛ المقرئ : تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ) ، امتاع الاسماع ، ت. محمد عبد الحميد النميسي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ج ٤ ، ص ٢١٥ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ج ٢١ ، ص ٣٢٨ .

(٦) القرآن الكريم : سورة الكهف (١٨) .

(٧) القرآن الكريم : سورة الكهف (٢٢) .

{عليه السلام} أنه قال : " لا يدخل الجنة من البهائم إلا ثلاثة حمار بلعم بن باعورا و ذئب يوسف عليه السلام و كلب أصحاب الكهف " ، وذلك أن أصحاب الكهف عندما خرجوا من المدينة التي كان يحكمها ملك ظالم ومشارك خوفاً على أنفسهم من القتل فمروا براع في طريقهم فدعوه إلى أمرهم فلم يجيبهم ، وكان مع الراعي كلب فأجابهم و خرج معهم حتى دخلوا الكهف و ناموا فيه لمدة ثلاثة مئة سنة^(١) .

ومن الحيوانات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم هو الفيل و الطير الأبايل وذلك في سورة واحدة كما جاء في قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَصَفِّ مَأْكُولٍ)^(٢) .

ذكر المفسرين في قوله : " ألم تعلم (كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) الذين قصدوا هدم البيت و هلاك أهله ، فاهلكهم الله تعالى ، وكان الذي قصد لهدم البيت أبرهة ابن الصباح ، وهو المعروف بأبرهة الاشم ، ويكنى أبا يكسوم^(٣) ، وقيل أن وزيره يكنى (أبو يكسوم)^(٤) ؛ وقيل : إنه لم يسلم من قومه غيره ، فولى إلى أهله فكل ما نزل منزلا تساقط منه عضو فلما وصل إليهم أخبرهم الخبر ثم هلك ، وكان أبرهة رجلا من اليمن ملكته الحبشة عليهم ، وكان سبب قصده إياها لتخريبها أنه بنى كنيسة عظيمة أراد ان يحج إليها بدل الكعبة^(٥) .

وقال الحسن : كان السبب في ذلك أن العرب هدمت كنيسة للحبشة وتدعى (القليس)^(٦) . وهم نصارى ، فأراد تخريب الكعبة في مقابلة ذلك ، فاقبل في جمع كثيف معه أفيلة ، فجعل الله كيدهم في تضليل عما قصدوا له من تخريب الكعبة (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) فمعنى أبابيل جماعات في تفرقة زمرة وزمرة لا واحد لها ، وقيل : معنى أبابيل كثيرة متتابعة^(٧) .

وقيل : إنها كانت سود الجرية تحمل في مناقيرها واكفها الحجارة ؛ وقيل خضر^(٨) ؛ وقيل : كان مع كل طائر ثلاثة أحجار اثنان في رجليه وواحد في منقاره ، وكانت الحجارة اكبر من العدسة وأصغر من الحمصة وقيل كان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره^(٩) .

وقيل : إن المعروف بأبرهة الاشم لم يسلم من قومه غيره فولى إلى أهله وكلما نزل منزلا تساقط منه عضو فلما وصل إليهم أخبرهم الخبر ثم هلك ، وقيل كان الفيل إذا وجهه نحو مكة وقف ولم يسر ، وإذا وجهه إلى جهة غيرها سار

(١) الحويزي : تفسير نور الثقلين ، ج ٣ ، ص ٢٤٨ ؛ الشيرازي : الأمثل ، ج ٩ ، ص ٢١٧ .

(٢) القرآن الكريم : سورة الفيل (١ - ٥) .

(٣) الطبرسي : مجمع البيان ، ج ١٠ ، ص ٤٤٢ .

(٤) الزمخشري : الكشاف ، ج ٤ ، ص ٢٨٥ .

(٥) الطبري : جامع البيان ، ج ٣٠ ، ص ٣٨٦ .

(٦) الزمخشري : الكشاف ، ج ٤ ، ص ٢٨٥ .

(٧) الفراهيدي : كتاب العين ، ج ٢ ، ص ١٩١ .

(٨) الزمخشري : الكشاف ، ج ٤ ، ص ٢٨٥ .

(٩) الطوسي : التبيان ، ج ١٠ ، ص ٤١٠ .

إنذارا من الله لهم وموعظة^(١) ؛ وكان هذا من أعظم المعجزات في ذلك الوقت أظهره الله تعالى ليدل به على وجوب معرفته وإخلاص عبادته ، وقال قوم : إنه كان معجزة لنبي كان في ذلك الزمان ، وقيل انه كان ذلك توطيئا لنبوته نبينا صلى الله عليه واله ، لأنه كان ولد في عام الفيل^(٢) .

وقوله (ترميمهم بحجارة) أي تقذفهم بحجارة (من سجيل) ، قيل : كل شديد سجيل^(٣) ، وقيل هي حجارة من الجحيم وهي (سجين) ثم ابدلت النون لاما ، وقيل: معنى من (سجيل) أي من طين مطبوخ كالآجر^(٤) ، وروي عن ابن عباس وقوله (فجعلهم كمصف مأكول) العصف ورق الزرع وهو عصفية ، لان الريح تعصفه أي تذهب به يمينا وشمالا ، وقيل : معنى (كمصف مأكول) أي مأكول الثمرة كما يقال : فلان حسن أي حسن الوجه ، فاجري مأكول على العصف من أجل اكل ثمرته ، لان المعنى معلوم للإيجاز ، وقيل العصف التين ، ومعنى مأكول قد أكلت بعضه المواشي وكسرت بعضه^(٥) .

وقصة أصحاب الفيل من الأدلة الواضحة والحجج اللائحة على الملحدين ، ومن أنكر الصانع ، لأنه لا يمكن نسب ذلك إلى طبيعة ولا موجب كما تأولوا الزلازل والرياح والخسوف وغير ذلك مما أهلك الله به الأمم ، لأنه ليس في الطبيعة إقبال طير بأحجار وتقصد اقواما دون غيرهم حتى تهلكهم بما ترميهم به ، ولا تعدى إلى غيرهم ، بل ذلك من أوضح الأدلة على انه من فعل الله تعالى ، وليس لاحد أن يضعف ذلك وينكر الخبر به ، لان النبي صلى الله عليه واله لما قرأ على أهل مكة هذه السورة ، كانوا قريبي عهد بالفيل ، فلو لم يكن كذلك ولم يكن له اصل لأنكروه ، فكيف وهم ارخوا به كما أرخوا بنيان الكعبة وموت قصي وغيره ، وقد نظم الشعراء في قصة الفيل الشعر ونقلته الرواة ، فلا يمكن جحد ذلك ، لأنه مكابرة^(٦) .

(١) الزمخشري : الكشاف ، ج ٤ ، ص ٢٨٥ .
(٢) الطوسي : التبيان ، ج ١٠ ، ص ٤١١ ؛ الطبرسي : مجمع البيان ، ج ١٠ ، ص ٤٤٣ .
(٣) ابن فارس : المحيط ، ج ٢ ، ص ٩٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٠٤ .
(٥) الزمخشري : أساس البلاغة ، ج ١ ، ص ٣١٢ ؛ ابن أبي حاتم : التفسير ، ج ١٠ ، ص ٣٤٦٦ .
(٦) الطوسي : التبيان ، ج ١٠ ، ص ٤١٠ .

أربعة عشر- الحيوان في قصة أصحاب السبت :

قال تعالى : (وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)^(١) و قوله تعالى : (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ)^(٢) يقول الله تعالى ، لنبيه صلوات الله وسلامه عليه (واسألهم أي : واسأل هؤلاء اليهود الذين بحضرتك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله ، ففاجأتهم نقمته على صنيعهم واعتدائهم واحتيالهم في المخالفة ، وحذر هؤلاء من كتمان صفتك التي يجدونها في كتبهم لئلا يحل بهم ما حل بإخوانهم وسلفهم ، وهذه القرية هي " أيلة " وهي على شاطئ بحر القلزم^(٣) .

روي عن ابن عباس في قوله : (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) قال : هي قرية يقال لها " أيلة " بين مدين والطور ، وقال عبد الله بن كثير القارئ : " سمعنا أنها أيلة " وقيل : هي مدين ، وقال ابن زيد : هي قرية يقال لها " مقنا " بين مدين وعيدوني^(٤) .

وقوله (إذ يعدون في السبت) أي : يعتدون فيه ويخالفون أمر الله فيه لهم بالوصاية به إذ ذاك ، (إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا) قال الضحاك : أي ظاهرة على الماء^(٥) ، وقال العوفي عن ابن عباس : شرعا ، من كل مكان ، وقيل مقبلة إليهم مصطفة^(٦) .

قال ابن جرير وقوله : (ويوم لا يسبوتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم) أي : نختبرهم بإظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده ، وإخفائه عنهم في اليوم المحلل لهم صيده كذلك نبلوهم أي نختبرهم (بما كانوا يفسقون) يقول : بفسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها^(٧) .

وهؤلاء قوم احتالوا على انتهاك محارم الله ، بما تعاطوا من الأسباب الظاهرة التي معناها في الباطن تعاطي الحرام ، وقد قال الفقيه الإمام أبو عبد الله بن بطة ، رحمه الله : حدثنا أحمد بن محمد بن مسلم ، حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تتركبوا ما ارتكبت اليهود ، فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل " ^(٨) .

(١) القرآن الكريم : سورة الاعراف (١٣٦) .

(٢) القرآن الكريم : سورة البقرة (٦٥) .

(٣) الطبري : جامع البيان ، ج ٩ ، ص ١٢٢ ؛ البغوي : تفسير البغوي ، ج ٢ ، ص ٢٠٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٩ ، ص ١٢٢ .

(٥) أبي السعود : تفسير أبي السعود ، ج ٣ ، ص ٢٨٤ .

(٦) الثعالبي : تفسير الثعالبي ، ج ٣ ، ص ٨٨ .

(٧) الطبري : جامع البيان ، ج ٩ ، ص ١٢٤ .

(٨) ابن قدامة : المغني ، ج ٥ ، ص ٥١٣ ؛ الألباني : محمد ناصر الدين ، ارواء الغليل ، ت. زهير الشاويش ، ط ٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، ج ٥ ، ص ٣٧٥ .

أما ما ورد في قوله تعالى : (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً

خَاسِئِينَ)^(١) فقد ورد عن الإمام السجاد عليه السلام { كان هؤلاء قوم يسكنون على شاطئ البحر فنهاهم الله وأنبياءه عن اصطيد السمك في يوم السبت ، فتوصلوا إلى حيلة ليحلوا منها لأنفسهم ما حرم الله تعالى ، فخدوا الأخاديد وعملوا طرقاً تؤدي إلى حياض ، فيتهدأ للحيتان الدخول يوم السبت جارية على أمان لها ، فدخلت الأخاديد وحصلت في الحياض الغدران ، فلما كانت عشية اليوم همت بالرجوع منها إلى اللج لتأمن من صائدها ، فرامت الرجوع فلم تقدر ، وبقيت ليلتها في مكان يتهدأ أخذها بلا اصطيد ، لاسترسالها فيه و عجزها عن الامتناع ، لمنع المكان لها ، وكانوا يأخذون يوم الأحد ، يقولون : ما اصطدنا في السبت ، انما اصطدنا في الأحد ، وكذب أعداء الله تعالى ، بل كانوا آخذين لها بأخاديدهم التي عملوها يوم السبت ، حتى كثر من ذلك مالهم^(٢) .

و روي عن الإمام الصادق عليه السلام { في النص المتقدم بحق أصحاب السبت قائلًا : " إن أولئك مسخوا ثلاثة أيام ثم ماتوا ولم يتناسلوا ، وإن القردة اليوم مثل أولئك ، وكذلك الخنازير وسائر المسوخ ، ما وجد منها اليوم من شيء فهو مثله لا يحل أن يؤكل لحمه " ^(٣) .

وقد أورد الطوسي رأياً ولم يأخذ به وهو عن مجاهد أنه قال : " إن ذلك مثل ضربه الله ، كما قال : (كمثل الحمار يحمل أسفارا) ولم يمسخهم قردة ، مسخت قلوبهم فجعلت قلوب القردة لا تقبل وعظاً ولا تقي زجراً " ^(٤) ؛ كما أورد الزمخشري في تفسير قوله تعالى : (قردة خاسئين) أي : كونوا جامعين بين القردية و الخسوء وهو الصغار والطرده^(٥) .

ويبدو واضحاً أن ارتكاب اليهود لهذه المعصية مع إيمانهم بالله تعالى و معرفتهم بالحرمة لهذا التصرف ، إلا أنهم ارتكبوا المعصية بعد أن أقنعوا أنفسهم بالحيلة الشرعية ، وما ذلك إلا لما تحققه هذه الأسماك من أرباح مالية كبيرة هي التي دفعتهم لارتكاب المعصية ، إذ أن المحور الاقتصادي في كل زمن يكون له السبق و الريادة في كل مجتمع ، الأمر الذي يدفع الكثيرين إلى التفريط بمبادئهم و دينهم في سبيل المال للأسف الشديد .

(١) القرآن الكريم : سورة البقرة (٦٥) .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ص ٢٢١ ؛ وينظر الشيخ الجواهري : جواهر الكلام ، ج ٣٢ ، ص ٢٠١ .

(٣) الصدوق : علل الشرائع ، ج ١ ، ص ٢٢٧ .

(٤) الطوسي : التبيين ، ج ١ ، ص ٢٨٩ .

(٥) الزمخشري : الكشاف ، ج ١ ، ص ٢٨٦ .

الخاتمة

نستنتج مما تقدم في طيات الرسالة مجموعة من الأمور التي يمكن أن نجعلها في عدة نقاط من أهمها ما يأتي :

١- يتضح من التعريف اللغوي لمفردة الحيوان أنها تعني الحياة عند كل ذي روح و هو ما يشترك به الإنسان العاقل المفكر الناطق و الكائنات الحية المتحركة الأخرى التي هي غير الإنسان والتي تكون غير عاقلة (أو ذات عقلية نسبية) و غير ناطقة ، ونعني بالنطق أي الكلام المفهوم للإنسان ، أما غير الناطقة فهي (الأعجمية) وتشمل أصوات الحيوانات الغير مفهومة لدى الإنسان وهي سائر الدواب التي تمشي على الأرض بما فيها الحشرات و الطيور ، والحيوان هو كائن يعيش في اللحظة التي هو فيها ، ولا ينظر إلى المستقبل ولا يتأثر في سلوكه بأصداء الماضي ، فهو كائن حي يمتاز بالحياة والحس والحركة ، ومثاله : الأسد وهو حيوان مفترس ، و الكلب وهو حيوان أليف .

٢- أن المصادر التاريخية القديمة اعتمدت بشكل مباشر على القصص القرآنية في الحديث عن الأمم التي عاشت قبل الإسلام و التاريخ القديم ومن ذلك موضوع الحيوان إذ أن القرآن الكريم كمصدر تاريخي من أصدق المصادر و أصحابها على الإطلاق فهو موثوق السند وهو كتاب الله تعالى الذي أنزله على نبيه فلا سبيل إلى الشك في معلوماته و قيمته المعرفية و وثاقته التاريخية فهو كتاب لا يقبل الجدل فالقصص القرآني هو أنباء و أحداث تاريخية لم تلتبس بشيء من الخيال أو الوهم أو الوضع و التدليس فهو يعكس لنا الواقع الذي كانت تعيشه الأمم السابقة وما يتضمنه من أحداث دون تحريف أو تبديل مع احتفاظه بإطاره العام و رسالته السامية المتمثلة بالهداية و الإرشاد .

٣- أما ذكر الحيوان في الحديث النبوي فنلاحظ أن النبي (ﷺ) يحث على الرحمة بالحيوان و ما عداه من مخلوقات الله وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة عن النبي (ﷺ) وليس ذلك بغريب فهو رحمة الله تعالى التي قال عنها (و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فالرواية التي أوردناها سلفاً توضح ذلك : قال رجلٌ : " يا رسول الله ! إني لأذبح الشاة فأرحمها ، قال : والشاة إن رحمتها ؛ رحمتك الله " ، وعن النبي (ﷺ) قال : " مَنْ رَحِمَ - وَلَوْ ذَبِيحَةً عُصْفُورٍ رَحِمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " ، وقال أيضا (ﷺ) : من مثل بذي روح ، ثم لم يتب ، مثل الله به يوم القيامة " ، و قال أيضا : " لا تمثلوا بالبهائم ، لعن الله من مثل بالحيوان " ، ولعل خير من جسد هذه التعاليم السامية للرسول الأكرم هو ربيب بيت النبوة الإمام علي (عليه السلام) الذي كان يقول : " لو أُعطيت الأقاليم السبع بما تحت أفلakها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ، ما عصيت ربي " ، وفي ذلك تأكيد واضح وجلي في وجوب الابتعاد عن معاصي الله تعالى و من أبرزها الحيوان و ذلك أنه ذي روح فهو حي ويشعر و حساس و يمثل جزء مهم جدا من هذه الحياة التي نعيشها على الأرض وقد لا يستطيع الإنسان العيش بدونه .

٤- أما عن أصل الحيوان و وجوده إلى جنب الإنسان في بلاد الرافدين و وادي النيل وما جاورها ، فيبدو أن الإنسان لم ينفصل عن عالم الحيوان منذ بداياته الأولى على الأرض ، الأمر الذي دفعه إلى الاعتقاد أن أصله حيوان أو وحش أو حشرة أو سمكة وغيرها من الاعتقادات ، وليس من قبيل الصدفة أن الملوك القدماء أطلقوا على أنفسهم أسماء بعض الحيوانات كالخروف و العقرب و غيرها من الأسماء ، وقد امتدت هذه الفكرة إلى العصور المتأخرة بعد أن تلاشى النظام القبلي إلا أن الآلهة صورت على شكل حيوانات أو طيور ، إلا أن الإنسان القديم لم يعبد الحيوانات لذاتها إطلاقاً ولكنه قدس روحاً سامية هي روح الإله التي تكمن في الحيوان ، فروح الإله تجلت في ذلك الحيوان أو هذا الطير ، فاحترام الإنسان وتقديسه لتلك الحيوانية ، إنما يعني احترامه للروح التي بداخلها وهي روح الإله و ليست روح الحيوان نفسه ، وقد يدل على ذلك تقديم الحيوان كقربان في الطقوس الجنائزية ، فلو كانوا يعتقدون أن الحيوان هو الإله ما ذبحوه في أغلب طقوسهم الدينية ، وهذه الفكرة أشار إليها القرآن الكريم في آياته المباركات ، كما في قوله تعالى (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُعَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ) .

كما أن دخول القرابين الحيوانية في الطقوس الجنائزية ، كان منشأه اعتقادهم أن القرابين تشكل غذاء للمتوفى ، ففي المدافن السومرية كانت الخيول و الثيران و أحياناً العربات جزءاً من الاحتفال الكبير الذي يرافق الجنازة ، ومن المحتمل التضحية بالثيران هدفه مواصلة مهمتهم كحيوانات تعمل في خدمة المتوفى في العالم الآخر ، كذلك قدمت الماعز كأضحية و تدعى بديل الإنسان ، فعملية تحويل المرض أو الشر من الأفراد إلى الماعز التي يضحي بها دليل على ذلك ، كما توجد أدلة تاريخية على وجود تضحية حيوانية لها علاقة بطقوس خاصة ترتبط بإقامة منزل ، كما توجد أدلة على وجود احتفال ديني يقدم فيه الحمار كوليمة ضمن طقوس أمورية عظيمة ، و يعتقد أنها تدور حول ركوب الإله للحمار ، كما دلت المصادر على تقديم الحمار الصغير كقربان في طقوس السلام و التحالف بين الممالك الصغيرة أو القبائل وكذلك في الاتفاقيات الدبلوماسية بين الدول ، كما صورت بعض المنحوتات الصيد الملكي الذي اعتبر شكلاً من أشكال التضحية بالحيوان .

وقد أشار القرآن الكريم إلى فكرة تقديم القرابين من الحيوانات و غيرها من ممتلكات الإنسان أنها قديمة بقدم الخليفة ومنذ بداية وجود الإنسان وذلك من خلال الإشارة إلى قصة ابني آدم (ع) في قوله تعالى : (وَأْتَلُ عَلَيْهِمَ تَبَأَبْنَىٰ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يَقْبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ أَقْبَلْتُكَ قَالَ إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) ، و من جاء بعدهم من الأمم القديمة التي ذكرها القرآن الكريم كما في قوله (الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا اللَّهُ عَهْدَ إِلَيْنَا أَلَا نؤمنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْآنٍ نَأْكُلُهُ النَّارُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ صَادِقِينَ) .

٥- أما في الفصل الثاني فنلاحظ أن الحيوان شكل محور الاقتصاد الذي يعتمد عليه الإنسان العربي في معاشه و حله و ترحاله ، فضلاً عن الاستعانة به في مشاغله من النقل و الركوب و حمل البضائع ، ولو استقرأنا حياة العرب بصورة عامة نجدهم كما وصفهم ابن خلدون ، فهم كانوا يعتمدون على الإبل في مزاولة أعمالهم التجارية من خلال إرسال القوافل التجارية من الجنوب إلى الشمال و بالعكس وهو ما عرف قديماً بالإيلاف و الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى (لإيلاف قريش إيلافهم ، رحلة الشتاء و الصيف) ، كما أنهم يستعملون الخيل في التنقل و التنزه و المسابقات و الصيد و الغزو وما شاكل ذلك ، أما في انتقالهم من مكان إلى آخر فكانوا يعتمدون على الحمير و البغال لنقل أغراضهم الخاصة ، و أما الأبقار و الأغنام فكانت تشكل النسبة الأكبر من قوت يومهم متمثلاً باللحوم و الحليب و مشتقاتها ، فضلاً عن المنافع الأخرى المستخلصة من الحيوانات من قبيل الملابس و البيوت التي تصنع من الوبر .

بالإضافة إلى أن الظروف المناخية وطبيعة التضاريس الجغرافية في شبه الجزيرة العربية جعلها تقتصر على أنواع معينة من الحيوانات التي ورد ذكرها في المصادر التاريخية و التي منها الإبل و الحمير و الماشية و الخيل ، علماً أن أكثرها استخداماً هي الإبل وذلك بسبب صعوبة المناخ و قلة الزراعة فكانت تستخدم بقية الحيوانات بشكل قليل نسبياً و لغرض توفير الطعام ليس إلا فلا توجد منها وفرة كالإبل التي كانت لها مكانة كبيرة في حياة العرب قبل الإسلام حتى أن بعضهم عبدوها .

كما يتضح أن الحيوانات المتقدم ذكرها في الفصل الثاني بعمومها كانت تعيش جنباً إلى جنب مع الفرد العربي قبل الإسلام ، وهي تشكل جانباً مشرقاً في حياته التي تقوم بمجملها على تربية الحيوانات و الزراعة ، فهي تشكل محورين مهمين هما محور الاقتصاد المتمثل بالطعام و التجارة ، ومحور آخر هو الأُنس بها في ساعات راحته فهي تثير البهجة وتشعره بالسعادة ، وهو يشعر بالراحة المتعة عندما يشاهد جمالها وما تتمتع به من ألوان جذابة وسحر يسر النفوس ويدخل عليها الهدوء ، أو يمارس الصيد بها أو استخدامها في المسابقات ومثال ذلك مسابقات الخيل التي كانت تقام قبل الإسلام بين أبناء القبائل ، حتى صارت الحيوانات جزء من المنظومة الثقافية للعربي قبل الإسلام فدخلت في قصائده الشعرية و المقطوعات النثرية فقد أصبحت جزء من الأدب العربي .

وفضلاً عن ذلك فإن وجود الآثار المادية من عظام وجلود وبقايا الطعام الذي يدل على وجود الحيوانات في مكان ما ، لا يعني عدم وجودها في أماكن أخرى لا توجد فيها آثار حيوانية .

٦- ويتضح من دراسة الفصل الثالث أن القرآن الكريم وظف ذكر الحيوانات في آياته المباركة لبيان أهميتها في جوانب الحياة المختلفة الدينية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية وغير ذلك من شؤونها المختلفة ، إلا أن الملاحظ من القرآن الكريم أنه ذكر الحيوانات بما يتناسب مع عقلية الفرد العربي آنذاك وثقافته الجاهلية التي تستند إلى الرهبة و الرغبة والقوى الغيبية والسيطرة على الآخر ، فهو يوضح لنا في بعض سورته أن الحيوان في بعض أنواعه كان من مظاهر الملك والسلطان والنفوذ ، كما في قصة

النبي سليمان ﷺ مع الهدد و الخيول الأصيلة ، وفي مواضع أخرى يبين أهمية الحيوان من الناحية الاقتصادية ومرة يبين أهميته كمثال للعبرة و الموعظة أو للزينة والاستئناس وغيرها من الدوافع التي تدعو الانسان لتدجين الحيوان .

وفي مجال العقيدة الدينية يتضح أن هناك ترابط بين فكرة عبادة الحيوان عند الأمم السابقة وبين الديانات السماوية السابقة أيضاً ، إذ نلاحظ أن التقديس (تقديس الحيوان) لم يكن عند الأمم الكافرة فحسب بل أنه وجد في الأديان المنزلة أيضاً وذلك واضح في قصة ناقة صالح ، لذا يبدو من خلال المقارنة بين ظاهرة عبادة الحيوان عند العرب قبل الإسلام و تقديس نماذج من الحيوانات في الديانات السماوية أن هناك ترابط واضح قد يكون منشأه الديانات التوحيدية السماوية ، إلا أن الانتقال من عصر إلى عصر عبر الزمن أدى إلى تطور هذه العبادات من عبادة الإله الواحد إلى عبادة الأشخاص و الحيوانات والجمادات المرتبطة بالديانة التوحيدية الأصل ، فتغيرت عبادة الناس من الأصل إلى الفرع ، وظنوا أنه هو معبودهم ومبتغاهم .

أضف إلى ذلك رغبة الإنسان في عبادة قوى أخرى مرئية غير القوى الغيبية ليلجأ إليها عند عجزه عن إيجاد حلول لمشاكله ، ولذلك وجد في الكائنات المحيطة به من حيوانات وجمادات وكوارث طبيعية هي القوى المؤثرة على حياته فعبدها وحاول التقرب منها ظناً منه أنها تنفعه أو تضره .

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نحمد الله تعالى على نعمة الصحة والأمان فلولاهما ما كنت أكملت ما بدأت به من العمل في كتابة هذه الرسالة المتواضعة التي أتمنى أن تكون نافعة للعلم والمعرفة وأن تساهم ولو بشيء قليل في رفد المسيرة العلمية ، والحمد لله رب العالمين و الصلاة وأتم التسليم على حبيب إله العالمين محمد بن عبد الله و على أهل بيته الطيبين الطاهرين .

المصادر و المراجع :

أولاً - المصادر :

- ١- القرآن الكريم .
- ابن الأثير : عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ)
- ٢- الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .
- ابن الأثير : المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٠٦هـ)
- ٣- النهاية في غريب الحديث ، ت. طاهر احمد الزاري و محمود محمد الطناحي ، ط ٤ ، مؤسسة اسماعيليان ، قم - ايران ، ١٣٦٤هـ - ١٩٤٢م .
- الأردبيلي : أحمد بن محمد (ت ٩٩٣هـ)
- ٤- زبدة البيان ، ت. محمد باقر البهبودي ، المكتبة الرضوية لإحياء الآثار الجعفرية ، طهران .
- الأزدي : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ)
- ٥- جمهرة اللغة ، ت. رمزي منير بعلبكي ، ط ١ ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٧م .
- الأزرقى : أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٢٥٠هـ)
- ٦- أخبار مكة ، ت. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، ط ١ ، مكتبة الأسدى ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
- الأصفهاني : أبي الفرج (ت ٣٥٦هـ)
- ٧- كتاب الأغاني ، ت. إحسان عباس ، ط ١ ، ٢٠٠٢م ، دار صادر ، بيروت .
- الأصمعي : عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي (ت ٢١٦هـ)
- ٨- ديوان طفيل الغنوي ، ت. حسّان فلاح أوغلي ، ط ١ ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٧م .
- ابن الأعرابي : أبي عبد الله محمد بن زياد (ت ٢٣١هـ)
- ٩- أسماء خيل العرب وفرسانها ، ط ١ ، شركة نوابغ الفكر ، ٢٠٠٨م .
- البخاري : أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦هـ)
- ١٠- صحيح البخاري ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- البغوي : أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٠هـ)
- ١١- معالم التنزيل في تفسير القرآن ، ت. خالد عبد الرحمن العك ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان .
- ابن بلبان : الأمير علاء الدين علي الفارسي (٧٣٩هـ)
- ١٢- صحيح ابن حبان (ت ٣٥٤هـ) بترتيب ابن بلبان ، ت. شعيب الأرناؤوط ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
- البيضاوي : ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد (ت ٦٨٢هـ)
- ١٣- تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ت. محمد عبد الرحمن المرعشلي ، ط ١ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

- البيهقي : أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨ هـ)
- ١٤- السنن الكبرى ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، (د.ت) .
- ١٥- معرفة السنن والآثار ، ت. سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- الترمذي : أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩ هـ)
- ١٦- سنن الترمذي ، ت. عبد الوهاب عبد اللطيف ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- الثعالبي : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت ٨٧٥ هـ)
- ١٧- الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، ت. د. عبد الفتاح أبو سنة وآخرون ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .
- الثعلبي : أبو اسحاق أحمد (ت ٤٢٧ هـ)
- ١٨- الكشف والبيان في تفسير القرآن ، ت. أبي محمد بن عاشور ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م .
- الثقفى : محمد بن ابراهيم (ت ٢٨٣ هـ)
- ١٩- الغارات ، ت. جلال الدين الحسيني ، مطابع بهمن ، (د.ت) .
- جاحظ : ابي عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)
- ٢٠- كتاب الحيوان ، ت. عبد السلام محمد هارون ، ط ٢ ، مكتبة الجاحظ ، مصر ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .
- الجرجاني : علي بن محمد السيد الشريف (ت ٨١٦ هـ)
- ٢١- معجم التعريفات ، ت. محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة - مصر ، ٢٠٠٤ م .
- الجرجاني : أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي (ت ٣٩٢ هـ)
- ٢٢- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ت. محمد أبو الفضل ابراهيم و علي محمد البجاوي ، مطبعة عيسى البابي ، حلب - سوريا (د.ت) .
- الجصاص : أبي بكر أحمد بن علي الرازي (ت ٣٧٠ هـ)
- ٢٣- أحكام القرآن ، ت. عبد السلام محمد علي شاهين ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
- الجمحي : محمد بن سلام (ت ٢٣٢ هـ)
- ٢٤- طبقات فحول الشعراء ، قرأه وشرحه : محمود محمد شاكر ، (د.م.ط) .
- ابن الجوزي : أبي الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ)
- ٢٥- الموضوعات ، ت. عبد الرحمن محمد عثمان ، ط ١ ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .
- ٢٦- زاد المسير ، ت. محمد بن عبد الرحمن عبد الله ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- الجوهري : اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣ هـ) ،
- ٢٧- تاج اللغة وصحاح العربية ، ت. أحمد عبد الغفور العطار ، ط ٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

- ابن أبي حاتم : أبو محمد بن محمد بن إدريس الرازي (ت ٣٢٧هـ)
- ٢٨- تفسير ابن أبي حاتم ، ت. أسعد محمد الطيب ، المكتبة العصرية ، صيدا .
- الحاكم النيسابوري : الحافظ أبي عبد الله (ت ٤٠٥هـ)
- ٢٩- المستدرک علی الصحیحین ، ت. یوسف عبد الرحمن المرعشلی ، (د.م.ط) .
- ابن حبیب : أبي جعفر محمد (ت ٢٤٥هـ)
- ٣٠- المحبر ، ت. إيلزة ليحتن شتيترا ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ١٣٦١هـ - ١٩٤٢م .
- ابن حجر : أوس (ت ٢ق.هـ)
- ٣١- الديوان ، تحقيق. محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت - لبنان، ١٩٦٧م .
- ابن حجر : أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)
- ٣٢- فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، ط ٢ ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، (د.ت) .
- ٣٣- الإصابة في تمييز الصحابة ، ت. عادل أحمد عبد الموجود ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
- ابن أبي الحديد : عز الدين عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ)
- ٣٤- شرح نهج البلاغة ، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١ ، دار إحياء الكتب العربية ، سوريا ، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م .
- العلامة الحلي : الحسن بن يوسف بن علي المطهر (ت ٧٣٦هـ)
- ٣٥- مختلف الشيعة ، ط ٢ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم - إيران .
- ٣٦- نهاية الأحكام ، ت. مهدي الرجائي ، ط ٢ ، مؤسسة اسماعيليان ، قم - إيران ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- الحميدي : أبي بكر عبد الله بن الزبير (ت ٢١٩هـ)
- ٣٧- مسند الحميدي ، ت. حبيب الرحمن الأعظمي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .
- ابن حنبل : الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ)
- ٣٨- المسند ، دار صادر ، بيروت - لبنان (د.ت) .
- ابي حيان الاندلسي أثير الدين محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ) ،
- ٣٩- تفسير البحر المحيط ، ت. عادل أحمد عبد الموجود و آخرون ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
- الخطيب البغدادي : أبي بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)
- ٤٠- تاريخ بغداد ، ت. مصطفى عبد القادر عطا ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
- ٤١- الرحلة في طلب الحديث ، ت. نور الدين عتر ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٣م .
- ابن خلدون : عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ)
- ٤٢- ديوان المبتدأ و الخبر ، ت. سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

- الدارمي : أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل (ت ٢٥٥هـ)
- ٤٣- سنن الدارمي ، مطبعة الاعتدال ، دمشق - سوريا ، ١٣٤٩هـ - ١٩٢٨م .
- أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)
- ٤٤- سنن أبي داود ، ت. سعيد محمد اللحام ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- الدميري : كمال الدين محمد بن موسى (ت ٨٠٨هـ)
- ٤٥- حياة الحيوان الكبرى ، دار المعرفة ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م .
- ابن أبي الدنيا : أبو بكر عبد الله بن محمد (ت ٢٨١هـ)
- ٤٦- كتاب الزهد ، ط ١ ، دار ابن كثير ، دمشق - سوريا ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
- الدينوري : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)
- ٤٧- المعاني الكبير في أبيات المعاني ت. د. سالم الكرنكوي، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م .
- ٤٨- المعارف ، ت. د. ثروت عكاشة ، دار المعارف ، القاهرة (د.ت) .
- الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ)
- ٤٩- سير أعلام النبلاء ، ت. شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد ، ط ٩ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
- الرازي : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦هـ)
- ٥٠- مختار الصحاح ، ط ٢ ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
- الزبيري : مصعب (ت ٢٣٦هـ)
- ٥١- نسب قريش ، ت. ليفي بروفنسال ، ط ٣ ، دار المعارف .
- الزمخشري : أبي القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)
- ٥٢- الفائق في غريب الحديث ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- ٥٣- تفسير الكشاف ، ط ١ ، مكتبة مصطفى البابي ، مصر ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م .
- ٥٤- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ، ط ١ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت - لبنان ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- ابن زمنين : أبي عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٣٩٩هـ)
- ٥٥- تفسير ابن زمنين ، ت. حسين بن عكاشة و مصطفى بن محمد الكنز ، ط ١ ، مطبعة الفاروق ، القاهرة - مصر ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
- الزيلعي : العلامة جمال الدين (ت ٧٦٢هـ)
- ٥٦- نصب الراية ، ت. أيمن صالح شعبان ، ط ١ ، دار الحديث ، القاهرة - مصر ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
- ٥٧- تخريج الأحاديث والآثار ، ت. عبد الله بن عبد الرحمن السعد ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
- أبي السعود : محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ)

- ٥٨- تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان .
- ٥٩- سفر التكوين ق
- ابن السكيت : أبو يوسف يعقوب بن اسحاق (ت ٢٤٤هـ)
- ٦٠- الكنز اللغوي ، ت. أوغست هنفر ، مكتبة المتنبّي ، القاهرة - مصر ، (د.ت) .
- السلمي : أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى (ت ٤١٢هـ)
- ٦١- حقائق التفسير ، ت. سيد عمران ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
- ابن سليمان : مقاتل (ت ١٥٠هـ)
- ٦٢- تفسير القرآن ، ت. أحمد فريد ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
- السمرقندي : نصر بن محمد بن إبراهيم (ت ٣٨٣هـ)
- ٦٣- تفسير السمرقندي (بحر العلوم) ، ت. د. محمود مطرجي ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، (د.ت) .
- السمعاني : أبو المظفر منصور بن محمد (ت ٤٨٩هـ)
- ٦٤- تفسير القرآن ، ت. ياسر بن إبراهيم ، ط ١ ، دار الوطن ، السعودية ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
- السهيلي : عبد الرحمن (ت ٥٨١هـ)
- ٦٥- الروض الأنف ، ت. عبد الرحمن الوكيل ، ط ١ ، دار الكتب الإسلامية ، مصر ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .
- ابن سيده : علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ)
- ٦٦- المحكم و المحيط الأعظم ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)
- ٦٧- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، (د.ت) .
- الشاشي : أبو سعيد الهيثم بن كليب بن سريج بن معقل (ت ٣٣٥هـ)
- ٦٨- مسند الشاشي ، ت. د. محفوظ الرحمن زين الله ، ط ١ ، مكتبة العلوم و الحكم ، المدينة المنورة ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- الشافعي : أبي عبد الله محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ)
- ٦٩- ديوان الإمام الشافعي ، ت. د. أيمن السيد الصياد ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٩٧١م .
- الشريف المرتضى : علي بن الحسين بن موسى بن محمد الموسوي (ت ٤٣٦هـ)
- ٧٠- رسائل المرتضى ، ت. أحمد الحسيني و مهدي الرجائي ، مطبعة سيد الشهداء ، قم - إيران ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- ابن أبي شيبّة : عبد الله بن محمد الكوفي (ت ٢٣٥هـ)
- ٧١- المصنف ، ت. سعيد اللحام ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

- الصاغانى : الحسن بن محمد بن الحسن (ت ٦٥٠هـ)
- ٧٢- الشوارد ما تفرد به بعض أئمة اللغة ، ت. مصطفى حجازي و محمد مهدي علام ، ط ١ ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- الصدوق : أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٨١هـ)
- ٧٣- كتاب الخصال ، ت. علي أكبر غفاري ، جماعة المدرسين ، قم ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ٧٤- علل الشرائع ، ت. محمد صادق بحر العلوم ، المكتبة الحيدري ، النجف الأشرف ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م .
- ٧٥- عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ، ت. حسين الأعلمي ، ط ١ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٤هـ - ١٨٤م .
- ٧٦- التوحيد ، ت. هاشم الطهراني ، منشورات جماعة المدرسين ، قم - إيران .
- ٧٧- كمال الدين وتمام النعمة ، ت. علي أكبر الغفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم - إيران ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- الصنعاني : أبو بكر عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هـ)
- ٧٨- تفسير القرآن ، ت. محمود محمد عبده ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
- الطبراني : أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي (ت ٣٦٠هـ)
- ٧٩- مسند الشاميين ، ت. حمدي عبد المجيد السلفي ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- ٨٠- المعجم الكبير ، ت. حمدي عبد المجيد السلفي ، ط ٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان .
- ٨١- الأحاديث الطوال ، ت. مصطفى عبد القادر عطا ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- طبرسي أبي علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ)
- ٨٢- تفسير مجمع البيان ، ت. لجنة من العلماء ، ط ١ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
- ٨٣- تفسير جوامع الجامع ، ت. مؤسسة النشر الإسلامي ، ط ١ ، جماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
- ٨٤- كتاب الاحتجاج ، ت. محمد باقر الخرسان ، دار النعمان ، النجف الأشرف ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .
- الطبري : محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)
- ٨٥- تاريخ الأمم و الملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، (د.ت) .
- ٨٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ت. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط ١ ، دار هجر ، القاهرة - مصر ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
- طوسي أبي جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)
- ٨٧- التبيان في تفسير القرآن ، ت. أحمد حبيب قصير العاملي ، ط ١ ، مكتب الاعلام الإسلامي ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

- ٨٨- الرسائل العشر ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم - إيران ، (د.ت) .
- ٨٩- الاستبصار فيما اختلف من الأخبار ، ت. حسن الموسوي الخرسان ، ط ٤ ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٣٦٣ هـ .
- ابن عبد البر : أبو عمر يوسف بن أحمد (ت ٤٦٣ هـ)
- ٩٠- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ت. علي محمد البجاوي ، ط ١ ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
- ٩١- الانباه على قبائل الرواة ، ت. إبراهيم الأبياري ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- ابن عبد ربه الأندلسي : أحمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ)
- ٩٢- العقد الفريد ، ت. مفيد محمد قميحة ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣ م .
- أبي عبيدة : معمر بن المثنى (ت ٢٠٩ هـ)
- ٩٣- كتاب الخيل ، ط ١ ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد - الهند ، ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٦ م .
- ابن العربي : أبو بكر المالكي (ت ٥٤٣ هـ)
- ٩٤- أحكام القرآن ، ت. محمد عب القادر عطا ، دار الفكر ، بيروت (د.ت) .
- ابن عساكر : أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١ هـ)
- ٩٥- تاريخ مدينة دمشق ، ت. علي شيري ، دار الفكر ، بيروت - لبنان .
- الإمام العسكري (ع) : الحسن بن علي (ت ٢٦٠ هـ)
- ٩٦- تفسير القرآن ، ت. مدرسة الإمام المهدي ، ط ١ ، مهر - قم ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .
- ابن عطية الأندلسي : أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر (ت ٥٤٦ هـ)
- ٩٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ت. عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
- الإمام علي (عليه السلام) (ت ٤٠ هـ)
- ٩٨- نهج البلاغة ، جمع الشريف الرضي ، شرح الشيخ محمد عبده ، ط ١ ، دار الذخائر ، قم - إيران ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
- العمري : ابن فضل الله (ت ٧٤٩ هـ)
- ٩٩- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، ت. عبد الحميد صالح حمدان ، ط ٢ ، مكتبة مدبولي ، ١٩٩٦ م .
- العياشي : محمد بن مسعود (ت ٣٢٠ هـ)
- ١٠٠- تفسير العياشي ، ت. هاشم الرسولي المحلاتي ، المكتبة العلمية الإسلامية ، طهران ، (د.ت) .
- العيني : أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى (ت ٨٥٥ هـ)
- ١٠١- عمدة القارئ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، (د.ت) .
- ابن فارس : أبو الحسين أحمد (ت ٣٩٥ هـ)
- ١٠٢- معجم مقاييس اللغة ، ت. عبد السلام محمد هارون ، مكتب الاعلام الإسلامي ، قم ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

- الغرناطي الكلبي : القاسم بن أحمد بن محمد بن جزي (ت ٧٤١هـ)
- ١٠٣- التسهيل لعلوم التنزيل ، ط ٤ ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- الفخر الرازي : محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن (ت ٦٠٦هـ)
- ١٠٤- التفسير الكبير ، ط ٣ ، (د.م.ط) .
- الفراهيدي : أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)
- ١٠٥- كتاب العين ، ت. د. مهدي المخزومي و د. مهدي السامرائي ، ط ٢ ، مؤسسة دار الهجرة ، إيران ، ١٤٠٩هـ - ١٩٩٠م .
- الفيروز آبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)
- ١٠٦- القاموس المحيط ، دار الحديث ، القاهرة - مصر ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
- ١٠٧- تنوير المقياس من تفسير ابن عباس ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، (د.ت) .
- ابن قدامة : أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد (ت ٦٢٠هـ)
- ١٠٨- المغني ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، (د.ت) .
- القرطبي : أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ)
- ١٠٩- تفسير الجامع لأحكام القرآن ، ت. أحمد عبد العليم البردوني ، ط ٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- القزويني : أبي عبد الله محمد بن يزيد (ت ٢٧٥هـ)
- ١١٠- سنن ابن ماجه ، ت. محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، (د.ت) .
- القزويني : زكريا بن محمد بن محمود الكوفي (ت ٦٨٢هـ)
- ١١١- عجائب المخلوقات و غرائب الموجودات ، ط ١ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت - لبنان ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
- القلقشندي : أبي العباس أحمد (ت ٨٢١هـ)
- ١١٢- صبح الأعشى ، دار الكتب السلطانية ، القاهرة ، ١٣٣٨هـ - ١٩١٩م .
- القمي : علي بن إبراهيم (ت ٣٢٩هـ)
- ١١٣- تفسير القمي ، ت. السيد طيب الموسوي ، ط ٣ ، مؤسسة دار الكتاب ، قم - إيران ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- ابن القيم الجوزية : محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١هـ)
- ١١٤- تهذيب مدارج السالكين ، ط ١ ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، ٢٠١٠م .
- ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء (ت ٧٧٤هـ)
- ١١٥- تفسير القرآن العظيم ، ت. يوسف المرعشلي ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- ١١٦- البداية والنهاية ، ت. علي شيري ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٨م .
- ١١٧- قصص الأنبياء ، ت. مصطفى عبد الواحد ، ط ١ ، دار التأليف ، مصر ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

- ١١٨ - السيرة النبوية ، ت. مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
- ينظر الكلبي : هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ)
- ١١٩ - الأصنام ، تحقيق. احمد زكي باشا ، ط ٢ ، دار الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٢٤م .
- ١٢٠ - نسب الخيل ، ت. د. نوري حمودي القيسي و د. حاتم صالح الضامن ، المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .
- الكليني : أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق (ت ٣٢٩هـ) ،
- ١٢١ - كتاب الكافي ، ت. علي أكبر غفاري ، ط ٥ ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٣٦٣هـ .
- ابن مأكولا : الأمير أبو نصر علي بن أبي القاسم هبة الله (ت ٤٧٥هـ)
- ١٢٢ - إكمال الكمال ، دار الكتاب الإسلامي الفاروق ، القاهرة .
- الإمام مالك : مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ)
- ١٢٣ - كتاب الموطأ ، ت. محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .
- الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ)
- ١٢٤ - تفسير النكت والعيون ، ت. السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠١٠م .
- المتقي الهندي : علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ)
- ١٢٥ - كنز العمال ، ت. الشيخ صفوة السقا ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
- مجاهد : أبي الحجاج بن جبر التابعي
- ١٢٦ - تفسير مجاهد ، ت. عبد الرحمن الطاهر ، إسلام آباد ، (د.م.ط) .
- المرزوقي : أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٢١هـ)
- ١٢٧ - الأزمنة و الأمكنة ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٣٢هـ .
- المزني : جمال الدين أبي الحجاج (ت ٧٤٢هـ)
- ١٢٨ - تهذيب الكمال ، ت. د. بشار عواد معروف ، ط ٤ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .
- المسعودي : أبي الحسن علي بن عبد الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ)
- ١٢٩ - أخبار الزمان ، ت. لجنة من الأساتذة ، دار الأندلس ، بيروت - لبنان ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م .
- مسلم : أبي الحسين بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ)
- ١٣٠ - الجامع الصحيح ، دار الفكر ، بيروت - لبنان (د.ت) .
- المقرئ : تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ)
- ١٣١ - امتاع الاسماع ، ت. محمد عبد الحميد النميسي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
- ابن منظور : ابي الفضل جمال الدين (ت ٧١١هـ)

- ١٣٢- لسان العرب ، نشر أدب الحوزة ، قم - إيران ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- الميداني : الإمام أبو الفضل أحمد بن محمد (ت ٥١٨ هـ)
- ١٣٣- مجمع الأمثال ، مكتبة مشكاة الإسلامية ، (د.ت) .
- النحاس : أبي جعفر (ت ٣٣٨ هـ)
- ١٣٤- معاني القرآن الكريم ، ت. محمد علي الصابوني ، ط ١ ، جامعة أم القرى ، السعودية ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .
- النسائي : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (ت ٣٠٣ هـ)
- ١٣٥- سنن النسائي ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م .
- النووي : أبي زكريا محيي الدين بن شرف (ت ٦٧٦ هـ)
- ١٣٦- المجموع ، دار الفكر ، (د.م.ط) .
- ١٣٧- رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .
- النووي : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ)
- ١٣٨- نهاية الإرب ، ت. إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- أبو هلال العسكري : الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥ هـ)
- ١٣٩- الفروق اللغوية ، ت. مؤسسة النشر الإسلامي ، ط ١ ، نشر جماعة المدرسين ، قم - إيران ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
- ١٤٠- كتاب الأوائل ، ت. د. محمد السيد الوكيل ، ط ١ ، دار البشير ، طنطا - مصر ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .
- الهمداني : أبو محمد الحسن بن أحمد (ت ٣٣٤ هـ)
- ١٤١- صفة جزيرة العرب ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٨٤ م .
- الهيثمي : نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ)
- ١٤٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- الواحدي : أبي الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ)
- ١٤٣- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ت. صفوان عدنان داوودي ، ط ١ ، دار القلم ، بيروت ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
- ١٤٤- أسباب نزول الآيات ، مؤسسة الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ياقوت الحموي : شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي (ت ٦٢٦ هـ)
- ١٤٥- معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٨٤ هـ) ،
- ١٤٦- تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت - لبنان (د.ت) .

ثانيا - المراجع الحديثة :

- الأحمـد : سامي سعيد
- ١٤٧- المعـتقـدات الديـنية في العـراق القـديم ، دار الشؤـن الثقافـية العامـة ، ١٩٨٨ م .
- الأحمـدي المـيانـجي : الشـيخ علي
- ١٤٨- مكاتـيب الرـسول ، ط ١ ، دار الحـديث ، ١٩٩٨ م
- أدولـف أرمان :
- ١٤٩- ديـانة مـصر القـديمـة ، تـرجـمة عبد المنـعم أبو بـكر ومـحمد أنور ، القـاهـرة ، ١٩٧٣ .
- الأريـاني : مطـهر علي
- ١٥٠- نقـوش مـسندية ، ط ٢ ، مـركـز الدـراسـات والبـحـوث الـيـمني ، ١٩٩٠ م .
- إريك هورنـونـج :
- ١٥١- ديـانة مـصر الفرعـونية الوحـدانـية و التـعـدد في مـصر القـديمـة ، تـرجـمة مـحمـود مـاهر طه ، القـاهـرة .
- أستينـدرف :
- ١٥٢- ديـانة المـصرـيين القـدماء ، تـرجـمة سـليم حـسن ، دار البـسـتـاني للنـشـر ، القـاهـرة - مـصر .
- الأفندي : مـحب الدين (ت ١٠١٦هـ)
- ١٥٣- تـنـزـيل الآيات عـلى الشـواهد مـن الأبيـات ، مـكتـبة ومـطـبـعة مـصـطـفى البـابـي الحـلبـي وأولـاده ، (د.م.ط) .
- أفندي : أحمد
- ١٥٤- الحـجـج البـيـنات في عـلم الحـيوان ، دار الطـباعـة الخـديويـة ، بـيـروت ، ١٨٦٧ م .
- الألبـاني : مـحمد نـاصر الدين
- ١٥٥- ارواء الغـلـيل ، ت. زهير الشاويش ، ط ٢ ، المـكـتب الإـسـلامـي ، بـيـروت - لـبـنان ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م .
- الألوسي : مـحمـود شـكري (ت ١٩٢٤م)
- ١٥٦- بلوغ الأرب في مـعرفـة أحوال العرب ، تـحـقيق مـحمد بـهـجة الأثـري ، دار الـكـتب .
- الألوسي : شهاب الدين مـحمـود بن عبد الله الحـسـيني (ت ١٢٧٠هـ)
- ١٥٧- تـفـسـير روح المـعـاني ، ت. علي عبد الباري عطية ، ط ١ ، دار الـكـتب العـلمـية ، بـيـروت ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م .
- الأـمـيني : عبد الحـسـين أحمد (ت ١٣٩٢هـ)
- ١٥٨- الغـدير ، ط ٤ ، دار الـكـتاب العـربـي ، بـيـروت - لـبـنان .
- الشـيخ الأنصـاري : مـرتضى بن مـحمد أـمين (ت ١٢٨١هـ)
- ١٥٩- كـتاب المـكـاسب ، ت. لـجـنة تـحـقيق تـراث الشـيخ الأعـظم ، ط ١ ، مـطـبـعة باقري ، قم ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م .
- اوبنهايم ليو
- ١٦٠- بلاد ما بين النهرين ، تـرجـمة سـعـدي فيضـي ، بـغـداد ، ١٩٨١ .
- باقر : طه

- ١٦١- ملحمة كلكامش ، دار الحرية ، بغداد ، ط٤ ، ١٩٨٠م .
- ١٦٢- مقدمة في تاريخ الحضارات ، دار الوراق ، بغداد ، ٢٠٠٩م .
- ١٦٣- ملحمة كلكامش أوديسة العراق الخالدة ، بغداد ، (د.ن) ، ١٩٧١م .
- و بوللو غراتسيوزي :
- ١٦٤- نقوش وادي الخيل الصخرية (ليبيا القديمة) ، مج ٥ ، ١٩٦٨ .
- البحراني : الشيخ يوسف (ت ١١٨٦هـ)
- ١٦٥- الحدائق الناضرة ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم - ايران ، (د.ت) .
- السيد البراقي : حسين بن أحمد النجفي (ت ١٣٣٢هـ)
- ١٦٦- تاريخ الكوفة ، ت. ماجد أحمد العطية ، ط ١ ، شريعت ، ايران ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .
- برستيد :
- ١٦٧- انتصار الحضارة ، ترجمة . أحمد فخري ، القاهرة ، ١٩٦٩م .
- البروجردي : السيد علي الطباطبائي (ت ١٣٨٣هـ)
- ١٦٨- جامع أحاديث الشيعة ، المطبعة العلمية ، قم - ايران ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٧م .
- البغدادي : عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ)
- ١٦٩- خزانة الأدب ، ت. محمد نبيل طريفي و أميل بديع يعقوب ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٨م .
- بوتس : دانيال
- ١٧٠- حضارة وادي الرافدين (الأسس المادية) ، ت. كاظم سعد الدين ، ط ١ ، بغداد ، ٢٠٠٦م .
- توفيق برو :
- ١٧١- تاريخ العرب القديم ، ط ٢ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت - لبنان ، ١٩٦٦م .
- جان بوتيروا :
- ١٧٢- الديانة عند البابليين ، ترجمة. وليد الجادر ، مركز الإنماء ، ٢٠٠٥م .
- الجزائري : نعمة الله (ت ١١١٢هـ)
- ١٧٣- النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين ، منشورات الشريف الرضي ، قم - إيران .
- الجزائري : جابر بن موسى بن عبد القادر
- ١٧٤- أيسر التفاسير لكلام علي الكبير ، ط ٥ ، مكتبة العلوم ، المدينة المنورة - السعودية ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
- جيمس فرز :
- ١٧٥- الفلكلور في العهد القديم ، ترجمة. د. نبيلة ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ١٩٧٢م .
- جيوفينو : ماريانا
- ١٧٦- الشجرة الآشورية المقدسة (تاريخ من التفسيرات) ، الصحافة الأكاديمية ، فريبورغ فاندوبك و روبريخت جوتنجن ، سويسرا .
- الحاج : يوسف

- ١٧٧- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ط٢ ، مكتبة ابن حجر ، دمشق ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
- حتي : د. حنا نصر
- ١٧٨- قاموس المعاني و الأسماء ، ط٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
- الحر العاملي : الشيخ محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ)
- ١٧٩- وسائل الشيعة ، ت. مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) ، مطبعة مهر ، قم - إيران ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
- ١٨٠- الفصول المهمة في معرفة الأئمة ، ت. محمد بن محمد الحسين القائيني ، ط١ ، مؤسسة المعارف ، قم ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
- حسن : سليم
- ١٨١- الحياة الدينية و أثرها على المجتمع ، القاهرة ، ١٩٦١م .
- ١٨٢- موسوعة مصر القديمة ، هيئة الكتاب و المجموعة الثقافية ، وزارة الثقافة ، مصر .
- حواس : زاهي
- ١٨٣- الملك الذهبي (توت عنخ آمون) الدار المصرية اللبنانية ، ٢٠٠٧ م .
- الحويضي : الشيخ عبد علي بن جمعة (ت ١١١٢هـ)
- ١٨٤- تفسير نور الثقلين ، ت. هاشم الرسولي المحلاتي ، ط٤ ، مؤسسة اسماعيليان ، قم ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- الخالدي : د. صلاح
- ١٨٥- القصص القرآني ، ط١ ، الدار الشامية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- ابو خضير : م.د. خمائل شاكر
- ١٨٦- الرمزية في الفكر الديني في حضارة بلاد الرافدين وحضارة إيران قديما ، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية الأساسية ، بغداد .
- الخليل : عماد الدين
- ١٨٧- التفسير الإسلامي للتاريخ ، ط٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- دريوتون : جاك فانديه
- ١٨٨- كتاب مصر ، القاهرة ، ١٩٦٥م .
- الدسوقي : مصطفى محمد عرفة (ت ١٢٣٠هـ)
- ١٨٩- حاشية الدسوقي على مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ت. عبد السلام محمد هارون ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٩٧١م .
- ديفيد :
- ١٩٠- المصري القديم ، لندن ، ١٩٨٠م .
- راشيه : جي

- ١٩١ - الموسوعة الشاملة للحضارة الفرعونية ، ترجمة فاطمة عبد الله محمود ،
مراجعة محمود ماهر طه ، ط١ ، الهيئة العامة للطابع الأميرية ، القاهرة ، ٢٠٠٦م .
- رشاد و اينزان : مديحة وماري
- ١٩٢ - التسلسل الزمني وأنماط فن الرسوم الصخرية ، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم
الاجتماعية ، صنعاء ، ٢٠٠٧م .
- رومي : محمد داوود قيصري
- ١٩٣ - شرح فصوص الحكم ، ط١ ، طهران ، ١٣٧٥هـ .
- الريشهرى : محمد
- ١٩٤ - ميزان الحكمة ، ت. دار الحديث ، ط١ ، مطبعة دار الحديث ، قم ، ١٣٧٥هـ .
- الزبيدي : محب الدين أبي فيض محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)
- ١٩٥ - تاج العروس من جواهر القاموس ، ت. علي شيري ، دار الفكر ، بيروت -
لبنان ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
- الزركلي : خير الدين
- ١٩٦ - الأعلام ، ط٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠م .
- السامرائي : محمد رجب
- ١٩٧ - صيد الصقور فى الحضارة العربية ، ط١ ، نادي التراث الإماراتي ، ٢٠١٣م .
- السبيعي : سند بن مطلق
- ١٩٨ - الخيل معقود في نواصيها الخير ، تقديم منصور بن فارس بن حسين ، ط١ ،
مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .
- السعدي : عبد الرحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦هـ)
- ١٩٩ - تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان ، ت. ابن عثيمين ، مؤسسة الرسالة ،
بيروت ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
- السلامين : زياد مهدي
- ٢٠٠ - استهلاك و إنتاج الطعام و الشراب في الأنباط ، مركز الملك فيصل للبحوث
والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٦م .
- سليم : أحمد أمين
- ٢٠١ - مصر و العراق (دراسة حضارية) ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٢م .
- ابو سويلم : أنور عليان
- ٢٠٢ - المطر في الشعر الجاهلي ، ط٧ ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٧م ،
- سيد طنطاوي : محمد ،
- ٢٠٣ - التفسير الوسيط ، ط١ ، دار النهضة ، القاهرة - مصر ، ١٩٩٨م .
- سيد قطب : ابن إبراهيم حسين الشاذلي (ت ١٩٦٦م)
- ٢٠٤ - في ظلال القرآن ، ط١ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٧٢م .
- شاكر : شاكر هادي
- ٢٠٥ - الحيوان في الأدب العربي ، ط١ ، مكتبة النهضة العربية ، ١٩٨٥م .
- الشاهرودي : الشيخ علي النمازي (ت ١٤٠٥هـ)

- ٢٠٦- مستدرك سفينة البحار ، ت. حسن بن علي النمازي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم المقدسة ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
- الشنقيطي : محمد الأمين (ت ١٣٩٣هـ)
- ٢٠٧- أضواء البيان في تفسير القرآن ، ت. مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
- الشوري : مصطفى عبد الشافي
- ٢٠٨- صورة الثور الوحشي ، (د.م.ط) .
- الشوكاني : محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ)
- ٢٠٩- فتح القدير ، عالم الكتب ، (د.ت) .
- الشيرازي : الشيخ ناصر مكارم
- ٢١٠- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ط ١ ، الناشر مدرسة الإمام علي بن ابي طالب (ع) ، قم - إيران ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م .
- ٢١١- أمثال القرآن ، ت. أبو القاسم عليان ، ترجمة. تحسين البدي ، ط ٢ ، معراج - قم ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .
- صالح : عبد العزيز
- ٢١٢- الشرق الأدنى القديم ، مكتبة الأنجلو المصرية .
- صالح : ياسمين ياسين
- ٢١٣- نماذج من الحيوانات البرية على المنحوتات الآشورية ، كلية الآثار ، قسم الآثار .
- الصالحي و السامرائي : أنوار محمود و أحمد هاشم
- ٢١٤- ديوان أبو داود الإيادي ، ط ١ ، دار العصماء ، سوريا - دمشق ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .
- الصدر : محمد باقر
- ٢١٥- السنن التاريخية في القرآن الكريم ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ٢٠١١م .
- الصلابي : د. علي محمد محمد
- ٢١٦- المعجزة الخالدة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (براهيم ساطعة وأدلة قاطعة) ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ٢٠١٣م .
- الصلوى : أ.د إبراهيم
- ٢١٧- مباحث في تاريخ اللغة العربية ، ط ١ ، كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، ٢٠١٠م .
- الطباطبائي : محمد حسين الحكيم
- ٢١٨- تفسير الميزان ، منشورات جماعة المدرسين ، قم - إيران ، (د.ت) .
- الطباطبائي : السيد علي (ت ١٢٣١هـ)
- ٢١٩- رياض المسائل ، ت. مؤسسة النشر الإسلامي ، ط ١ ، جماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
- الطريحي : الشيخ فخر الدين (ت ١٠٨٥هـ)

- ٢٢٠- مجمع البحرين ، ت. أحمد الحسيني ، ط٢ ، مكتبة الثقافة الإسلامية ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- ٢٢١- تفسير غريب القرآن ، ت. محمد كاظم الطريحي ، انتشارات زاهدي - قم المقدسة (د.ت) .
- الطيب : عبد الله
- ٢٢٢- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٠هـ .
- ابن عاشور : محمد بن طاهر
- ٢٢٣- التحرير والتنوير ، الطبعة التونسية ، دار سنحون ، تونس ، ١٩٩٧م .
- عاشور : عبد اللطيف
- ٢٢٤- موسوعة الطير و الحيوان في الحديث النبوي ، القاهرة .
- عبد الحميد : د. صائب
- ٢٢٥- علم التاريخ و مناهج المؤرخين ، ط٢ ، مركز الغدير ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
- عبد السّاتر : عباس
- ٢٢٦- ديوان النابغة الذبياني ، ط٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
- العبيدي : أحمد
- ٢٢٧- الرمز في قصة إبراهيم (ع) ، دار الغدير ، ١٩٩٨م .
- عجينة : د. محمد
- ٢٢٨- موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية و دلالاتها ، ط١ ، دار الفارابي ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٤م .
- العظيم آبادي : أبي الطيب محمد شمس الحق (ت ١٣٢٩هـ)
- ٢٢٩- عون المعبود ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
- عكاشة : د. ثروت
- ٢٣٠- الفن العراقي القديم ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت - لبنان .
- العلان : أرواد عدنان
- ٢٣١- الدولة الاشكانية ، دار رسلان ، دمشق ، ٢٠١١م .
- العلي : بلال موسى بلال
- ٢٣٢- الرمز الديني ، أبو ظبي ، دن ، ٢٠١١م .
- علي : جواد
- ٢٣٣- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط٢ ، جامعة بغداد ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
- علي : عبد اللطيف أحمد
- ٢٣٤- التاريخ اليوناني ، ج٢ ، بيروت - لبنان ، ١٩٧١م .
- عمر : أحمد مختار

- ٢٣٥- معجم اللغة العربية المعاصرة ، ط ١ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .
- العميسي : فضل محمد
- ٢٣٦- التجسيدات الحيوانية على الآثار في جنوب غرب الجزيرة العربية (اليمن) فترة ما قبل الإسلام ، (د.م.ط) .
- فابريتشيو موري :
- ٢٣٧- تادارات اكاكوس الفن الصخري و ثقافات الصحراء قبل التاريخ ، ترجمة عمر الباروني و فؤاد الكعباري ، طرابلس ، ١٩٨٨ م .
- فاعور : علي حسن
- ٢٣٨- ديوان زهير بن أبي سلمى ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- فان بورين :
- ٢٣٩- رموز الآلهة في فن بلاد ما بين النهرين ، لندن ، ١٩٤٥ م .
- فرح : د. نعيم
- ٢٤٠- موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم ، دار الفكر (د.م.ط) .
- فوستر و هيلمز : ريتشارد جي و كاثرين إيه
- ٢٤١- نظام الاحتفال الطريق إلى النمو الروحي ، شركة هاوذر ستون للنشر ، بريطانيا ، ١٩٨٠ م .
- الفيض الكاشاني : محسن (ت ١٠٩١ هـ)
- ٢٤٢- التفسير الصافي ، ت. حسين الأعلمي ، ط ٢ ، مؤسسة الهادي ، قم المقدسة ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .
- ٢٤٣- التفسير الأصفى ، ت. مركز الدراسات الإسلامية ، ط ١ ، مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .
- القبانجي : السيد حسن
- ٢٤٤- شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (ع) ، ط ١ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٢ م .
- قلنجي : أ.د محمد رواس
- ٢٤٥- معجم لغة الفقهاء ، ط ١ ، دار النفائس ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- كحالة : د. عمر
- ٢٤٦- معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ، ط ٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- الكردي : محمد بن طاهر
- ٢٤٧- التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، دار خضر ، ١٤٢٠ هـ .
- كريم : صموئيل نوح
- ٢٤٨- السومريون (أحوالهم ، عاداتهم ، تقاليدهم) ، ترجمة. فيصل الوائلي ، دار غريب ، الكويت ، ١٩٧٣ م .

- كونتينيون : جورج
- ٢٤٩- الحياة اليومية في بلاد بابل واشور ، ترجمة سليم طه وبرهان التكريتي بغداد ، ١٩٧٩ .
- الماجدي : خزعل
- ٢٥٠- متون سومر ، شركة الطبع و النشر اللبنانية ، بيروت ، ١٩٩٨ م .
- المازندراني : محمد صالح (ت ١٠٨١هـ)
- ٢٥١- شرح أصول الكافي ، ت. أبو الحسن الشعراني ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان .
- المتولي ، نواله احمد
- ٢٥٢- مدخل لدراسة الحياة الاقتصادية لدولة اور الثالثة ، مطبوعات الهيئة العامة للآثار والتراث ، ٢٠٠٧ م .
- المجلسي : محمد باقر (ت ١١١١هـ)
- ٢٥٣- بحار الأنوار ، ط ٢ ، مؤسسة الوفاء ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- مجمع الكنائس الشرقية :
- ٢٥٤- قاموس الكتاب المقدس ، ط ٦ ، مكتبة المشغل ، بيروت ، ١٩٨١ م .
- محسن و الخطاط : زهير صاحب و سلمان
- ٢٥٥- تاريخ الفن القديم في بلاد وادي الرافدين ، دار المعارف ، بغداد ، ١٩٨٧ م .
- محمد : فوزية عبد الله
- ٢٥٦- مراكب آل hippos (أفراس النهر) في الشرق الأدنى القديم ، المؤتمر العاشر للإتحاد العام للآثاريين العرب ، ج ١ ، القاهرة ، ٢٠٠٨ م .
- المراغي : أحمد بن مصطفى (ت ١٣٧١هـ)
- ٢٥٧- تفسير المراغي ، طبعة مصطفى الحلبي ، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠ م .
- مسعود : جبران
- ٢٥٨- المعجم الرائد ، ط ٧ ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٢ م .
- المشهدي : الميرزا محمد القمي
- ٢٥٩- تفسير كنز الدقائق ، ت. الحاج مجتبى العراقي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم - إيران ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م .
- أبو المعاطي وآخرون : بشار عواد معروف وآخرون
- ٢٦٠- المسند الجامع ، ت. محمود محمد خليل ، ط ١ ، دار الجيل ، الكويت ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م .
- المناوي : محمد عبد الرؤوف (ت ١٠٣١هـ)
- ٢٦١- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، ت. أحمد عبد السلام ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م .
- مهران : أ.د محمد بيومي
- ٢٦٢- دراسات في تاريخ العرب القديم ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧ م .
- مورنكات : أنطوان

- ٢٦٣- الفن في العراق القديم ، ترجمة عيسى سلمان و سليم طه التكريتي ، بغداد ، ١٩٧٥ م .
- ميشيل : بيتر
- ٢٦٤- الحمير في تاريخ البشرية ، جامعة أكسفورد ، كلية سانت ياهو ، ٢٠١٨ .
- نامي : د. خليل يحيى
- ٢٦٥- العرب قبل الإسلام ، دار المعارف ، القاهرة ، (د.ت) .
- النجفي : هادي
- ٢٦٦- موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) ، ط ١ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠٢ م .
- النمازي الشاهرودي : الشيخ علي (ت ١٤٠٥ هـ)
- ٢٦٧- مستدرک سفينة البحار ، ت. حسن بن علي النمازي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم - إيران ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .
- النوري : قيس
- ٢٦٨- الأساطير وعلم الأجناس ، دار الكتب ، الموصل ، ١٩٨١ م .
- النوري : الميرزا حسين الطبرسي (ت ١٣٢٠ هـ)
- ٢٦٩- مستدرک الوسائل ، ت. مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) ، ط ١ ، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .
- هاري ساكز : عظمة بابل
- ٢٧٠- ترجمة خالد أسعد عيسى و أحمد غسان سباتو ، دمشق ، ٢٠٠٣ م .
- الملا الهروي القاري : علي بن محمد أبو الحسن نور الدين (ت ١٠١٤ هـ)
- ٢٧١- شرح مسند أبي حنيفة ، ت. خليل محيي الدين الميس ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- الهواري : هود بن محكم الأوراسي الجزائري
- ٢٧٢- تفسير كتاب الله العزيز ، ت. بالحاج بن سعيد الشريفي ، ط ١ ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت - لبنان ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .
- ولاس بدج :
- ٢٧٣- آلهة المصريين ، ترجمة محمد حسين يونس ، القاهرة ، ١٩٨٨ م .
- وول ديورانت :
- ٢٧٤- قصة الحضارة ، ترجمة. محمد بدران ، الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، بيروت .
- ياروسلاف ستيتكيفيتش :
- ٢٧٥- العرب والغصن الذهبي (إعادة بناء الاسطورة العربية) ، ترجمة. سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب .
- يحيى : لطفي عبد الوهاب
- ٢٧٦- العرب في العصور القديمة ، دار النهضة ، ١٩٧٩ م .

الرسائل و الاطاريح :

- باعليان : محمد عوض منصور
- ٢٧٧- حيوانات النقل والحرب في اليمن القديم ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب – جامعة عدن ، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م .
- البشاشة : محمد فالح
- ٢٧٨- الاله رضو رضي في النقوش الثمودية والصفوية ، رسالة ماجستير ، معهد الآثار – الانثربولوجيا ، جامعة اليرموك ، ١٩٩٤ م .
- سعيد : باسل أياذ ،
- ٢٧٩- الثروة الحيوانية في العراق القديم ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٨م .
- عبد اللطيف : سجي مؤيد
- ٢٨٠- الحيوان في أدب العراق القديم ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٧م .
- عبد النعيم : إيناس بهي الدين
- ٢٨١- المعبودات المصرية القديمة التي اتخذت هيئة كبش ، رسالة ماجستير ، إشراف. أ.د محمد عبد الحليم نور الدين ، كلية الآثار – جامعة القاهرة ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
- القحطاني : محمد سعد عبده
- ٢٨٢- آلهة اليمن و رموزها حتى القرن الرابع الميلادي ، اطروحة دكتوراه ، جامعة صنعاء ، كلية الآداب ، ١٩٩٧م .
- اللهبي : منى بنت بخيت بن عوييد
- ٢٨٣- الفروسية في الشعر العربي ، رسالة ماجستير ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، السعودية ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
- ميلاد : حواء
- ٢٨٤- الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة تدمر (١٠٦ - ٢٧٣م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة المرقب ، كلية الآداب والعلوم ، ٢٠٠٧م .

البحوث الأكاديمية :

- باسلامه : محمد
- ٢٨٥- صيد الوعل في الحضارة اليمنية القديمة ، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية- جامعة صنعاء .
- بركات : أبو العيون
- ٢٨٦- لمحة عامة عن الفن اليمني القديم ، مجلة الإكليل ، عدد ١ ، السنة السادسة ، ١٤٠٨هـ .
- جرك و علي : أ.م.د أوسام بحر و فيحاء مولود

- ٢٨٧- أساطير المخلوقات المركبة اسطورة أموكود (أنزو) انموذجا ، مجلة جامعة بغداد ، ملحق العدد ٥٨ ، حزيران ٢٠١٧ م .
- الجزار : د. محمود عبد المنعم
- ٢٨٨- الأغنام و دورها في الحياة الاقتصادية في مصر القديمة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة سرت ، ليبيا ، العدد ٦ ، ٢٠١٤ م .
- حجوي : جيلالي
- ٢٨٩- الحيوانات الثديية الرئيسية في فن الرسوم الصخرية واستيطان اليمن في عصور ما قبل التاريخ ، مركز أبحاث شبه الجزيرة العربية الفرنسية .
- الحداد : فتحي عبد العزيز
- ٢٩٠- الخيل في نصوص وآثار شبه الجزيرة العربية القديمة ، مجلة كلية الآثار ، عدد ١٤ ، جامعة القاهرة ، ٢٠١٠ م .
- حسن : أ.م.د محمد علي عبد الأمير
- ٢٩١- الحياة الاقتصادية في عصر المملكة المصرية الحديثة (١٥٨٥ - ١٠٨٠ ق.م) ، مجلة جامعة بغداد ، العدد ٥٨ ، آذار ٢٠١٧ م .
- رشيد ، فوزي
- ٢٩٢- وسائط النقل المائية والبرية ، مجلة النفط والتنمية ٧-٨ ، ١٩٨١ .
- الزيدي و الطلبي : أ.م. نعيم عودة و م.د جمعة حريز
- ٢٩٣- أثر البيئة في ظهور المدينة و نشوء الدولة في بلاد الرافدين ، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية ، مج ٢٢ ، العدد (١) ، ٢٠١٩ م .
- سالم : د. فاطمة عبد الغني
- ٢٩٤- دراسة مقارنة لرموز الآلهة في كل من مصر الفرعونية و اليمن القديم ، مجلة دراسات في آثار الوطن العربي ، كلية الآداب - قسم الآثار ، قنا .
- سالم : د. محمد امحمد
- ٢٩٥- مكة ومكانتها الدينية و السياسية و الاقتصادية قبل الإسلام ، مجلة كلية الآداب ، الأصابعة ، جامعة غريان ، العدد ٢٥ .
- سمار : سعد عبود
- ٢٩٦- تقديس الحيوان و عبادته عند العرب قبل الإسلام ، مجلة كلية التربية ، جامعة واسط ، العدد ٣٦ ، ٢٠١٩ .
- سمار : سعد عبود
- ٢٩٧- أثر الميثولوجيا الدينية في السياسة التوسعية للدولة الأخمينية (٥٥٩ - ٣٣٠ ق.م) ، مجلة حضارات الشرق الأدنى القديم ، العدد ٢ ، ج ٢ ، مصر ، ٢٠١٦ .
- شناوة : أ.م.د مهند عاشور
- ٢٩٨- الخيل في بلاد الرافدين ، مجلة الآداب ، ملحق العدد ٢٥ ، جامعة القادسية ، ٢٠١٨ م .
- شهاب الكنو : مؤيد شاكر
- ٢٩٩- مكانة الإبل عند العرب قبل الإسلام ، مجلة التربية و العلم ، جامعة الموصل المجلد (٢٠) ، العدد (٣) ، ٢٠١٣ م .

- الصالحي : أ.د صلاح رشيد
- ٣٠٠- دراسة العائلة الخيلية في حضارة الشرق القديم ، وقائع المؤتمر العلمي الثالث (علوم الحيوان بين التراث و المعاصرة) ، جامعة بغداد ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، ٢٠١٣ م .
- ٣٠١- طير النعام في الحضارات القديمة ، مجلة جامعة واسط للعلوم الإنسانية ، العدد ٢٤ .
- ٣٠٢- أنا الملك الأسد ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، ٢٠١٩ م .
- ٣٠٣- رشيد صلاح ، الآلهة ليليث (دراسة أثرية عن آلهة العالم الأسفل) ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠١٣ م .
- ٣٠٤- صلاح رشيد ، الكلب رسول آلهة الشفاء في حضارة العراق القديم ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، ٢٠١٩ م .
- طعيمان : علي بن مبارك :
- ٣٠٥- صيد الوعول نشاط مقدس في ديانة جنوب الجزيرة العربية قديما ، مجلة جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون الخليج العربية ، عدد ١٥ ، سلسلة مداولات علمية محكمة ، السعودية – الرياض ، ٢٠١٤ م .
- العابد : د. مفيد رائف
- ٣٠٦- حول مصادر تاريخ العرب ، مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، سوريا ، لجنة كتابة تاريخ العرب ، العدد (٦) ، ١٩٨١ م .
- غالب : وليد
- ٣٠٧- الخنزير رسول الآلهة ، مقال منشور في موقع ألترا عراق ، شهر آب – ٢٠١٩ .
- محمد : د. فوزية عبد الله
- ٣٠٨- بعض الأدلة التصويرية على وجود حدائق الحيوان في حضارتي مصر القديمة وبلاد النهرين ، مجلة الاتحاد العام للآثاربيين العرب ، العدد ١٠ .
- النواب : رويدة فيصل موسى
- ٣٠٩- الأسد في الفكر العراقي القديم (التأثير و التأثير) دراسة تاريخية تحليلية ، مجلة كلية الآداب ، العدد ٩٨ ، مج ٢ ، بغداد ، ٢٠١٢ م .

foreignsources : (المصادر الأجنبية)

1. Albert C. Leighton, Technology and Culture . Vol. 8 , No. 1 (Jan., 1967) .
2. Dave Babb, e Mule. American Mule Museum.
3. Stine Rossel, Domestication of the donkey ; timing , processes, and indicators. P.N.A.S , U.S.A , 105(10) , 2008.Mar.
4. Veenhof.k and Eidem. J Mesopotamia ; The Old Assyrian Period . University of Zurich . Fribourg. Switzerland . (2008) .
5. Abdesh. T . and the last , Image of an eagle in the art of the early nomads . World conference on design, Arts and Education . (DAE-2013) . Pro. SBS . Kazakh national university .
6. Albert E . Dien, Palmyra as Caravan City . Stanford University . Pp 8 .
7. Robin. Et. Theyab .(2002) Arabie antique: aux origins d'une passion, in Chevaux et . Arabes dans les Arts d'Orient et d'Occident, Institut du monde . arabe Cavaliers et Éditions Gallimard .
8. Overlaet. B., 2009:A Himyarite Diplomatic Mission to the Sasanian Court of Bahram II, Depicted at Bishap , AAE.20,P.118 .
9. Karlovsky and Jeremy A. Sabloff. Benjamin-Cummings: Ancient Civilizations, The Near East and Mesoamerica. C. C. Lamberg-, Menlo Park, California, (1979) .
10. Alfred B. A history of Hebrew cvilization, T. A.K Dallas . Wipf and Stock Pubishers (1926) .
11. Baumgartel, E.J., The Cultures of Prehistoric Egypt, (London1947), p. 23 .
12. Kansa, S. Witcher (forthcoming): Food Production .
13. Studer, J. (2010): Preliminary Report on Faunal Remains. In: L. Nehmé et al (editors): Report on the Third Excavation Season. of the Madâ'in Sâlih Archaeological Project, Paris .
14. Glueck, N. (1966): The Story of the Nabataeans, P. 49 .

Abstract :

The Holy Qur'an is the eternal miracle of Islam, its universal constitution, and man's approach to his life until he meets his Lord, a book that contained the wonders of science and knowledge whose number is incalculable and whose duration is unknown. , assets, language and history), non-Islamic (astronomy and physical and chemical signs), and the strongest factor in relying on the Holy Qur'an is preserved by the protection of God Almighty.

Therefore, from this point of view, I proceeded to a simple partial study of the particulars of this blessed book, namely, the topic of the animals mentioned in the Holy Qur'an and which were mentioned in multiple chapters of the Holy Qur'an amounting to approximately (200 verses) and more than 27 types of animals, including The mammals of which the Qur'an mentioned thirteen species, and he mentioned four of the ruminant cattle, and he mentioned three of the prey, which are the wolf, the lion and the dog, as well as two of the mutant, the pig and the monkey, and he mentioned four animals that are used for riding such as horses, mules, elephants and donkeys, then he mentioned Insects, of which eight were mentioned, and only one species was mentioned for each of reptiles and fish, and with the difference in purpose between one verse and another. Once it is mentioned to explain the greatness of the Creator in His creation, and once it is mentioned to explain its importance in the life of this world, and once it is mentioned to explain what is permissible and what is forbidden. , and other purposes that were mentioned in the Holy Book, in addition to mentioning some of the animals that were mentioned in the folds of the letter, although the Qur'an did not mention them explicitly, but I explained them due to their importance to the Arabs before Islam and their frequent use, such as (ostrich and deer). The title of this study (animals in the Holy Quran and its comparison with historical sources).

**Ministry of Higher Education and Scientific Research
Dhi Qar University / College of Arts
Department of History**

**The image of the animal in the Holy Qur'an
Compare it to historical sources**

**Master Thesis
Submitted to the Council of the College of Arts
University of Dhi Qar, and it is part of the requirements
Obtaining a master's degree in Islamic history**

**Done by
Nora Awad Taftaf**

**Supervisor
Prof. Dr. Rana Tuaima Al Safi**

H - 1443

Ad - 2021